

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة وهران



كلية الآداب واللغات والفنون  
قسم اللغة العربية وآدابها

مذكرة لنيل شهادة الماجستير موسومة:

## أساليب الإقناع في سورة يوسف

- دراسة لسانية تداولية -

مشروع العلوم اللغوية والاتصال

لجنة المناقشة:

د. سنية هني رئيساً

د. محمد ملياني مشرفاً ومقرراً

د. العربي فلايلية مناقشاً

د. محمد برونه مناقشاً

إشراف:

د. محمد ملياني

إعداد الطالب:

أحمد مزواغي

السنة الجامعية: 2011-2012

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة وهران



كلية الآداب واللغات والفنون  
قسم اللغة العربية وآدابها

مذكرة لنيل شهادة الماجستير موسومة:

## أساليب الإقناع في سورة يوسف

- دراسة لسانية تداولية -

مشروع العلوم اللغوية والاتصال

لجنة المناقشة:

د. سنية هني رئيساً

د. محمد ملياني مشرفاً ومقرراً

د. العربي قلايلية مناقشاً

د. محمد برونة مناقشاً

إشراف:

د. محمد ملياني

إعداد الطالب:

أحمد مزواغي

السنة الجامعية: 2011-2012



## شكر و تقدير

بداية الحمد لله ربّ العالمين من قبل و من بعد بأن وّقّتي لإنجاز هذا

البحث المتواضع.

ثمّ أتقدّم بالشكر الجزيل إلى مشرفي الأستاذ الدكتور: ملياني محمد،

الذي بذل قصارى جهده ليرى هذا البحث النور، و الذي لم يدّخر جهدا

في تقديم ملاحظاته القيّمة و توجيهاته السّديدة من أجل تقويمه و إصلاحه،

فجزاه الله عني خير الجزاء.

كما لا يفوتني أن أشكر الأساتذة الذين مدّوا لي يد العون و المساعدة

سواء بالكتب أو التوجيهات ، و منهم : د/ عشراتي سليمان، د/ برقان

محمد، د/ زاهر عواض الألمعي، د/ صديقي حسين، د/ بوحدية فاروق، د/

عيسى رأس الماء، د/ بن براهيم إميمون، أ/ زقاوة أحمد، أ/ حماش

محجوب، أ/ حمداش الحاج، أ/ مخناش كمال، أ/ عزّ الدين عبد العزيز، أ/

كوديش عمّار .

فجزاهم الله خيرا و بارك فيهم جميعا

## إهداء

إلى التي حملتني وهنا على وهن، و غمرتني بعطفها و حنانها و لم تبخل عليّ  
بتضرّعها و دعائها.. أمي الحبيبة، أدامها الله لنا ذخرا و رزقها الصّحة و العافية  
و سعادة الدارين.

إلى جدّتي الكريمة أطال الله في عمرها و فتح لها أبواب رحمته.  
إلى زوجتي و أولادي : عبير و هاجر و محمد الطيب و أمينة، و إلى أبناء  
أختي : أبو بكر و عبد القادر و محمد و آدم، و ابن أختي نصر الدّين،  
و إلى الكتكتين ابنة أخي و ابنة أختي : خديجة و مريم، و فقهم الله جميعا  
ليكونوا من أهل العلم و التقوى و الصّلاح.

إلى أخوتي و أخواتي، و أعمامي و عمّاتي، و أخوالي و خالاتي ، بارك الله فيهم  
جميعا، إلى كلّ من علّمني حرفا من الصّفّ الابتدائي إلى الجامعة.

إلى جميع أصدقائي و كلّ زملائي في العمل بثانوية وارينان ، أساتذة  
و عمّالا و إداريين.

إلى كلّ محبّ و دارس لكتاب الله -عزّ و جلّ-.

## أهدي هذا العمل المتواضع

و ختاماً أقول: اللهمّ اجعل أجر و ثواب هذا العمل في ميزان حسنات والدي  
الحبيب - رحمه الله تعالى- الذي حفّزني و شجّعني على الدّراسة و التّعلّم منذ نعومة  
أظفاري، و لم يدّخر جهداً لأحصّل و أنجح في حياتي العلمية و العملية.  
فاللهمّ جازه عني خير الجزاء ، و اجعله من ورثة الفردوس الأعلى- آمين-.

مقدمته

## مَقَدِّمَةٌ

إنّ القرآن الكريم هو آخر الرّسالات السّمّوية التي أنزلها الله - سبحانه وتعالى - على قلب نبيّه المصطفى محمّد - صلى الله عليه و سلم - خاتم النبيّين و المرسلين ليبلّغها إلى العالمين ، و يرسّي بها قواعد الدّين الحقّ ، تعاليم الإسلام السمحاء فيدعو النّاس إلى توحيد الله - عزّ و جلّ - و عبادته ، و طاعة أوامره ، و ينهاهم عن الشّرّك و الكفر و العصيان ، و يحذّرهم من الشيطان ليسعدوا في الدّارين و يبشّرهم بالجنّة ثوابا للمتقين ، و ينذرهم من النّار عقابا للكافرين.

و القرآن رسالة شاملة، كتاب دين و دنيا، إذ لم يبيّن للنّاس تعاليم الدّين فحسب بل اهتمّ بتنظيم شؤونهم الدّنيوية، و رسم لهم معالم التحضّر و السّودد و الانتصار في مختلف مجالات الحياة؛ السّياسيّة و الاجتماعيّة و الاقتصاديّة و العلميّة... كما بيّن لهم سبيل النّجاح و الفلاح في الآخرة باعتبارها دار خلود و بقاء.

و لكي يحقق القرآن الكريم هذه المقاصد السّامية، و الغايات النّبيلة، و المناهج القويمة، و القيم الرّفيعة، اعتمد أساليب الإقناع المختلفة بتقديم الأدلّة و البراهين الساطعة و سوق الحجج الدّامغة.

و لعلّ القصص القرآني باعتباره قسما و محورا من محاور القرآن الكبرى قد اشتمل في سرده لأخبار الأنبياء و الرّسل و الصالحين و الأمم الغابرة على العديد من هذه الأساليب بغرض الاعتبار و الاتّعاظ و استلهام الدّروس ، و لاسيما قصّة يوسف - عليه السّلام - موضوع دراستي و بحثي التي تعدّدت و تنوّعت أساليبها الإقناعيّة من خلال الحوار الذي دار بين شخصيّاتها و الأحكام التي تضمّنتها ، فمنها ما هو لغوي كأساليب التوكيد، التكرار و الاستفهام.. و منها ما هو عقليّ منطقيّ كالاستدلال و المحاجّة، و منها ما هو نفسيّ وجدانيّ يخضع للتأثيرات النّفسيّة و الانفعالات العاطفيّة، كحالات الحبّ و الكره و الحسد و الغيرة و الخوف و القلق و الحزن...، و تتداخل كلّ هذه الأساليب الإقناعيّة -على اختلافها و تنوعها- و تتكاثف و تشكّل طرقا استدلالية و أنماطا حاجيّة موحّدة تخدم الموضوع و المعنى المراد تبليغه و الغاية المتوخّاة من تبليغه،

كون هذه الأساليب تصب - جميعا- في قالب واحد و وعاء واحد - إن صح التعبير-  
ألا و هو اللغة باعتبارها الوسيلة الأساس و الأهم للتواصل ، و الحامل المادي لكل  
حوار أو جدل أو كلام بصفة عامّة.

و أمّا عن أهميّة و أسباب اختياري للموضوع فتلخّص فيما يلي:

1- رغبتني الشديدة و الملحّة في دراسة كتاب الله - عزّ و جلّ - للاستفادة  
و الاستزادة من إعجازه اللغوي، بتذوّق أساليبه التعبيرية المتمثلة في عذوبة  
ألفاظه و جزالتها و دقّة دلالتها ، و في سبك تراكيبه، و حسن صياغتها  
و جماليّة بنائه القصصي في سرد الأحداث و نسجها، و في دقّة وصفه  
و بلاغة تصويره و قوة بيانه ، و في التطلّع إلى معرفة بعض طرقه  
الحجاجيّة ، و الاستدلاليّة و أساليبه الإقناعيّة.

2- و لما كان القرآن رسالة شاملة و خالدة ، و يشتمل على جميع عناصر  
العملية التبليغيّة ، و كان مجال تخصّصي ، هو العلوم اللغوية و الاتصال  
الذي يهتم بهذا النوع من الدراسات ، وقع اختياري على سورة من سورته  
و قصّة من قصصه المتمثلة في (سورة يوسف) للوقوف على أساليب  
الحجاج و الإقناع التي تضمنتها، و للكشف عن بعض مواطن الجمال فيها  
كونها جاءت مميّزة - نوعا ما - عن باقي القصص القرآني، بعرضها لقصّة  
يوسف - عليه السّلام - كاملة وفق نسيج واحد، و محكم للأحداث  
من بدايتها بخلاف بعض الأنبياء و المرسلين الذين جاءت قصصهم موزّعة  
في كثير من سور القرآن الكريم كقصّتي موسى و عيسى - عليهما السّلام-.

3- الاطلاع على مختلف أشكال الحوار، الذي مورس بين شخصيّات قصّة  
يوسف ، نظرا لأهميّته التواصليّة، و الإقناعيّة و باعتباره يشكل مظهرا  
أخلاقيّا و سلوكيا حضاريّا في تواصل الأفراد و الشعوب و الأمم مع بعضها  
حيث أصبح يطلق اليوم على تواصل الشعوب و الأمم و تحاورها (حوار  
الحضارات).



4- الاستفادة من البناء القصصي (سورة يوسف)، و من أساليبها الحجاجية و الإقناعية للتّهوض بالقصة الفنية العربية و تطويرها بشكل خاص، و للرفع من مستوى الفنون الأدبية الأخرى عموماً.

5- إمكانية استغلال الطرق الحوارية و الأساليب الإقناعية و الأشكال الحجاجية التي اشتمل عليها القرآن الكريم بصفة عامة و سورة يوسف بصفة خاصة في الدعوة إلى الله - عزّ و جلّ- ، و تبليغ و نشر الرسالة الإسلامية.

6- الكشف عن القيم السامية و المقاصد النبيلة و الأخلاق الكريمة و العبر و الدروس التي اشتملت عليها سورة يوسف.

7- الاستفادة من أشكال الحوار و أساليب الإقناع القرآنية في لغة الحوار و التعامل اليوميّ بين الناس، و في تطوير مناهج و طرق التدريس و التعليم لديهم ، و لتبليغ و توصيل الأفكار و الدروس و الآراء و وجهات النظر في أسرع الأوقات و بأسهل الطرق .  
وحتى يوّتي هذا البحث ثماره و يحقق نتائج مرضية ارتأيت أن أقسمه إلى أربعة فصول: فصلان نظريّان ، حاولت من خلالهما التدرّج للوصول إلى طرح و طرق موضوع الإقناع كإطار عام لهذه الدراسة، و باعتباره عنصراً أساسياً و فعّالاً في نجاح العملية التواصلية، و فصلان تطبيقيّان، حاولت فيهما إبراز مختلف أساليب الإقناع و طرق الحجاج و الاستدلال التي اشتملت عليها (سورة يوسف) كموضوع للبحث.

فأمّا الفصل النظريّ الأوّل فعنوانته بـ «علم الاتصال : دراسة في الأسس و المفاهيم»، و تناولت هذا الفصل بالدراسة ، كون الإقناع هو غاية من غايات الاتصال و هدفاً من أهدافه، إذ يساهم في نجاح العملية الاتصالية أو التبليغية، فهو - إذن- جزء لا يتجزأ منها.

تطرقت في بدايته إلى تحديد مفهوم الاتصال لغة و اصطلاحاً، من خلال تعاريف علماء اللغة و الاتصال و علم الاجتماع ، و علم النفس...، ثم تعرّضت لمفهوم

الاتصال عند العلماء و الباحثين العرب قديما و حديثا، كمفهومه عند الجاحظ و ابن خلدون و السيوطي و غيرهم.

و عرّجت بعد ذلك إلى تحديد بعض الألفاظ التي جاءت في القرآن الكريم لتدلّ على معنى الاتصال كالتبليغ، و التعارف، و البيان لانتقل - بعد ذلك - إلى توضيح الفرق و الاختلاف الدلالي بين مصطلحي الاتصال و التواصل ثمّ انتقلت إلى ذكر أنواع الاتصال و أهدافه، ثمّ عرضت نموذج (هارولد لاسويل HAROLD LASSWELL) لعملية الاتصال، أسقطت هذا النموذج - في شكل مخطط - على الخطاب القرآني، بعد ذلك تطرقت إلى مفهوم العملية الاتصالية عند علماء و مهندسو الاتصال من خلال نموذج (شانون SHANNON) و (ويفر WEAVER). و أخيرا تطرقت إلى مفهوم الاتصال في اللسانيات الحديثة و بالضبط عند (فرديناند دي سوسير Ferdinand de Saussure) و (رومان جاكوبسون Roman Jakobson).

و أمّا الفصل النظري الثاني الموسوم بـ: «الإقناع: استراتيجياته و أساليبه» فحاولت فيه - إن صحّ التعبير - التأسيس للدراسة التطبيقية على سورة يوسف من خلال الإلمام بمختلف الأساليب الإقناعية و الطرق الحجاجية و الاستدلالات المنطقية الموظفة سواء في النصوص القرآنية أو النصوص الأدبية بصفة عامة. و تطرقت بداية إلى تحديد مفهوم الإقناع لغة واصطلاحا من خلال سرد و تقديم بعض التعريفات و الأقوال لعلماء غربيين و عرب. ثمّ انتقلت إلى عرض استراتيجيات الإقناع الثلاث بالشرح و التحليل و التمثيل و الاستشهاد من القرآن الكريم، و أولى هذه الاستراتيجيات، الاستراتيجية الدينامية النفسية و يعتمد فيها لتحقيق الإقناع على التأثيرات النفسية، و الانفعالات العاطفية، ثمّ الاستراتيجية الثقافية الاجتماعية التي تبنى على الموروث الثقافي للمجتمع كالأعراف و العادات و التقاليد، بالإضافة إلى ما يتعلمه الفرد و يتطبّع عليه داخل المجتمع، من ظواهر و سلوكيات، تسهم كلها في عملية التأثير و الإقناع، و أخيرا استراتيجية إنشاء المعاني التي تعتمد أساسا على اللغة لتغيير معان أو سلوكيات سابقة لدى الفرد أو تعديلها

ثم أشرت إلى بعض أساليب الإقناع البلاغية والمنطقية كأساليب التكرار، والتوكيد، والاستفهام التقريري والإنكاري، والتّمثيل، والحوار والجدل والحجاج، والاستدلال والاستقراء والقياس، والقص، والاستنتاج ....، وتناولت كل ذلك - أيضا - بالشرح والتحليل والاستشهاد بنماذج قرآنية، أو بعينات من موروثنا الأدبي .

وبعد هذا الغرض النظري، باشرت الدراسة التطبيقية - التي تعتبر لبّ الموضوع - لأعاج الفصول الثالث المعنون بـ: «البلاغة وأساليبها الإقناعية في سورة يوسف».

وبدأت بدراسة الحوار الذي دار بين شخصيات قصتها، نظرا لأهميته في العملية الإقناعية إذ يحمل في ثناياه مختلف الأساليب البلاغية والطرق الحجاجية والاستدلالات المنطقية، و ركزت على بعض المشاهد التي اختلفت فيها طرق الحوار باختلاف المواقف والأحوال، فقد تتغير لغة الحوار و نبرة الصوت من حال إلى حال، و قد تزداد أو تقلّ فيه أساليب الإقناع والحجاج من موقف إلى آخر ثم تناولت بالدراسة مختلف الأساليب البلاغية التي اشتملت عليها السورة كالتكرار والتوكيد والاستفهام وأغراضه وبخاصة غرض التقرير والإنكار، مبينا أهميتها في توصيل وتبليغ الرسالة موضحا أهميتها الإقناعية، ثم انتقلت لأسلوب الإضمار أو الإيجاز بالحذف، و وضحت أهميته في جعل المتلقي يعمل عقله لاستنتاج و بناء تلك المشاهد المحذوفة، وأثر ذلك على نفسيته من الناحية الجمالية و الإقناعية ثم تطرقت للتناسق الفني داخل السورة، المتمثل في تجاور الألفاظ و العبارات و انسجامها و وضحت تأثيرها في نفسية المتلقي.

و أما الفصل الرابع فعنوانته بـ «الاستدلال و المحاجة في سورة يوسف» و بدأت بتقديم تعريف موجز لكلّ من الاستدلال و المحاجة حتى أوضح الفرق بينهما. ثم انتقلت إلى عرض بعض الصور الحجاجية، و طرق و أساليب الاستدلال التي اشتملت عليها قصة يوسف - عليه السلام- و هي:

1- حجاج إخوة يوسف لأبيهم قصد إقناعه بفكرة اصطحاب يوسف معهم.

2- الاستدلال و المحاجة في قضية مرادة امرأة العزيز ليوسف عن نفسه.

- 3- حجاج امرأة العزيز لنسوة المدينة، حتى تردّ كيدهنّ.
- 4- الاستدلال و الحجاج في الدّعوة إلى الله - سبحانه و تعالى- باختيار الظرف و الموقف المناسبين للتبليغ.
- 5- المحاججة لإثبات براءة يوسف أمام الملك، و شهادة النسوة على حسن خلق يوسف و عقته و اعتراف امرأة العزيز بخطئها ، و صدق يوسف -عليه السّلام-.
- 6- و أخيرا حجّة يوسف - عليه السّلام - للإبقاء على أخيه.

واعتمدت في دراستي هذه المنهج اللساني التداولي لأنّه الأنسب لموضوع البحث فالتداوليّة نظريّة للتواصل و الإقناع معاً، إذ لا تهتمّ باللّغة كأداة اتصال و تواصل فقط و إنّما تدرس كلّ ما يحيط بالفعل الكلامي من مؤثرات نفسيّة و ثقافيّة و اجتماعيّة و من مبادئها: الحوار، الحجاج، السياق، الافتراض المسبّب و الإشارات ، و الأفعال الكلاميّة، و هذه المبادئ كلّها تخدم موضوع الإقناع.

و لقد اعتمدت في انجاز هذا البحث على جملة من كتب التفسير و أخصّ منها بالذّكر:

- تفسير ابن كثير (للإمام ابن كثير).
- الكشّاف (للزمخشري).
- تفسير التحرير و التنوير (الطاهر بن عاشور).
- صفوة التفسير (علي الصّابوني).
- تفسير الشعراوي (الإمام الشعراوي).

كما استفدت من بعض الكتب و الدّراسات التي اهتمّت بسورة يوسف و منها:

- كتاب « في التذوّق الجمالي لسورة يوسف » (لمحمد علي أبو حمدة).
- كتاب « سورة يوسف، دراسة تحليلية » (لأحمد نوفل).
- كتاب « سورة يوسف، قراءة نفسيّة » (لمصطفى مولود عشوي).

- كتاب « لغة الحوار في سورة يوسف، دراسة أسلوبية » (لأحمد جمال الدين). و غيرها من المصادر و المراجع التي أثرت البحث و أضفت عليه طابع العلمية.

و بعد أن تعرضت لأهم الأغراض و النتائج المستنبطة من هذه الدراسة و تقديم بعض الاقتراحات و التوجيهات في خاتمة هذا البحث، ذيلته بملحق ضمنته نص سورة يوسف نقلا عن المصحف الشريف حتى أمكن القارئ أو الدارس من الرجوع إليها و أسهل عليه عمليات الفهم و النقد و المناقشة دون أن يلجأ إلى المصحف، و حتى أضعه في جو القصة قمت بتعريف السورة و ذكر أسباب نزولها، و تلخيص أهم أحداثها.

و في الأخير لا يسعني إلا أن أقول بأنّ هذا البحث ما هو إلا محاولة متواضعة و جريئة للخوض في كتاب الله - سبحانه و تعالى - لاستنباط و دراسة أساليب الإقناع في (سورة يوسف) ، فإن أصبت فمن الله و إن أخطأت فمن نفسي ، و الله الموفق و المستعان

الفصل الأول : علم الاتصال : دراسة في الأسس و المفاهيم

يعتبر الاتصال بوصفه ظاهرة اجتماعية حيوية من أقدم أوجه النشاط الإنساني منذ أن خلق الله - سبحانه و تعالى - سيدنا آدم - عليه السلام - , فهو ضرورة حتمية في تكوين المجتمع الإنساني، إذ كيف يمكن أن يعيش الإنسان دون أن يتصل مع غيره؟! و هل يمكن أن يكون هناك مجتمع دون اتصال أو تواصل بين أفراده؟! هذا ضرب من المستحيل، إذ لا يمكن للفرد أن يعيش دون أن يتصل و يتواصل مع غيره ، فحاجته لذلك كحاجته للهواء و الماء و الغذاء ليحافظ على وجوده و بقائه . فالإنسان اجتماعي بطبعه، و لفظة اجتماعي تقتضي التعارف و التعايش و التعاون . حفاظا على البقاء و الاستمرار و التقدم و الازدهار.

فالالاتصال - إذن- ظاهرة أساسية لتعارف الناس و استمرار حياتهم

و تقدمها و في هذا يقول الله - عزّ و جلّ-: ﴿يَتَأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ

وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتَقْوَمُ ۗ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ

حَبِيرٌ ﴿١٣﴾ (1).

و كلمة «اتصال» تعددت مفاهيمها و تنوّعت مدلولاتها الثقافية باختلاف

المرجعيات العلمية و تعدد العلماء و الباحثين و الدارسين الذين تناولوا هذا المصطلح في شتى التخصصات (2) حيث يستخدمها مهندسو الاتصال للإشارة إلى الهاتف و التلغراف و الراديو ، و يستخدمها الأطباء في الإشارة إلى الأمراض المعدية، و يستخدمها علماء الاجتماع في الإشارة إلى العمليات التي يؤثر بها و عن طريقها الأفراد فيمن حولهم و ينظر علماء السياسة إلى المجتمعات على أنها نظم اتصال(3).

(1) الحجرات الآية 13

(2) ينظر: فضيل دليو: مقدمة في وسائل الاتصال الجماهيري، ديوان المطبوعات الجامعية، 1998 ص 17

(3) ينظر: كرم شلبي: معجم المصطلحات الإعلامية ط(1) دار الشروق بيروت 1989 ص 121

- يستنتج من هذا الكلام أنه على الرغم من اختلاف و تعدّد معاني و دلالات لفظة «اتّصال» في شتى التخصّصات إلا أنّها تشترك جميعا في أمر واحد و تصبّ في إناء واحد، ألا و هو علاقة الإنسان بغيره، و ارتباطه به و مشاركته له مما يؤكّد اجتماعيّة الإنسان.

## 1 - مفهوم الاتّصال:

كلمة «اتّصال» مشتقة من مادّة «وصل» التي تعني أساسا الصّلة و بلوغ الغاية نقول: «وصلت الشّيء وصلا و صلة... و الوصل خلاف الفصل اتّصل الشّيء بالشّيء يعني لم ينقطع، و وصله إليه و أوصله إليه أنهاء إليه و أبلغه إيّاه»<sup>(1)</sup> و وردت لفظة «اتّصال» (Communication) في القاموس الفرنسي بمعنى :

1 - عملية «اتّصال» أو «تجاوز» (Action de Communiquer).

2 - رأي، معلومة (Avis , Renseignement).

3 - محادثة هاتفية، (Conversation téléphonique).

4 - وسيلة ربط (Moyen de liaison)<sup>(2)</sup>.

و هي في الانجليزية مشتقة من الكلمة اللاتينية (communis) التي تعني الشّيء المشترك و فعلها (communicare) أي؛ يذيع و يشيع<sup>(3)</sup>، أو (Communicate) بمعنى : نقل، أوصل، بلّغ<sup>(4)</sup>.

و أمّا «الاتّصال» في الاصطلاح هو انتقال الأفكار و المعلومات بين النّاس داخل نسق اجتماعيّ معيّن، و قد يحدث بين شخصين أو أكثر، بين جماعة أو جمهور. يقول (كارل هوفلاند) (Karl hoffland)<sup>(5)</sup>: «الاتّصال هو العمليّة التي ينقل بمقتضاها الفرد (القائم بالاتّصال) منبّهات (عادة رموز لغويّة) لكي يعدّل سلوك

(1) ابن منظور : لسان العرب ، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط2، 1969، ص252

(2) Larousse – Dictionnaire de Français, Euro livres à Manche court. France 2005/ p : 81

(3) محمد سيد محمد : الإعلام و اللغة ، عالم الكتب ، القاهرة ، 1982 ، ص23

(4) محمد زيد محمود عزّت، قاموس المصطلحات الإعلام (إنجليزي - عربي) ط1 ، دار الشروق بيروت 1984 ، ص85

(5) كارل هوفلاند: عالم النفس الأمريكيّ ولد في 12 يونيو 1912 في شيكاغو ، و توفي 16 أبريل 1961 في نيو هافن (New Haven)



الأفراد الآخرين (مستقبلي الرسالة)»<sup>(1)</sup>، و حسب (تشارلز كولي) ( Charles Colley )<sup>(2)</sup>: «الاتصال هو ذاك الميكانيزم الذي من خلاله توجد العلاقات الإنسانية ، و تنمو و تتطور الرموز العقلية بواسطة وسائل نشر هذه الرموز عبر المكان ، و استمرارها عبر الزمان ، و هي تتضمن تعبيرات الوجه و الإيماءات و الإشارات و نغمات الصوت و الكلمات و الطباعة و الخطوط الحديدية و البرق و الهاتف»<sup>(3)</sup> و يرى عالم الاجتماع (شارلز ورايت)<sup>(4)</sup> «إن الاتصال هو عملية نقل معنى بين الأفراد»<sup>(5)</sup>.

ما يمكن استخلاصه من كل هذه التعريفات هو أن الاشتراك في معان و رموز محددة، شرط لتحقيق و استمرار التواصل بين الأفراد ، و تحقيق التفاعل من خلال تبادل الأدوار بين المرسل و المرسل إليه أثناء العملية الاتصالية حيث يصبح المرسل إليه مرسلا ، و المرسل مرسلا إليه.

فالاتصال -إذن- هو عملية التأثير و التأثير التي تحدث بين المرسل و المرسل إليه أثناء العملية الاتصالية - و هي المعبر عنها بالتفاعل - فتؤدي إلى التواصل و التفاهم بينهما مهما اختلفت أشكال الاتصال و أنواعه. و قد يؤدي هذا التفاعل بين طرفي الاتصال إلى حدوث عملية الإقناع.

## 2 - الاتصال عند العرب:

استقطب مفهوم «الاتصال» اهتمام الباحثين و الدارسين العرب قديما وحديثا - مفسرين ولغويين - فأخذ مكانة في الدراسة العملية التي لا تقل أهمية عن باقي

(1) جيهان أحمد شتى: الأسس العلمية لنظريات الإعلام، دار الفكر العربي القاهرة 1978، ص 50  
(2) تشارلز كولي: 1864-1929 ، عالم اجتماع أمريكي ساهم في نظرية التفاعل الرمزي و كذلك في عملية التنظيم الاجتماعي ، كما قام بتحليل أنواع الجماعات الاجتماعية و كذلك تصنيفها إلى 1- جماعات أولية 2- جماعات ثانوية. [www.wikipedia.org](http://www.wikipedia.org)  
(3) محمود عودة و السيد محمد خيرى : أساليب الاتصال والتعبير الاجتماعي بيروت : دار النهضة العربية 1988 ص7  
(4) شارلز ورايت: (1916-1962) ، استنادا إلى منظوره النقدي في علم الاجتماع ، اعتبر أن كل علم اجتماعي سياسي بالضرورة و أ، عليه أن يغير المجتمع و أن يكافح الأحكام المسبقة. [www.wikipedia.org](http://www.wikipedia.org)  
(5) نبيل عارب الجردي: مقدمة في علم الاتصال مكتبة الإمارات 1985، ص21

أبحاثهم؛ كونه يعتبر الأسلوب الناجع في نشر الدّعوة الإسلاميّة وتثبيت العقيدة و الدّفَاع عن الرّأي و وسيلة لإيراد البيانات والاستظهار بالأدلة. فقد أضى حافظاً لقيام الحضارة و تثبيت الهوية ، حيث يقول (ابن خلدون) : «يشتمل البيان البحث عن الدّلالة التي للهيآت و الأحوال»<sup>(1)</sup>.

والحديث في البيان واسع و لا حصر له، ذلك لأهميّة البلاغة في نجاح العمليّة الاتصاليّة التي تتماشى و التّقنيّات الحديثة في ظلّ الاتصال الجماهيري. فالدّلالة الظاهرة على المعنى الخفيّ ، هي البيان ، و من ذلك بحث المفسّرون واللّغويون العرب في وضع إطار للاتّصال - و هو ما يعرف بالبلاغة و البيان عندهم- و في هذا يقول أحدهم : « كان للعرب العاربة التي نزل بها القرآن بلغتهم بعض مخالطة لسائر الألسنة في أسفارهم ، فعلقت من لغاتهم ألفاظ غيرت بعضها بالّقص من حروفها، و استعملتها في أشعارها ، و محاوراتها ، حتى جرت مجرى العربيّ الفصيح و وقع بها البيان ، و على هذا الحدّ نزل بها القرآن»<sup>(2)</sup>.

فالكلام المنطوق و دواوين الشّعْر عند العرب القدامى -إذن - هي التي كانت تمثّل مظاهر الاتّصال و أساليبه. و لتجلية المعنى و تبليغ الرّسالة للمتلقّين و إقناعهم بمضمونها و فحواها، اعتمدوا البلاغة و البيان.

و على هذا الأساس ارتبط مفهوم الاتّصال عندهم بالبيان ، بل كان البيان ذاته ، حيث قال (الجاحظ) : « البيان اسم جامع لكل شيء كشف لك قناع المعنى و هتك الحجاب دون الضّمير ، حتّى يفضي السّامع إلى حقيقته، و يهجم على محصوله كائن ما كان ذلك البيان، و من أيّ جنس كان ذلك الدّليل

(1) عبد الرحمن بن خلدون : "المقدمة" ط3 ، دار الفكر العربي بيروت 2003 ص 550  
(2) جلال الدين السيوطي : الإتيان في علوم القرآن ط1 دار الكتاب اللبناني بيروت 2003، ص 334

لأنّ مدار الأمر و الغاية التي يجري إليها القائل و السّامع ، إنّما هو الفهم و الإفهام فبأيّ شيء بلغت الإفهام و أوضحت عن المعنى فذلك هو البيان في ذلك الموضوع»<sup>(1)</sup>.  
- يفهم من هذا التعريف أنّ الغرض من الاتّصال؛ ه و تحقيق الفهم و التفاهم بين طرفي الاتّصال -القائل و السّامع- مهما اختلفت و تنوّعت الأدلّة و الحجج.

و قد حاول بعض الباحثين و الدّارسين العرب المعاصرين تقديم و إعطاء تعريفات للفظ «الاتّصال» ، أذكر منها ما جاء في قول (الطنوبي) ، حينما يقول:  
«الاتّصال ما هو إلا عمليّة توصيل المعاني ، و هو يتضمّن كلّ الوسائل و الطّرق التي يمكن بها لعقل بشريّ غزو بشريّ آخر ، و التأثير فيه ، و هذا بالتأكيد يتضمّن بالإضافة إلى الكلمة الشّفوية و المكتوبة و الموسيقى و المسرح و الفنون التّصويرية كلّ أنواع السلوك الإنسانيّ»<sup>(2)</sup>.

لم يخرج (الطنوبي) في تعريفه هذا عمّا جاء في تعريف (الجاحظ) للبيان و كأمّي به حاول أن يشرح و يوضّح ما جاء فيه ، إلا أنّه أضاف عن الكلام الشّفويّ و المكتوب أشكالاً و أساليب أخرى للاتّصال غير مباشرة و هي الموسيقى و المسرح و الفنون التّصويرية و كلّ أنواع السلوك البشريّ لتبليغ الرّسالة إلى المتلقّين و التأثير فيهم و إقناعهم.

و عرف (إبراهيم إمام)الاتّصال على أنّه «حامل العمليّة الاجتماعيّة و الوسيلة التي يستخدمها الإنسان لتنظيم و استقرار و تغيير حياته الاجتماعيّة و نقل أشكالها و معناها من جيل إلى آخر عن طريق التّعبير و التّسجيل و التّعليم»<sup>(3)</sup>.

(1) الجاحظ أبو عثمان: البيان و التبيين ج(3) ط(4) المكتبة التجارية الكبرى القاهرة 1956 ، ص77  
(2) محمد عمر الطنوبي : نظريات الاتصال ط(1) مكتبة الإشعاع الفنيّة مصر 2001 ، ص12  
(3) عاطف عدلي، العيد عبيد: مدخل إلى الاتصال و الرأي العام ط(3) دار الفكر العربي القاهرة 1999 ، ص15

لقد حاول صاحب هذا التعريف التركيز على نوع من أنواع الاتصال ألا وهو الاتصال الجماهيري، و هذا بتبيان و توضيح أغراضه و غاياته المتمثلة في تغيير الحياة الاجتماعية و تحسينها و تطويرها عن طريق التعليم و التأريخ، و مختلف أشكال التعبير و التبليغ.

وترى (جيهان أحمد رشتي) أن الاتصال هو : « العملية التي يتفاعل بمقتضاها متلقي و مرسل الرسالة ، و في هذا التفاعل يتم نقل الأفكار و المعلومات بين الأفراد عن قضية معينة أو معنى مجرد أو واقع معين»<sup>(1)</sup>.

يُضح للدارس من خلال هذا التعريف أن صاحبه حاولت أن تركز فيه على علاقة التفاهم و المشاركة التي تحدث بين المرسل و المرسل إليه، فيتم بمقتضاها تبادل الأفكار و المعلومات بينهما.

و أمّا (زهير إحدادن) فيرى في كتابه «مدخل لعلوم الإعلام والاتصال»: «أنّ الإنسان يحتاج إلى الاتصال ، فقد اهتمّ العلماء بمعرفة كيف يتمّ هذا الاتصال و ما هي الوسيلة التي يستعملها الإنسان ليتّصل بغيره ، و يقع تبادل المعاني فإنه يبدو أنّ الوسيلة الفطرية السليمة هي الكلام ، غير أنّ الدراسات حول هذا الموضوع بيّنت أنّ الكلام أو اللغة ، و إن كان وسيلة سليمة للتبادل ، فهو غير كاف، و توجد وسائل أخرى للاتصال تستعمل بدون ألفاظ، و تستعمل كذلك كإفصاح أكثر للكلام»<sup>(2)</sup>

أشار صاحب هذا التعريف إلى وسائل و أنواع أخرى للاتصال غير اللفظية أي التي لا تعتمد على لغة الكلام كالرسومات و الإشارات و الموسيقى ، فتكون أكثر تعبيراً ، و أقوى تأثيراً من لغة الكلام ، بالإضافة إلى تلك الحركات

(1) جيهان أحمد رشتي: الأسس العلمية لنظريات الاتصال ص13

(2) إحدادن زهير: مدخل لعلوم الإعلام و الاتصال، المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر (دت) ص 11

و الإيماءات التي تصاحب الكلام ، فتزيد في عملية التوضيح و الإفهام و تقريب المعنى إلى الأذهان.

ما يمكن استخلاصه بعد عرض هذه التعريفات لمفهوم الاتصال هو اتفاقها جميعا على أن الاتصال هو تبادل أفكار و معلومات و خبرات بين مرسل و مرسل إليه و على هذا الأساس شمل التوافق بينها تحديد ثلاثة عناصر أساسية للعملية الاتصالية ألا و هي : المرسل و المرسل إليه و الرسالة. إن التباين فيما بينها يظهر نوعا ما في تعداد بعضها لأساليب الاتصال و أشكال التواصل و التعبير المختلفة المباشرة و غير المباشرة، اللفظية و غير اللفظية، حيث صنف بعضهم بعض الفنون الإنسانية مثل المسرح و الموسيقى و الرسم كأدوات و أساليب تعبير و اتصال. فهي و إن كانت غير مباشرة إلا أنها قد تكون أقوى تأثيرا و أكثر إقناعا من أساليب الاتصال المباشرة كالخطب و المحاورات و المناظرات و وسائل الاتصال الجماهيرية كالتلفاز و المذياع و الجرائد.

### 3 - الألفاظ الدالة على معنى الاتصال أو الإعلام في القرآن الكريم:

لم ترد كلمة «اتصال» في القرآن الكريم بلفظها و إنما وردت بمرادفاتها التي تؤدي معناها ، و هي: « لفظة التبليغ و مشتقاتها، و التعارف ، البيان ». و أمّا «الإعلام» فلم يرد في القرآن الكريم - أيضا - و إنما وردت بعض مضامينه من خلال اشتقاقات كلمة «علم» و في الوقت نفسه، لم يرد الإعلام «كوسيلة لأداء رسالات الأنبياء»<sup>(1)</sup> ، و إنما ورد مصطلح التبليغ. فما هو التبليغ؟

**التبليغ:** الاسم من البلاغ ، و هو ما بلغ من القرآن و السنة. و ذوا البلاغ و التبليغ؛ هم الذين بلغونا<sup>(2)</sup>. و البلاغ : الكفاية و الوصول إلى الشيء ، ما بلغك :

(1) مازن مرتضى: " الإعلام و التبليغ " قراءة في المصطلح و الوسائل ، موسوعة أطلس " الشبكة المعلوماتية - انترنت - ابن منظور ، لسان العرب - مادة بلغ - الجزء الأول ، مصدر سابق ص 255

ما يتبلّغ به و يتوصّل إلى الشّيء المطلوب (1) ب «و هو من البلغة» ، و البلغة : طفيف من الطعام يتبلّغ به. و البلاغة : هي كذلك مختزل من القول النافذ والمعبر ، فقد قالوا: البلاغة: الإيجاز.

و لقد وردت لفظة «البلاغ» و مشتقاتها في القرآن الكريم دالة على معنى الرسالة السماوية أو على حثّ أمر الله - سبحانه و تعالى- لأنبيائه و رسله بتوصيلها إلى عباده ، و إعلامهم و إقناعهم بها. و من ذلك قوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيَ الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ

إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴿٧٧﴾ (2)

يأمر الله - عزّ و جلّ - في هذه الآية الكريمة رسوله محمداً - صلى الله عليه و سلم- بأن يبلغ القرآن كله ، بدون استثناء ، فلا يمتنع و لا يقصّر في تبليغه، أو تبليغ بعضه خوفاً من الناس أو إرضاء لهم ، و إن يفعل ذلك فما بلغ رسالة ربّه و يطمئنه - عزّ و جلّ - بأنّه سيحفظه و يحميه من أذى الناس و بطشهم.

و جاء على لسان هود - عليه السلام- في دعوة قومه إلى الله و حاجته لهم، قوله - سبحانه و تعالى- : ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْاْ فَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ مَا أُرْسِلْتُ بِهِ إِلَيْكُمْ وَيَسْتَخْلِفُ

رَبِّي قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْئًا إِنَّ رَبِّي عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ ﴿٥٧﴾ (3)

أي إن تعرضوا عما جئكم به من عبادة الله ربكم وحده لا شريك له فقد قامت عليكم الحجة بإبلاغي إياكم رسالة الله التي بعثني بها(4).

(1) محمد رضا : معجم متن اللغة ، مجلد 1 منشورات دار الحياة بيروت 1908ص340

(2) سورة المائدة الآية 67

(3) سورة هود الآية 57

(4) ينظر: ابن كثير ، تفسير ابن كثير ، ج2 دار الفكر،بيروت1986ص291

و أما في قوله: ﴿ هَذَا بَلَّغٌ لِلنَّاسِ وَلِيُنذِرُوا بِهِ ۗ وَلِيَعْلَمُوا أَنَّمَا هُوَ إِلَهُ وَاحِدٌ ۗ ۝۵۲ ﴾

وَلِيَذَّكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿٥٢﴾ (1)

بمعنى أن هذا القرآن رسالة للناس، تنذرهم وتحذّرهم من الشرك بالله - سبحانه وتعالى- و عصيانه و ما ينجرّ عنهما من عذاب شديد يوم القيامة. و تبين لهم العقيدة الصحيحة السليمة المتمثلة في إثبات وحدانية الله - عزّ و جلّ - و إفراده بالعبادة. و بهذه الرسالة (القرآن) يتذكّر و يتعظّ و يتدبّر ذوا العقول.

و يمكن للقارئ أو الباحث من خلال هذه الشواهد القرآنية أن يتوصّل إلى أن لفظتي (اتصال) أو (إعلام) لم تذكر في القرآن الكريم و إنما ذكرت لفظة «البلاغ» و مشتقاتها، و يمكن فهم معنى الاتصال أو الإعلام في خضم العملية الاتصالية الربانية التي تقوم على تبليغ الرسالة الإلهية و الدعوة عن طريق الرّسول و الأنبياء «التبليغ إذن مصطلح إسلامي قرآني، و الدليل هو كثرة ورود هذه المادّة و مشتقاتها في المعنى الإعلامي المعروف في القرآن الكريم» (2).

فبالإضافة إلى لفظة « التبليغ » و مشتقاتها التي دلّت على معنى الاتصال والإعلام في القرآن الكريم، فهناك لفظان آخران يفيدان هذا المعنى و هما : التعارف و البيان :

- أما **التعارف**: ففعله (تعارف) على وزن تفاعل ؛ الذي يفيد المشاركة بين مرسل و متلقّ ؛ حيث يكون بينهما تبادل الخبرات و التجارب و المعلومات و الأفكار

(1) سورة ابراهيم الاية 52

(2) مازن مرتضى : الإعلام و التبليغ ، قراءة في المصطلح و الوسائل،موسوعة أطلس العالم.

والعواطف و غيرها بواسطة اللغة، فالتعارف يقتضي الاتصال أو التواصل بين الناس و لا يمكن أن يحدث التعارف بدون ذلك مصداقا لقوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ

إِنَّا خَلَقْنَكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ۗ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتَقَىٰكُمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١﴾ (1).

- و أما البيان: و إن سبقت الإشارة إليه في قول (الجاحظ) فلا بأس من التذكير هاهنا، فهو من الفعل (بين)، بمعنى أوضح و أفهم، و في قوله تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ ﴿١﴾

عَلَّمَ الْقُرْآنَ ﴿٢﴾ خَلَقَ الْإِنْسَانَ ﴿٣﴾ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ ﴿٤﴾ (2)

يقول (سيد قطب): «إتنا نرى الإنسان ينطق و يعبر و يبين و يتفاهم و يتجاوب مع الآخرين فننسى بطول هذه الألفة عظمة هذه الهبة و ضخامة هذه الخارقة، فيردنا القرآن إليها، و يوقظنا لتدبرها في مواضع شتى» (3) مثل آيات سورة (الرحمن) التي سبق ذكرها ﴿الرَّحْمَنُ ﴿١﴾ عَلَّمَ الْقُرْآنَ ﴿٢﴾ خَلَقَ الْإِنْسَانَ ﴿٣﴾ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ

﴿٤﴾ (4) و قوله تعالى: ﴿أَلَمْ نَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ ﴿٨﴾ وَ لِسَانًا وَ شَفَتَيْنِ ﴿٩﴾ (5).

و مادامت لفظة (التبليغ) و مشتقاتها هي الوظيفة بشكل كبير في القرآن الكريم لتدل و تشتمل معنى الاتصال و الإعلام ، فلماذا لا يعمم هذا المصطلح في اللغة العربية باعتبار أن القرآن هو مصدر قوتها و سر جمالها؟!

يقول (مازن مرتضى): « هناك فارق جذري بين «الإعلام الغربي» و «التبليغ الإسلامي»، يتمثل بشكل أساسي في الهدف، فالهدف من التبليغ الإسلامي الإنساني

(1) سورة الحجرات الآية 13

(2) سورة الرحمن الآية 1-2-3-4

(3) سيد قطب: في ظلال القرآن، مج 6 ط15 دار الشروق بيروت 1988ص3446

(4) سورة الرحمن ، الآية 1-4

(5) سورة البلد ، الآية 8-9



يفرز بين الخير و الشرّ، و يقدّم الخير إلى الإنسان، و يبعد الشر عنه، في كلّ مكان متّخذاً من أجل ذلك وسائل مشروعّة، و مبتعداً عن كلّ الوسائل المبتذلة، في حين لا يبالي الإعلام الغربيّ بالهدف، و ليس هناك فرز بين الخير و الشرّ، فالخبر المثير مهما كانت نتائجه، هو المقدّم في ذلك الإعلام، و ليس هناك أي تحقّظ في استخدام أيّة وسيلة في سبيل تحقيقه و وصوله إلى أكبر عدد من الأفراد و المجتمعات و أكبر عدد من البلدان في العالم»<sup>(1)</sup>.

و إذا كان الهدف الأساسيّ للإعلام الغربيّ هو نقل الخبر المثير إلى أكبر عدد من الأفراد و المجتمعات و البلدان بأيّ طريقة كانت دون مراعاة لأيّ أخلاق أو نتائج وخيمة تنجرّ عنه، حيث الغاية تبرّر الوسيلة، فالمهمّ هو الهيمنة الإعلامية و التجاريّة و الغزو الفكريّ و الثقافيّ، فإنّ التبليغ الإسلاميّ هدفه أسمى و أنبل، يتمثّل في حبّ الخير للإنسان في كلّ مكان و يسعى إلى إبعاد الشرّ عنه، فهو إذن تبليغ أخلاقيّ ببناء، أفليس هذا أمراً يحتمّ و يفرض على العرب و المسلمين انتهاج المنهج القرآنيّ الربّانيّ ألا و هو «التبليغ»؟

#### 4 - الفرق بين الاتصال و التّواصل:

عرف العصران الحديث و المعاصر تطوّراً ملحوظاً و كبيراً في وسائل الإعلام و تكنولوجيا الاتّصالات، الأمر الذي قرّب المسافات، و سهّل عمليّة نقل الأخبار، و تبادل المعلومات و الخبرات بين الأفراد و المجتمعات في مختلف أرجاء العالم في ظرف زمنيّ قياسيّ، فأصبح العالم كأنّه قرية صغيرة، خاصّة بعد اكتشاف و انتشار الشبّكة المعلوماتيّة أو العنكبوتيّة (الإنترنت).

و لقد أدّى هذا التطوّر الكبير الهائل في تكنولوجيا الإعلام و الاتّصال إلى تداخل بين مصطلحي «الاتّصال» و «التّواصل» من حيث مدلوليهما، فكثيراً ما نصّادف

(1) مازن مرتضى: الإعلام و التبليغ مرجع سابق.

ففي قراءتنا اللسانية المعاصرة عدّة كلمات متباينة في دوالها في الوقت الذي لا يعني بها أصحابها إلا مفهوما واحدا و من هذه الكلمات بالنسبة لما نحن فيه ، الاتصال ، التّواصل ، و التّوصيل، و التّبليغ و البلاغ<sup>(1)</sup>.

و يرجع هذا الخلط و التّداخل بين المفاهيم إلى ما يسمّى في الوقت المعاصر بإشكاليّة المصطلح ، ذلك المصطلح العلميّ الذي يترجم من لغة أجنبيّة ما كالفرنسيّة أو الإنجليزيّة مثلا ، فتتعدّد و تختلف ترجمته من مترجم لآخر ، على حسب المستوى العلميّ و الثقافيّ و إتقان اللّغتين المترجم منها و المترجم إليها ، فإن كان الاتّصال و التّواصل كلاهما ينتمي و ينتسب إلى المجال نفسه ألا و هو الإعلام أو التّبليغ، فما الفرق بينهما؟

للّقاء على هذا المشكل حاول بعض الباحثين و الدّارسين العرب تبيان الفرق بين المصطلحين بتقديم تعاريف و خصائص مميّزة لكلّ مصطلح ، و من هؤلاء:

( مختار محمّد أبو الخير ) : الذي يرى أنّ كلمة (تواصل) على وزن (تفاعل)، أمّا كلمة (اتصال) فهي على وزن (افتعال)... وحدّد الفرق بينهما بتقديم تعريف للتّواصل مفاده هو ذلك التّأثير المتبادل بين طرفي عمليّة التّفاعل المواجهية، أين يجد الأفراد الحريّة في التّعبير عن أنفسهم فهو يخلق مناخا نفسيا و اجتماعيا ملائما للمناقشات الجماعيّة<sup>(2)</sup>

فمصطلح التّواصل حسب هذا التّعريف يتطلّب اشتراكا بين المرسل والمتلقّي، في عمليّة بثّ و تلقّي الرّسالة.

(1) عبد الجليل مرتضى: اللغة العربية و الاتصال مجلة المجلس الأعلى للغة العربية ، أعمال الموسم الثقافي الجزائري 2000 ص 51  
(2) ينظر محمد أبو الخير : التّواصل و الاتصال،المجلة الجزائرية للاتصال العدد 08، 1992ص49

و يبيّن (محمود عودة) الاختلاف بينهما ، و ذلك انطلاقا من الحركة الانتقاليّة للأفكار و المعلومات المتداولة بين طرفيّ عمليّة الاتصال ، و التي تشكّل محور الرّسالة الإبلّغية و هي مقسّمة لديه على النحو التالي:

أ - الانتقال الأحاديّ الخطّ للمعلومات .

ب - الانتقال الثنائيّ الخطّ للمعلومات .<sup>(1)</sup>

و يمثل الانتقال الأحاديّ الخطّ ظاهرة الاتّصال التي تقوم على مركز الإرسال ، و مركز الاستقبال ، أي: على عنصريّ البثّ و المتلقّي ، الذي يكون إنسانا أو آلة تبثّ الرّسالة ليستقبلها دون المشاركة في إعادة تركيب الرّسالة و بثّها مجدّدا ، و في هذه الحالة يمثل البثّ بعدا إيجابياّ يتمحور في عمليّة الإبلّغ ، بينما يمثل المتلقّي بعدا سلبياّ يتمحور في عمليّة التلقّي دون التّبادل أو المشاركة في عمليّة البثّ ، فهذا المحور - محور الاتّصال - يمكن إدراجه فيما يعرف بالاتّصالات الجماعيّة في حين يمثل الانتقال الثنائيّ الخطّ ظاهرة التّواصل التي تتلخّص عادة في التّبادل الكلامي بين فردين أو مجموعة أفراد يشاركون في تبادل المعلومات و الأفكار بشكل دوري مستمر ، فبعد أن يستقبل المتلقّي أنماطا معيّنة من الرّموز التي تمّ اختيارها و تركيبها من قبل البثّ ، يقوم هذا الأخير بتخزينها و تأويلها ، ثم فكّها و تركيبها مجدّدا في شكل رسالة مبلّغة، و في هذه الحالة يمثل البثّ و المتلقّي عنصريّين إيجابيين في ظاهرة بثّ و تلقّي الرّسائل.

و بناء على ما سبق ، فإنّ (الاتّصال) يختلف عن (التّواصل) في أنّه له مجال معيّن يستعمل فيه ، إذ ينحصر في مستوى عام كالمرح و السينما و الإذاعة و الاتّصال السلكي و اللاسلكي، و غير ذلك من الوسائل الموجهة للمتلقّي ، أمّا التّواصل فمجاله محدود قائم أساسا على فردين أو مجموعة أفراد يشكّلون في تبادل المعلومات و الخبرات بشكل مستمرّ.

(1) ينظر محمود عودة : أساليب الاتصال و التغيير الاجتماعي، دار المعرفة الجامعيّة 1998 ، ص6

و في ذات السّياق يقول (أحمد يوسف) : « لا بدّ أن نضع في حسابنا الفرق الذي تتيحه لنا مفردات اللّغة العربيّة بين مصطلحي الاتّصال و التّواصل ، إذ أنّ الاتّصال قد يحدث حتى بين الموجودات غير البشريّة بينما التّواصل يتطلّب مبدأ الشّراكة و التّعاون و التّفاعل بين الذوات ، حيث المرسل مرسل إليه و المرسل إليه مرسل»<sup>(1)</sup>.

و المثير في الأمر أنّ التّداخل بين هذين المصطلحين لا يزال مطروحاً بنسب متفاوتة ، لاسيما في حقل الدّراسات اللّسانيّة ، و من الأمثلة على ذلك اعتماد (مازن الوعر) لفظة «التّبلغ» و «الاتّصال» مرادفين لبعضهما فيقول في هذا الشّأن: "عندما نرى متكلّمين يتكلّمان اللّغة العربيّة مثلا فإن ذلك يعني أكثر من استعمال النّطق المشترك أو النّظام النّحويّ الذي ينظّم الكلمات نفسها بعملية فكريّة معقّدة ... إنّ هذا الإجراء الكلاميّ يعني أنّهما بدأ يفهمان بعضهما بعضا بتلك العمليّة التي تسمّى عمليّة التّبلغ أو الاتّصال"<sup>(2)</sup>.

و لما كان المتكلّمان يفهمان بعضهما بعضا باستعمال النّطق المشترك ، أو النّظام النّحويّ الواحد - على حسب قول (مازن الوعر) - فكان من الأفضل أن يوظّف لفظة «تواصل» بدل لفظة «اتّصال» لأنّ هذا الأخير ليس شرطاً أن يتحقّق به الفهم و التّفاهم ، و تبادل أطراف الحديث بين المرسل و المتلقّي أو ما يصطلح عليه بـ **رجع الصّدى** ، أو **التّغذية المرتدّة** كأن يتحدّث أحد إلى غيره بلغة لا يجيدها أو لا يفهمها ، أو أن يحدثه بمستوى علميّ و ثقافيّ أعلى من مستواه ، فهاهنا يحدث الاتّصال دون أن يتحقّق التّواصل لعدم فهم المتلقّي للرّسالة التي سمعها من القائم بالاتّصال.

(1) أحمد يوسف : سيميائيات التّواصل و فعاليات الحوار ط1 مكتبة الرّشاد سيدي بلعباس الجزائر 2004 ص12  
(2) مازن الوعر : قضايا أساسية في علم اللّسانيات الحديث ط1 دار طلاس دمشق 1993 ص 30 - 31

## 5 - عناصر العملية الاتصالية

تعتمد عملية الاتصال على مجموعة من العناصر المتصلة و المتداخلة و المتشاركة مع ظروف نفسية و اجتماعية تؤثر في النهاية على انتقال الأفكار و المعلومات بين الأفراد و هذه العناصر هي كالاتي:

1- المرسل : "Emetteur" ، هو منشئ الرسالة الذي يؤثر في الآخرين «المتلقين» بشكل معين عن طريق عرض أفكار أو معلومات أو آراء أو غيرها ، و يعرفه (أحمد زكي) بقوله: " هو الذي يصوغ فكرة في شكل رموز معينة و يبعثها في شكل معلومات أو أفكار أو آراء أو معان إلى الآخرين " (1) ، و يعتمد نجاح الرسالة في تبليغ المعنى على حسن اختيار الرموز من قبل المرسل لكي يعبر عن فكرته بدقة و وضوح.

قال تعالى: ﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَا تُسْأَلُ عَنْ أَصْحَابِ الْجَحِيمِ ﴾ (111)

(2) و قال تعالى في آية أخرى: ﴿ كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِّنكُمْ يَتْلُوا عَلَيْكُمْ

ءآيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ

﴿ (3) ، فمصدر الإرسال في هاتين الآيتين الكريمتين هو الله - سبحانه وتعالى-

و ما دلّ على ذلك هو ضمير الجمع المتكلم الذي يعود على ذاته العلية ( إنا ، نون الجماعة في «أرسلنا، آياتنا» ) و هناك الكثير من الآيات في القرآن الكريم التي تدلّ على المرسل و التي لا يتسع المقام لذكرها كلها،

(1) أحمد زكي بدوي: "معجم مصطلحات الإعلام" دار الكتاب المصري القاهرة 1985 ص44

(2) سورة البقرة الآية 119

(3) سورة البقرة الآية 151

والاختلاف يكمن في شخصية المرسل في حد ذاته ، فمثلا قوله تعالى  
 في سورة (يوسف) : ﴿ فَأَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكًا وَآتَتْ  
 كُلَّ وَاحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتِ اخْرُجْ عَلَيْهِنَّ ۗ فَأَمَّا رَأَيْتَهُنَّ أَكْبَرْتَهُنَّ وَحَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ  
 حَاشَ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ﴿٣١﴾ (1). فالمرسل هنا يتمثل  
 في امرأة (العزیز) .

**2 - المتلقي :** " Récepteur " ، و هو مستقبل الرسالة و هو طرف ضروري  
 وعنصر أساسي في العملية الاتصالية سواء أكان هذا المتلقي فردا أو جماعة  
 أو مؤسسة أو جمهورا أو جماهيريًّا . (2) و الذي يتلقى محاولات التأثير الصادرة  
 عن المرسل و التي على إثرها يتجاوب و يتفاعل معه فأثناء الحديث أو الكلام السامع  
 هو المتهم و أثناء الكتابة القارئ هو المتهم ، باعتبار كل منهما متلقٍ ، و قد يكون  
 هو نفسه المرسل، كما هو الحال في الاتصال الذاتي، قال - سبحانه و تعالى- : ﴿ وَمَا

أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٦﴾  
 (3) فالمستقبل في هذه الآية الناس كافة لأن الإسلام رسالة لكل البشر و رحمة  
 للعالمين. وقال تعالى: ﴿ وَمَا كُنْتَ تَرْجُو أَن يُلْقَىٰ إِلَيْكَ الْكِتَابُ إِلَّا رَحْمَةً مِّنْ  
 رَبِّكَ ۗ فَلَا تَكُونَنَّ ظَهِيرًا لِّلْكَافِرِينَ ﴿٤٦﴾ (4) ، و لذا قال تعالى: ﴿ وَإِنَّكَ لَتُلْقَىٰ

(1) سورة يوسف الآية 31

(2) ينظر صلاح خليل أبو الأصعب : الاتصال الجماهيري ، ط1 دار الشروق عمان 1999 ص12

(3) سورة سبأ الآية 28

(4) سورة القصص الآية 86

الْقُرَّانَ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ ﴿٦﴾<sup>(1)</sup>، فالمتلقي في هاتين الآيتين الكريمتين هو

الرسول - عليه الصلاة والسلام -، يرى (القرطبي) في تلقي معناه فهم وفطن وقيل قبل و أخذ ، و كان يتلقى الوحي أي يستقبله و يأخذه و يتلقفه ، نقول خرجنا نتلقى الحجيج أي نستقبلهم<sup>(2)</sup>.

**3 - الرسالة: "Message"** ، هي أساس و لبّ العملية الاتصالية ، و نعني بالرسالة المعلومات أو الآراء أو المشاعر أو الاتجاهات التي يرغب القائم بالاتصال بنقلها إلى الآخرين عبر الرموز التي قد تكون صوتية مثل الكلام أو صورية مثل الكتابة أو حركية مثل الإشارات أو قد تكون خليطاً من أشكال الرموز هذه<sup>(3)</sup>، و في هذا الشأن يقول ( أبو الهلال العسكري ) : «الرسالة هي جملة من البيان يحملها القائم بها ليؤديها إلى غيره»<sup>(4)</sup>.

و هناك ثلاثة أمور يجب أخذها بعين الاعتبار بالنسبة للرسالة الأ و هي:  
كود الرسالة (الرموز) - مضمون الرسالة - معالجة الرسالة.

### أ - الشفرة: Code

وهي عبارة عن مجموعة من الرموز توضع في ترتيب معين فتشكل للمتلقى مغزى يفهمه إذا كانت الرسالة معبرة عن مضمونها ، و ذات معنى محدّد يتناسب مع مقصد المرسل ، و مثل ذلك في القرآن الكريم ما جاء في سورة (يوسف) من رؤى قال تعالى: ﴿وَقَالَ الْمَلِكُ إِنِّي أَرَى سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ

(1) سورة النمل الآية 06

(2) ينظر القرطبي : الجامع لأحكام القرآن ، ج 1 ط 2 دار إحياء التراث العربي بيروت 1952 ص 323

(3) ينظر صلاح خليل أبو أصبع : الاتصال الجماهيري ، مرجع سابق ص 12

(4) أبو هلال العسكري : الفروق في اللغة ط 4 دار الأفاق الجديدة بيروت 1963 ص 284

عِجَافٌ وَسَبْعٌ سُنِبِلَتْ خُضْرٍ وَأُخْرَىٰ بَدَسَتْ<sup>ط</sup> يَتَأَيَّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي رُءْيَايَ إِنْ كُنْتُمْ

لِلرُّءْيَا تَعْبُرُونَ ﴿٤٣﴾ (1)

و فهم سيّدنا يوسف -عليه و على نبينا السّلام - رموز رؤيا الملك و تمكّن من تأويلها و تفسيرها ، بفضل ما وهبه الله - سبحانه و تعالى- من علم و حكمة .

### ب - المضمون: "Contenu"

يعرف المضمون بأنه مادّة الرّسالة أو محتواها و الذي يختار من طرف القائم بالاتصال ليعبّر به عن هدفه و مغزاه ، فهو العبارات التي تقال و المعلومات التي تقدّم و الاستنتاجات التي تستنبط و الأحكام التي تقترح قال -عزّ وجلّ-: ﴿قَالَ إِنِّي

عَبْدُ اللَّهِ ءَاتَنِي الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا ﴿٤٣﴾ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي

بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴿٤٤﴾ وَبِرَأْيِ بَوَالِدِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا ﴿٤٥﴾

وَأَسْلَمْتُ عَلَىٰ يَوْمٍ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ﴿٤٦﴾ (2)

ما يستخلص من الآيات أن سيّدنا عيسى -عليه السّلام- فصلّ مضمون رسالته إلى قومه و دافع عن والدته ، و أقام عليهم الحجّة فلم يبق لهم إلا إتباع طريق الهدى بــــعد أن تبين لهم الحقّ ، أو الضلال باتّباع هوى الشيطان .

### ج - معالجة الرسالة: "Traitement de message"

تتمثل في الطريقة أو الكيفيّة التي يقدّم بها المرسل مضمون رسالته و في اختيار الرّموز و الشفرة المناسبة لها، فقد يختار المرسل رسالة

(1) سورة يوسف الآية 43

(2) سورة مريم الايات 30... 33



معينة و يحدّد فيها المعاني والأدلة التي يريدها ، و لا يذكر كلّ الحقائق أو التفاصيل فيها ، حيث يترك للمتلقّي مهمّة إنهاء الجوانب التي لم تذكر. و هكذا تتحقّق أهداف كلّ فرد في اتّخاذ القرارات الأفضل ، قال تعالى: ﴿إِذْ أَوْى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ فَقَالُوا

رَبَّنَا آتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا ﴿١٠﴾ (1) في هذه الآية الكريمة

إيجاز بالحذف حيث لــــم يذكر الله - سبحانه وتعالى- أسماء الفــــتية وملابسهم و زمانــــهم و مكانهم و غيرها من التفاصيل بل ركّز على القيم و العبر فيها ، أي أنه عالج ما هو مستهدف في الرّسالة و ما هو مهمّ.

#### 4 - الوسيلة (الفتاة): "Canal"

الوسيلة هي الوسيط لنقل الرّسالة من المرسل إلى المرسل إليه، و قد تكون الوسيلة سمعيّة مثل: الخطب و المحاضرات و الإذاعة، أو بصريّة كــــما في المطبوعات (كتب، صحف، مجلات، صور، ملصقات...) أو سمعيّة بصريّة مثل التلفزيون أو السيّما أو الفيديو أو قد تكون الحواس الإنسانية من سمع و بصر و شم و ذوق و لمس كما هو الحال في الاتصال الذاتي (2) قال تعالى: ﴿يَتَأْتِيَ الرَّسُولُ بَلِّغْ

مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ <sup>ص</sup> وَإِنْ لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ <sup>ع</sup> وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنْ

النَّاسِ <sup>ط</sup> إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴿٦٧﴾ (3).

و يرى كلّ من (حسن عماد مكاوي) و (ليلى حسين السيّد) أنه توجد عوامل

تتحكم في استخدام وسيلة الاتّصال و هي:

(1) سورة الكهف الآية 10

(2) ينظر إبراهيم أبو عرقوب الاتّصال الإنساني ودورة في التفاعل الاجتماعي مرجع سابق : ص 40-41

(3) سورة المائدة الآية 67

أ - طبيعة الفكرة المطروحة أو الهدف الذي يسعى إلى تحقيقه من خلال رسالة معينة.

ب - خصائص الجمهور المستهدف.

ج - تكاليف استخدام الوسيلة بالنسبة لأهمية الهدف المطلوب تحقيقه.

د - عامل الوقت و أهميته بالنسبة للموضوع المتناول.

هـ - مزايا كل وسيلة و ما تحققه من تأثير على الجمهور المستهدف.

## 5 - التشويش: "Noise"

هو عائق أو مانع يتدخل إثر انتقال الرسالة من المرسل إلى المتلقي فيقلل من فعاليتها أو يدفع إلى تغيير معناها محدثا سوء الفهم ، والتأويل الخاطئ يجعل الرسالة تنحرف عن هدفها ، فالتشويش يعيق عملية الاتصال لأنه يقلل من فعاليتها الرسالة، وهو نوعان<sup>(1)</sup> :

أ- تشويش ميكانيكي: (آلي) وهو أي تدخل فني يطرأ على إرسال

الإشارة في طريقها إلى المتلقي مثل : وجود عيوب في صوت

المرسل أو استخدام ترددات غير مناسبة في الإرسال ، أو ضعف حاسة

السمع أو البصر عند المتلقي ، وقد يحدث نتيجة مؤثرات نفسية (كالشروخ

الذهني ، التفكير ، السهو ، ...) وقد ينبثق عن مؤثر جسدي

(ألم ، صداد ، نعاس...).

ب - تشويش دلالي : يحدث داخل الفرد حين يسيء الناس فهم بعضهم

البعض لأي سبب من الأسباب وحين تختلف المعاني لديهم لنفس الكلمات والعبارات

فقد يستخدم القائم بالاتصال في رسالته كلمات وعبارات مختلفة للتعبير

عن المعنى نفسه ، فلا يفهم المتلقي بعضها أو يسيء فهم بعضها ، فسوء الفهم

(1) ينظر حسن عماد مكاوي و ليلي حسين السيد ، الاتصال و نظرياته المعاصرة، ط3 دار المصرية القاهرة 2002 ص50-51

أو عدم الفهم الجيد لمعاني الرسالة يعتبر نوعاً من التشويش الدلالي ، وكلما زاد التشويش قلت فعالية الرسالة .

و من أمثلة ذلك في القرآن الكريم قوله تعالى : ﴿ وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ

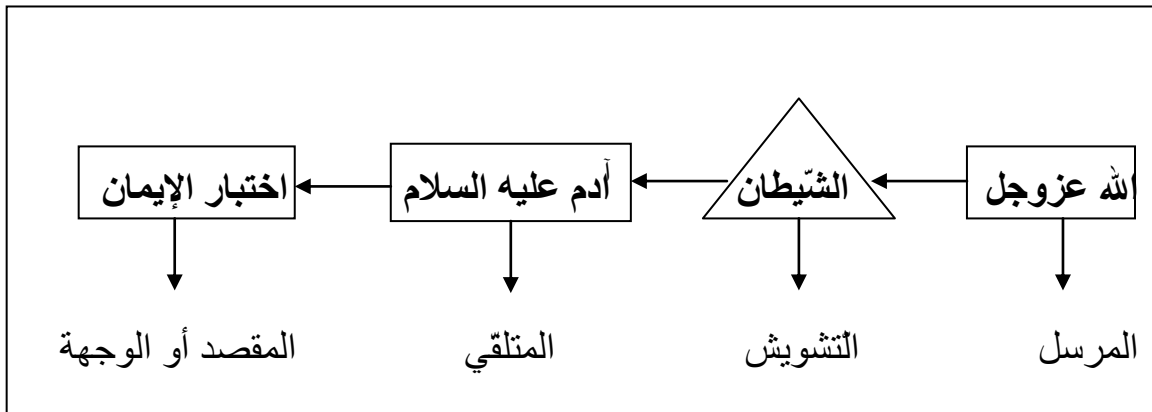
الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٢٠﴾

فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ ۖ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ

وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٢١﴾ (1) ففي هاتين الآيتين الكريمتين يتدخل

الشيطان كعنصر أو مصدر تشويش بين طرفي عملية الاتصال ، الله -عز وجل-  
 و آدم -عليه السلام- ، فالشيطان وسوس لسيدنا (آدم) وأمنا (حواء) بأن يأكلا  
 من الشجرة التي نهاهما الله عنها ، بغرض أن يعصيا الله -سبحانه وتعالى-  
 ولا يستجيبا لنهيهِ ﴿ولا تقربا هذه الشجرة﴾ وأيضا حسدا لما هما فيه من نعيم ، فكان  
 الشيطان عائقا حقيقيا في العملية الاتصالية إذ تمكن فعلا من إغراء آدم -عليه السلام-  
 وزوجه .

ويمكن التمثيل لهذه العملية الاتصالية بالمخطط الآتي :



(1) سورة البقرة الآيتان 35 - 36

- يقول الطنوبي: « إنَّ التَّشْوِيشَ هو أيُّ شيءٍ يُوَثِّرُ على كَافةِ عمليَّةِ الاتِّصالِ البشريِّ » (1).

## 6 - رَجْعُ الصِّدْيِ "Feed Back"

يقصد إعادة المعلومات للمرسل حتى يستطيع أن يقرّر ما إذا كانت الرّسالة حققت أهدافها أم لم تحقق.  
كما أنّ رَجْعَ الصِّدْيِ يشجّع المرسل على الاستمرار في بثّ رسالته ويقنعه بأنّها أدّت مهمّتها وحققت هدفها ، أو العكس هنا ينبغي على المرسل أن يعيد تشكيل وبناء رسالته من جديد . ومن أمثلة ذلك في القرآن الكريم قوله تعالى : ﴿ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ

وَجَبَّيْنَاهُ مِنَ الْعَمْرِ وَكَذَلِكَ نُجِي الْمُؤْمِنِينَ ﴾ (2)

و رَجْعُ الصِّدْيِ في هذه الآية الكريمة يتمثل في استجابة الله - سبحانه و تعالى- لدعاء يونس - عليه السّلام - بأن نجاه من بطن الحوت و هذا أمر يشجّعه و يثبته و يزيده إيماناً و ثقة بالله - عزّ و جلّ- (و كذلك ننجي المؤمنين)  
و هناك من يرى أنّ رَجْعَ الصِّدْيِ هو الرّدّ على الرّسالة بالإيجاب أو السّلب أو بتغيير السلوك أو تعديله ، و له أقسام هي : (3)

### - رَجْعُ الصِّدْيِ الإيجابيِّ و السّلبيّ:

أ - رَجْعُ الصِّدْيِ الإيجابيِّ: يشجّع المرسل على استمراره في بثّ و تقديم رسائله على المنوال نفسه قال تعالى: ﴿ وَزَكَرِيَّا إِذْ نَادَى رَبَّهُ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا

(1) محمد عمر الطنوبي : نظريات الاتصال مرجع سابق ص 115

(2) سورة الأنبياء الآية 88 "

(3) حسن عماد مكاي و ليلي حسين السيد: الاتصال و نظرياته المعاصرة، ص 51-52

وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ ﴿٨٩﴾ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ ۗ

إِنَّهُمْ كَانُوا يُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۗ وَكَانُوا لَنَا

خَدِيعِينَ ﴿٩٠﴾ (1)

ب - رجوع الصدى السلبي : و هو عكس الإيجابي ، حيث أنه لا يشجع المرسل على توجيه رسائل مشابهة للرسالة الأولى، بل يقضي و يستوجب تعديلا في محتوى الرسائل و شكلها ، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ ﴿٩٧﴾

كَذَّبَتْ عَادٌ فَكَيْفَ كَانَ عَدَابِي وَنُذِرِ ﴿٩٨﴾ إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِم رِيحًا صَرْصَرًا فِي يَوْمِ نَحْسٍ

مُسْتَمِرٍّ ﴿٩٩﴾ تَزْعُ النَّاسَ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُنْقَعِرٍ ﴿١٠٠﴾ (2)

- رجوع الصدى الداخلي و الخارجي:

أ - الداخلي: يصدر من داخل الشخص أي هو رد فعل داخلي يصدر عن الفرد عندما يتأثر برسالة معينة مثل الحديث النفسي الداخلي أو مناجاة الذات ، قال تعالى :

﴿فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَىٰ جِذْعِ النَّخْلَةِ قَالَتْ يَلَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنْتُ نَسِيًّا

مَنْسِيًّا ﴿١٢٣﴾ (3)

(1) سورة الأنبياء 89-90

(2) سورة القمر : الآيات 17 - 20

(3) سورة مريم الآية 23

**ب - الخارجي:** هو ردّ الفعل الذي يصدر عن المتلقي بعد استقباله الرسالة، ومنه يظهر مدى استجابته و تقبله لها و درجة تأثره و اقتناعه بها، أو رفضها تماما، قال تعالى: ﴿قَالَ يَتَابِلِيسُ مَا لَكَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ﴾ (٣٣) قال لَمْ أَكُنْ لِأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُ مِنْ صَلْصَلٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ ﴿٣٣﴾ (1).

### - رجع الصدى الفوري أو المؤجل:

**أ - الفوري:** يكون سريعا و مباشرا كما هو الحال في الاتصال الشخصي المواجهي، أي يتلقى المرسل رداً و استجابة سريعة و مباشرة على رسالته من قبل المتلقي، قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْخَبُوا بقرَةً قَالُوا أَتَتَّخِذُنَا هُزُؤًا قَالِ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ (2).

**ب - المؤجل:** هو الذي يتأخر نوعا ما كما في وسائل الاتصال الجماهيرية (الصحف، المجلات ، التلفزيون و الأنترنت...؟)

**- رجع الصدى الحرّ أو المقيد:**

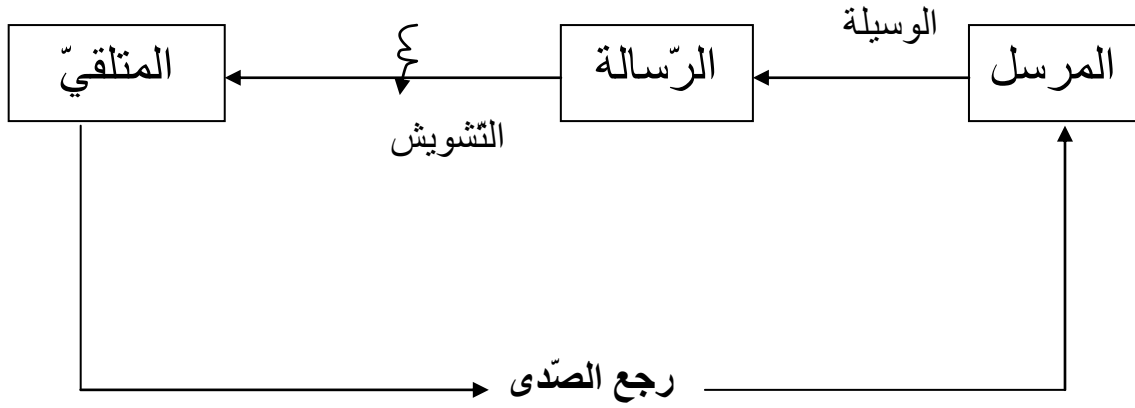
**أ - الحر:** و هو الذي يصدر مباشرة دون عائق أو تنقيح.

**ب - المقيد:** و هو الذي يستغرق وقتا طويلا حتى يحقق أهدافه كما يحدث في الردّ على كتاب معين أو نقده ، فمثلا ابن رشد ردّ في كتابه «تهافت التهافت» على كتاب أبي حامد الغزالي «تهافت الفلاسفة»، و لكنّ صدور هذا الكتاب استغرق وقتا طويلا.

(1) سورة الحجر الأيتان : 23-33  
(2) سورة البقرة الآية 67

- و يتيح رجع الصدى وظائف مفيدة لكل من المرسل و المتلقي على السواء ، فيتيح للمرسل فرصة قياس مدى فهم الرسالة و استيعابها من قبل المتلقي، كما يسمح للمتلقي بالتأثير في عملية الاتصال.

- وأخيرا فإنّ عناصر الاتصال تتداخل و تتشابك كلها في تشكيل وضع العملية الاتصالية ، و يمكن التمثيل لها بهذا المخطط:



## 6- أهداف الاتصال و وظائفه:

ولما كانت حاجة الإنسان للاتصال ضرورة إنسانية اجتماعية لا تقلّ عن حاجته للغذاء و المأوى و الأمن ، و بما أنّه كائن اجتماعي اتصالي لا يستطيع العيش بمعزل عن المجتمع ، فإنّه كان لازما أن يكون للاتصال وظائف و أهداف يمكن حصرها فيما يأتي:

### 1- الهدف التثقيفي:

يهدف الاتصال إلى تزويد الناس بكمّ معتبر من المعلومات و الأفكار النافعة لهم في جميع نواحي حياتهم المختلفة، و يوسّع فهمهم لما يدور حولهم من أحداث

فالهدف الرئيسيّ هو تزويد الناس بالثقافة الجماهيرية التي تساعد على تضامن المجتمع بشتى أنواع مؤسساته.

## 2- الهدف التعليمي و التدريبي:

التعليم يعني التغيير المستمرّ في سلوك الفرد ، و ذلك بتزويده بالخبرات والمواقف و الأفكار ، و القيم الاجتماعية التي تساعد على التكيف مع مجتمعه وبالإضافة إلى اكتساب المواقف و المهارات و الخبرات و المفاهيم الجديدة يساعد في نقل العلوم و التراث من جيل لآخر مما يساعد على تواصل الخبرات في المجتمع والهدف من التدريب هو اكتساب الفرد مجموعة من الخبرات و المعارف التي يحتاج إليها لممارسة عمل معين أو لرفع مستوى كفاءته في الأداء وزياد إنتاجيته و ذلك عن طريق الاستعانة بوسيلة أو أكثر من وسائل الاتصال المختلفة<sup>(1)</sup>.

## 3- الهدف التوجيهي:

يتحقق هذا الهدف للاتصال حينما يكتسب المستقبل اتجاهات جديدة أو يعدل عن اتجاهات قديمة ، أو يثبتها ، وبشكل عام فإنّ الاتّجاهات تتركز على عدد من الخصائص مثل : العمل ، الوضع الاجتماعيّ ، الدين ، الثقافة ، التعليم الطبقة الاجتماعية ، الجذور التاريخية والأصل العرقيّ الذي ينسب إلي الشخص .

## 4 - الهدف الاجتماعي:

الاتصال عملية تفاعل اجتماعيّ تقوم بنقل معلومات وتهدف إلى تغيير السلوك الإنسانيّ<sup>(2)</sup> فهو أداة فعّالة في تكوين العلاقات الإنسانية عن طريق تسهيل تبادل المعلومات بين الأفراد وتقوية الصلة الاجتماعية بينهم كما يعتبر عاملاً مهماً في توحيد الأفكار والاتجاهات .

(1) ينظر محمد عمر الطنوبي : مرجع سابق ص40-41

(2) ينظر : إبراهيم أبو عرقوب مرجع سابق ص 48



**5 - الهدف الديني:**

للاتصال دور كبير وفعال في نشر الدّعات والتعاليم الدينيّة ، فوسائل الإعلام اليوم تساعد كثيرا في نشر الدين الإسلاميّ في كلّ بقاع العالم فأصبح هناك قنوات فضائيّة دينيّة خاصّة ،بالإضافة إلى مواقع في الانترنت ناهيك عن الكتب والصّحف والمجلات والمقالات وغيرها من وسائل الإعلام .

**6 - الهدف التّرفيهي:**

ويتحقّق هذا الهدف عندما يدخل القائم بالاتصال البهجة والسّرور والمتعة إلى نفس المستقبل ويقضي بذلك على الملل والخمول الذي قد ينتابه أثناء العمليّة التّليغيّة

يعدّ من أكثر أنواع الاتّصال جذبا للجمهور، وأنه من الممكن عمليا استخدام التّرفيه كشكل اتّصاليّ لتوصيل المعلومات سواء أكان ذلك على المستوى الشّخصيّ أو على المستوى الجماهيريّ (1)

**7- الهدف الإقناعي:**

يرى (أرسطو) «أنّ الهدف الأساسي من الاتصال هو الإقناع (2)»، فالهدف في هذه الحالة هو التأثير على النّاس وذلك من الجانب الفكريّ أو السلوكيّ أو العاطفيّ أو الانفعاليّ لغرض إقناعهم بوجهة نظر معيّنة أو رأي محدّد

**7 - أنواع الاتّصال**

«يعتبر المهتمّون بالاتّصال الإنسانيّ كلّ فهم منظّم ثابت يعبر به الإنسان عن فكرة تجول بخاطره أو إحساس يجيش بصدّره ، إنّما هو لغة قائمة بذاتها» (1)

(1) محمد عمر طنوبي مرجع سابق ص 43

(2) عبد العزيز شرف "نماذج الاتصال" (ط1) الدار المصرية اللبنانية القاهرة 2003 ص 93

## 1 - الاتصال اللفظي:

يدخل ضمن هذا النوع من الاتصال كل أنواع الاتصال التي يستخدم فيها «اللفظ» كوسيلة لنقل الرسالة من المصدر إلى المتلقي، ويكون هذا اللفظ منطوقا فيدركه المستقبل بحاسة السمع<sup>(2)</sup>

وجاء في معجم مصطلحات الإعلام أن الاتصال اللفظي: «هو الاتصال الذي يعتمد على وسائل تتكوّن أساسا من كلمات مكتوبة أو غير مكتوبة في توصيل الفكرة أو المعنى مثل النشرات ، التقارير ، الخطابات ، المحادثات التلفزيونية والمؤتمرات»<sup>(3)</sup> فلغة الكلام والكتابة إذن هي أساس من الاتصال ، و خير دليل على ذلك أن القرآن الكريم اعتمد الاتصال اللفظي في تبليغ الرسالة ، لأنه خطاب بين الله و رسوله و إذا ما نظرنا إلى فحوى الخطاب القرآني (عقيدة - تشريع - قصص... ) نجده قائما على الاتصال اللفظي (الأمر والنهي، الترغيب والترهيب، الحوار والجدل)، سواء أكان ذلك بين الله و أنبيائه، بين الله و ملائكته، بين الله و الشيطان، بين الشيطان و آدم، بين الأنبياء و أقوامهم أو بين أهل الجنة و النار...

قال تعالى: ﴿فَقُلْنَا يَا آدَمُ إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكَ مِنَ الْجَنَّةِ

فَتَشْقَى ﴿١٧﴾ (4)

و اللغة أداة رمزية يتم بواسطتها التعبير عن أفكار الإنسان و مشاعره و نقلها إلى الآخرين ، و لذلك تعدّ اللغة أهمّ وسيلة يتحقق بها التواصل بين الناس، و يعني هذا أن الفكر بحاجة إلى الألفاظ اللغوية و تركيباتها حتى يتم انتقاله بين الناس ، كما تساعدنا على التفكير بطريقة أكثر دقة و وضوحا، و من هنا كانت للغة أهميتها لدى الجنس البشري. عرّفها (ابن جني) بأنها «أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم»

(1) صلاح الدين جوهر - عالم الاتصال مفاهيم ونظريات ومجالات (دط) مكتبة عين شمس القاهرة 1980 ص 16

(2) ينظر حسن عماد مكاوي وليلى حسين السيد: "الاتصال ونظرياته المعاصرة" ص 26

(3) احمد زكي : معجم مصطلحات الإعلام (ط1) دار الكتاب المصري القاهرة 1985 ص 49

(4) سورة طه الآية 117

(1) ، و يؤكد (مصطفى ناصف) أهمية اللغة حين يتحدث عن الهدف الذي من أجله يستخدم الإنسان وظيفة الكلام و الاستماع فيقول: «إننا نتكلم لنقول شيئاً و حينما نستمع إلى امرئ نتوقع منه أيضاً شيئاً يراد قوله، إننا نتكلم في العادة من أجل أن نبلغ هدفاً».

و يرى (عبد المجيد يحيى) أن الاتصال اللفظي هو الذي يعتمد على الكلمات أو الألفاظ التي تنطق بها ، و اختيار هذه الكلمات التي قد تعبر عن أشياء مادية أو معنوية و التي لا تحمل إلا معنى واحداً، و قد تحمل أكثر من معنى ، و تتحدد تلك المعاني من الإطار أو الوقت الذي تستعمل فيه (السياق).

و قد أمر الله - سبحانه و تعالى- رسوله - صلى الله عليه و سلم- بالاتصال اللفظي في أكثر من مائتي موضع نذكر منها قوله تعالى: ﴿... إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ هُدَىٰ...﴾ (2) و قوله: ﴿قُلْ أَتَحَاجُّونَنَا فِي اللَّهِ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ وَلَنَا أَعْمَلُنَا وَلكُمْ أَعْمَالُكُمْ وَخُنُّ لَهُ مُخْلِصُونَ﴾ (3) و كذلك قوله: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنْفَعٌ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا﴾ و يسأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ﴾ (4).

(1) ابن جني "الخصائص" ج2 - ط4 دار الشؤون الثقافية العامة بغداد 1990ص20

(2) سورة البقرة الآية: 120

(3) سورة البقرة الآية 139

(4) سورة البقرة الآية 219

هكذا يحرص الرّسول - صلى الله عليه وسلم - على تنفيذ ذلك ، ويأمر أصحابه والمسلمين فيقول : « والذي نفسي بيده لا تدخلوا الجنة حتّى تؤمنوا ولا تؤمنوا حتّى تحابّوا أولا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم ؟ أفشوا السّلام بينكم »<sup>(1)</sup> ، وهناك من يرفض اعتبار اللّغة وسيلة اتّصال فقط يحقّق بها النّاس أغراضهم بل يعتبرها غاية في حدّ ذاتها ومن هؤلاء (حسن ظاظا) إذ يقول : «اللّغة غاية لا واسطة لولاها ما بان الإنسان من باقي الحيوان إلا بتخطيط جسمه ، ولولاها لما وجد إلى المعرفة بابًا واسعًا ، لا نرى عاقلا يشكّ في أنّها من مهمّات علم الإنسان، في أنّها الأسبق إلى منازل الشّرف ومواقع التّعظيم لا علم إلا هو دليل عليها، ولا خير إلا وهو السّبيل إليها ، نقول ما كان شيء في الوجود أنور فأنوسا من اللّغة التي نفثت الحياة في العدم فأخضب ، وضربت السّحر في الجماد فتحرّك ، لولا اللّغة لبقيت النّطيقّة الإنسانيّة كامنة محجوبة ، لاستولى الخفاء على قاصيها ودانيها ، لعجزت النّفس أن تنتهي إلى خابية الحقّ المعتقدة ...»<sup>(2)</sup>.

إنّ اللّغة في نظر (حسن ظاظا) هي تلك التي تبدأ في الوجدان وتمرّ عبر اللسان، فهي ليست فرعا للشّفاة أو وسيلة طينيّة في سبيل غاية وجدانيّة ، ولو حاولنا أخذها من معدنها الصّافي وجب علينا أن نستقيها من الوجدان ذاته، فهي النّفس المركوزة في الإنسان تصاحبه منذ نشأته حتّى وفاته<sup>(3)</sup>.

و خلاصة القول إنّ اللّغة كظاهرة إنسانيّة و اجتماعيّة قديمة عرفت منذ خلق الله

-سبحانه و تعالى- آدم - عليه السّلام- : «وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى

(1) أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني ، "سنن ابن ماجة" ط1 ، كتاب الأدب، باب إقشاء السلام، دار ابن حزم ، بيروت، 1422هـ -

2001م، ص557

(2) حسن ظاظا : اللسان والإنسان " مطبعة المصري القاهرة (دت) ص 84

(3) ينظر نفس المرجع والصفحة

أَلْمَلَيْكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٣١﴾ (1) هي أساس كلِّ

اتصال وتواصل ، ومصدر كلِّ فكر و تطور ، و الحامل الماديِّ لكلِّ العلوم فلا يمكن لأيِّ مجتمع أن يتطور ما لم يهتم بلغته و يطورها ، و يعلمها للأجيال حتى و لو كانت لغات أجنبية ، و هذا مصداقا لقول النبي - صلى الله عليه و سلم - «من تعلّم لغة قوم أمن شرهم» .

## 2- الاتصال غير اللفظي:

و هو اعتماد علامات أخرى دالة من غير اللغة المنطوقة أو المكتوبة متعارف و متفق عليها في مجتمع ما ، كلغة الحركات و الإشارات و الإيماءات و التغيرات الفيزيولوجية ، التي تطرأ على وجه الإنسان نتيجة انفعال معين ، يقول نايف خرما: «إنّ تعريف بعضهم بأنّ اللغة وسيلة للاتصال بين البشر ليس تعريفا دقيقا تماما فمن ناحية يمكن أن يحصل الاتصال بين البشر بوسائل غير لغوية تتراوح بين ردود الفعل العفوي كاحمرار الوجه دلالة على الخجل، والعبوس تعبيراً عن الغضب والإيحاء المعتمد بأحد أجزاء الوجه والوسائل الكثيرة الأخرى كالرّسوم والنقود والأعداد... والقصيدة الشعريّة أو القطعة الموسيقيّة...» (2).

ويطلق عليه أحيانا اللغة الصامتة أو الساكنة وقسمها الباحثون إلى ثلاثة أقسام

هي:

### أ- لغة الإشارة :

وتحتوي مجموعة من الرموز البسيطة أو المعقدة أو الشفرات التي يستعملها


المرسل قصد الاتصال بغيره، قال تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً ۖ قَالَ آيَتُكَ أَلَّا

(1) سورة البقرة الآية 31

(2) نايف خرما : أضواء على الدراسات اللغوية المعاصرة سلسلة عالم المعرفة المجلس الوطني للثقافة و الفنون و الآداب

الكويت 1978: ص 31

تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمَزًا<sup>١</sup> وَأَذْكَرَ رَبِّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَرِ

(1) 

فالإتصال اللفظي في هذه الآية الكريمة يتمثل في استعمال الرّمز الذي هو لغة الإشارة وقد يحمل الرّمز من المعاني ما يعجز عنه اللفظ .

### ب-- لغة الحركة أو الأفعال :

وتتضمّن جميع الحركات التي يأتيها الإنسان لينقل إلى غيره ما يريد من معاني أو مشاعره (2) .

### ج-- لغة الأشياء :

ويقصد بها اللغة التي يلجأ إليها أو يستخدمها مصدر الإتصال لتوصيل خطابه إلى المتلقي ، ويستخدم فيها غير الإشارة والحركة ، التعبير عن معان أو أحاسيس يريد نقلها للمتلقي وذلك باستعمال الأشياء أو الكائنات التي تحلّ محلّ اللفظ فيها .

ويعرّف (عبد المجيد يحي) الإتصال غير اللفظي قائلاً : « هو الذي تستخدم فيه التصرفات والإشارات أو تعبيرات الوجه والتي قد يكون استعمالها مساعدا للإتصال اللفظي أو مستقلاً عنه ، حيث أنّ القائم بالإتصال يورد لفظاً يدلّ على معنى من غير سياق الكلام له ، أو يوجز العبارة مع كثرة المعنى ، أو يشير إشارة حركية ما يفهم منها شيء معين وقد جاء ذلك في القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿...وَعَلَى

الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ ... ﴾ (3) ففي قوله «له» إشارة إلى نسب الأب

(1) سورة آل عمران الآية 41

(2) ينظر حسن مكاي وليلى السيد : مرجع سابق ص 27

(3) سورة البقرة الآية 233

وقوله تعالى : ﴿ وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكَ وَيَسْمَأْ أَقْلِعِي وَغِيضَ الْمَاءِ وَقُضِيَ الْأَمْرُ

وَأَسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾<sup>(1)</sup> قوله تعالى ( وغيض

الماء) إشارة إلى انقطاع مادة المطر ونبع الأرض وذهاب ما كان حاصلًا من الماء على وجه الأرض «<sup>(2)</sup>

و قد وظّف الرسول - صلى الله عليه وسلم - أسلوب الإشارة في اتصاله بالمسلمين فقال : « بعثت أنا والساعة كهاتين »<sup>(3)</sup> ، وجمع بين أصبعيه في إشارة إلى أنّ الفرق النسبي بين طول أصبعيه كالزمن بين بعثه - صلى الله عليه وسلم - وقيام الساعة ، أي اقتراب مواعدها .

وقال كذلك - صلى الله عليه وسلم - : « أنا وكافل اليتيم كهاتين »<sup>(4)</sup> ، وأشار بأصبعيه ليبين علو مكانة كافل اليتيم وقربه منه - عليه أفضل الصلاة والسلام - .

### 3 - الاتصال من حيث حجم المشاركين في العملية الاتصالية :

وينقسم هذا النوع من الاتصال إلى عدّة أقسام اذكر منها على سبيل المثال لا الحصر ما يلي:

#### أ- الاتصال الذاتي :

هو الاتصال الذي يتم بين الفرد وذاته ، فهو إذن عملية شخصية بحتة يتم فيها مخاطبة الإنسان لذاته<sup>(5)</sup> ، فيصبح المرسل والمستقبل للخطاب في آن واحد،

(1) سورة هود الآية 44

(2) عبد المجيد يحي العلاقات العامة بين النظرية الحديثة و المنهج الإسلامي مكتبة القرآن القاهرة 2001 ،ص 109

(3) أبو عبد الله محمد بن إسماعيل ، البخاري، صحيح البخاري ، كتاب: الرقاق، مج 4، ج4، المكتبة التوفيقية، القاهرة، ص183

(4) المصدر نفسه، مج4، ج4، كتاب الأدب، باب فضل من يعول بئيمًا، ص76

(5) ينظر : صلاح خليل : الاتصال الجماهيري، مرجع سابق ص 13

إلى جانب أنه يسمح لنا باتخاذ قرارات مبنية على المعلومات الواردة إلينا عن طريق الحواس ويساعدنا على التكيف مع أنفسنا وبيئتنا ومجتمعنا (1).

وقد احتوى الخطاب القرآني على هذا النوع من الاتصال إذ يقول الله- سبحانه وتعالى:- ﴿ أَذْهَبُوا بِقَمِيصِي هَذَا فَالْقُوهُ عَلَى وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيرًا وَأْتُونِي

بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٣﴾ وَلَمَّا فَصَلَتِ الْعَيْرُ قَالَ أَبُوهُمْ إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ

لَوْلَا أَن تَفْنَدُونِ ﴿٤٤﴾ قَالُوا تَاللَّهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلَالِكَ الْقَدِيمِ ﴿٤٥﴾ فَلَمَّا أَن جَاءَ الْبَشِيرُ

الْقَدُّهُ عَلَى وَجْهِهِ فَارْتَدَّ بَصِيرًا ﴿٤٦﴾ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا

تَعْلَمُونَ ﴿٤٦﴾ (2)

فهنا تفاعل سيدنا (يعقوب) داخليًا مع رائحة قميص يوسف -عليه السلام-، فعن طريق حاسة الشم عرف أن (يوسف) مازال على قيد الحياة، وعن طريق اللمس ارتد إليه بصره. وقوله تعالى: ﴿ وَأُحِيطَ بِشَمْرِهِ فَاَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَى مَا أَنفَقَ

فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَدًا ﴿٤٣﴾ (3) وفي هذه

الآية الكريمة نلمس الاتصال الذاتي في حديث صاحب الجنيتين مع نفسه أسفا وحسرة وندما على زوال جنته ونعمته بسبب شركه بالله- سبحانه وتعالى- .

(1) إبراهيم أبو عرقوب : الاتصال الإنساني ودوره في التفاعل الاجتماعي مرجع سابق ص 116

(2) سورة يوسف الآيات: 93 - 96

(3) سورة الكهف الآية 42



## ب- الاتصال الشخصي:

هو الاتصال المباشر أو الاتصال المواجهي حيث يمكن فيه أن نستخدم حواسنا الخمس ، ويتيح هذا الاتصال التفاعل بين الأشخاص والتعرف على رجع الصدى من المتلقي ، ويعتبره (صلاح خليل) « أفضل أشكال الاتصال ، إذ توفر للمتصل فرصة التعرف الفوري والمباشر على مدى تأثير رسالته في المتصل به (المتلقي) ومن ثم تصبح الفرصة أمام المتصل سائحة لتعديل رسالته وتوجيهها بحيث تصبح أكثر إقناعاً أو فعالية»<sup>(1)</sup> كما يمكن للقائم بالاتصال - طبعاً - معرفة مدى فاعلية رسالته و تأثيرها في المتلقي من خلال رد فعله ، أو رجع الصدى حيث يتسنى لهذا الأخير المشاركة في العملية الاتصالية عن طريق المحاورة و المناقشة و الاتصال الشخصي الذي يتم بين مرسل ومستقبل أو مرسل ومستقبلين أو مرسلين ومستقبلين وجها لوجه دون استخدام وسائل اتصال كالإذاعة و المطبوعات و التلفزيون<sup>(2)</sup>.

ومن هذا القول نفهم بأن الاتصال الشخصي ينقسم بدوره إلى قسمين هما :

- شخصي (ثنائي): يكون بين شخصين فقط مثل قوله تعالى: ﴿وَكَانَ لَهُ ثَمَرٌ

فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا﴾<sup>(3)</sup>.

- جمعي : يحدث بين مجموعة من الأفراد حيث تتاح فرصة المشاركة للجميع

في المواقف الاتصالية مثل قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالُوا لِيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَيْنَا مِمَّا

وَخُنُّ عَصَبَةً إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾<sup>(4)</sup>.

(1) صلاح خليل أبو أصبع "الاتصال الجماهيري" مرجع سابق ص 13 - 14

(2) ينظر ابراهيم عرقوب : مرجع سابق ص 121

(3) سورة الكهف الآية 34.

(4) سورة يوسف الآية 08

**ج - الاتصال الجماهيري :** هو اتصال منظم ومدرّس ، يتمّ باستخدام وسائل الإعلام الجماهيريّة ويتميز بمقدرته على توصيل الرّسائل إلى جمهور عريض متباين الاتجاهات والمستويات ولأفراد غير معروفين للقائم بالاتصال ، وتصلهم الرّسالة في اللّحظة نفسها وبسرعة مذهشة (1) بقصد التأثير على معلومات أو اتجاهاته م أو سلوكياتهم .

ويعرفه (الطنوبي) بأنّه عبارة عن « بثّ رسائل واقعيّة أو خياليّة على أعداد كبيرة من النّاس يختلفون فيما بينهم من النّواحي الاقتصاديّة والاجتماعيّة والسياسيّة والثقافيّة ... وينشرون في مناطق جغرافيّة متفرّقة » (2) وتكمن أهميّة هذا النّوع من الاتصال في سرعة وسهولة نقل الأفكار والمعلومات وتوجّهها إلى عدد كبير من الأفراد ، إلى جانب استخدام وسائل أكثر نجاعة وفعاليّة مثل : الصّحف ، الكتب ، المجلات ، السيّما ، الانترنت ، التّلفزيون ، الرّاديو (3) و خلاصة القول أنّه يستحيل تجريد اللّغة وعزلها عن إطارها الحيويّ في المجتمع ، كما أنّه يستحيل دراستها دراسة صرفيّة ، أو نحويّة أو دلاليّة دون ربطها بالوظيفة الاجتماعيّة التي تؤدّيها ، فاندماج الفرد في اللّغة يعدّ مفتاح هذه الطّبيعة السيكلوجيّة ، ذلك أنّ التّفكير بعمق وتكوّن العواطف البشريّة ، وإدراك مبادئ معيّنّة، والتّعلم ، لا يمكنه أن يتأتّى إلّا من خلال إدراكنا لكيفيّة استخدام الرّموز اللّغويّة، وفهم معانيها الداخليّة المرتبطة بها فهماً صحيحاً (4)

## 8 - بعض النّماذج المشهورة لعمليّة الاتصال :

(5) المختصّون في علم الاتصال يميلون إلى اعتبار (هارولد لاسويل) (harold lasswell) أوّل من استخدم النّمودج لتصوير عمليّة الاتصال ، وقد ظهر نموذجه عام 1948 في شكل خمسة أسئلة :

(1) ينظر صلاح خليل : مرجع سابق ص 15

(2) محمد عمر الطنوبي : نظريات الاتصال مرجع سابق ص 202

(3) ينظر ابراهيم أبو عرقوب : مرجع سابق ص 121.

(4) ينظر جيهان أحمد رشتي : الأسس العمليّة لنظريات الإعلام مرجع سابق ص 579

(5) هارولد دوايت لاسويل (HAROLD Dwight Lasswell) ، عالم اجتماع أمريكي (1978، 18 سبتمبر، 1902، 13 فبراير)

(WWW.WIKIPedia.org)

Who ؟ من

Says what ؟ يقول ماذا ؟

With which Chanel ؟ عبر أي وسيلة ؟

To whom ؟ لمن ؟

With which effects ؟ وبأي تأثير ؟

ويقصد بمن ؟ المصدر أو القائم بالاتصال، يقول ماذا ؟ يعني الرّسالة التي يتضمّنّها كلام المصدر أو المرسل، عبر أيّ وسيلة ؟ بمعنى وسيلة الاتّصال أو وسيلة نقل الرّسالة (القناة) لمن ؟ مستقبل الرّسالة ويطلق عليه أيضا المستهدف أو المتلقي، وبأيّ تأثير ؟ يدلّ على الأثر الذي تتركه الرّسالة على تفكير المستقبل.

وحاول ( بيرلو ) berlot (1960) <sup>(1)</sup> شرح أربعة عناصر منها في نموذج باختصار :

- المرسل أو المصدر: هو صاحب الرّسالة الإعلاميّة أو الوجهة التي تصدر عنها هذه الرسالة سواء أكانت هذه الجهة فردا أو جماعة أو هيئة معنوية أو جهازا... الخك

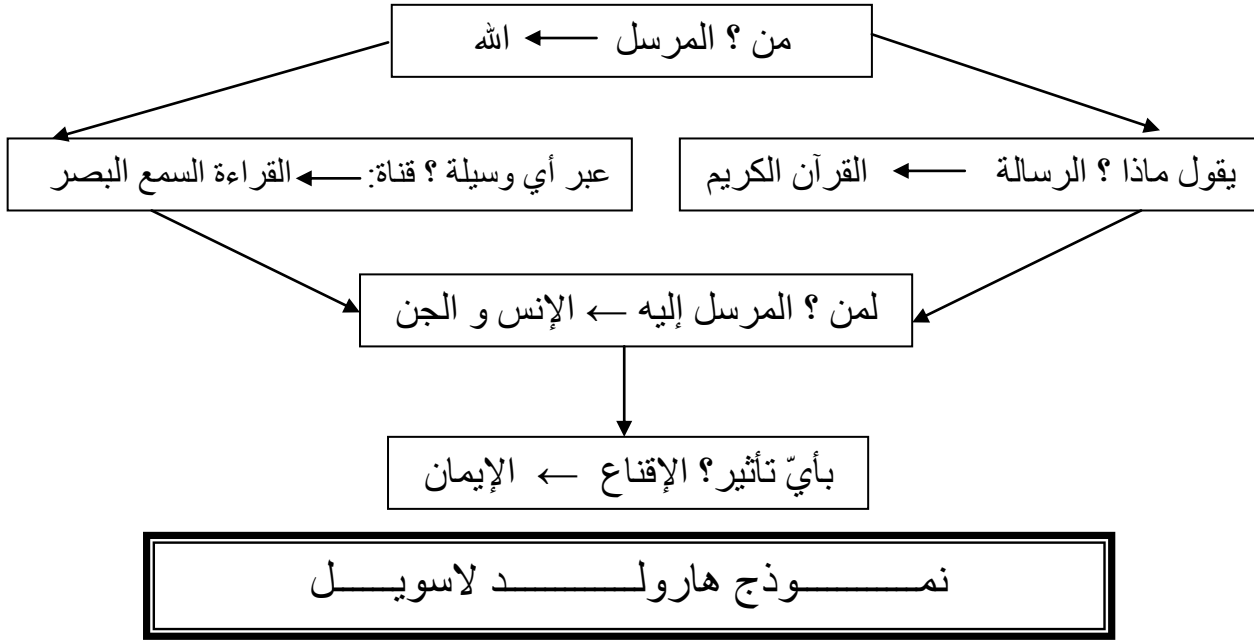
- المستقبل: هو من توجّه إليه هذه الرّسالة سواء أكان فردا أو جماعة أو هيئة معنويّة...

- الوسيلة : ما تؤدّي به الرّسالة الإعلاميّة سواء أكانت هذه الوسيلة صحيفة ، إذاعة، تلفزة ، خطبة أو معرضا... وقد يطلق عليه اسم «القناة».

- الرّسالة : هي المضمون الذي تؤدّيه الوسيلة .

وإذا ما طبق نموذج لاسويل على الخطاب القرآني فيمكن أن يمثل له هذا المخطط:

(1) ينظر دليو فضيل : مقدمة في وسائل الاتصال الجماهيري ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر 1998 : ص 46

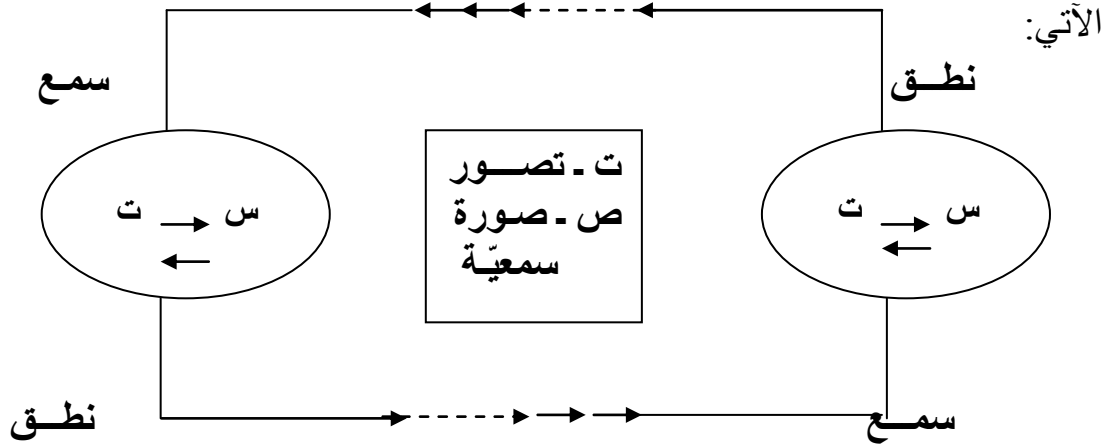


### 9- الاتصال في اللسانيات الحديثة :

لقد ساهم بعض اللسانيين في مجال النماذج الاتصالية ومن بينهم :

#### 1- فرديناند دي سوسير<sup>1</sup>:

تتضح عملية الاتصال عنده من خلال مخطط سمّاه دائرة الكلام يتمثل في الشكل



يشير (دي سويسر) إلى أنّ عملية إعادة بناء دائرة الكلام واكتمالها، إنّما تُفرض على الأقل وجود شخصين ، ثم يشرح كيف تتمّ عملية التّواصل أو التّخاطب بينهما يرمز لهما بـ (أ) و (ب) ، فيقول: « إنّ نقطة انطلاق الدائرة تكمن

<sup>1</sup> فرديناند دي سوسير: (1857 نوفمبر 26، 1913 فبراير 22)، عالم لغوي سويسري ، يعتبر الأب و المؤسس لمدرسة البنوية في اللسانيات. ( WWW.WIKIpedia.org )

في الدماغ أحد المتحاورين ولنقل المتحدث (أ) ، مثلا حيث تترابط وقائع الضمير المسماة تصورات (concept) مع تمثيلات العلامات الألسنية ، أو الصور السمعية المستخدمة في التعبير عنها ، ولنفترض أن تصورا ما يثير في الدماغ صورة دماغية مماثلة ، فهذه ظاهرة نفسية كلياً تتبّعها بدورها آلية فيزيولوجية ، فالدماغ ينقل إلى أعضاء النطق ذبذبات ملازمة وهذه الآلة فيزيائية بشكل صرف ثم تستمرّ الدارة حتى المستمع (ب) في اتجاه معاكس»<sup>(1)</sup>

فعملية التواصل عنده تتشكل من ثلاثة فروع هي :

**1- المسافة :** وهي البعد الزمني الفاصل بين الباث والمستقبل أثناء التبليغ ، حيث يمثلها في مخطّطه بنقاط مستمرة مباشرة بعد السهم .

**2 - الجانب النفسي الفيزيولوجي :** يمثل ظاهرتي التلقظ والاستماع أين يقوم الباث بإرسال أصوات متتابعة تشكل كلمات ذات معنى ، ويتم ذلك في شكل ذبذبات صوتية تفرع طبلة أذن المتلقي فيقوم بتأويلها وفقا لتصوراته الذهنية .

**3 - الجانب الدلالي :** يمثل العلاقة التلازمية بين المفهوم الذي يمتلكه كـل من المتخاطبين ومدى مطابقته للصور السمعية ( les Images acoustiques)<sup>(2)</sup> ، فعدم مطابقة الصورة السمعية للتصورات الذهنية لدى طرفي الاتصال أو لدى أحدهما من شأنه أن يؤدي إلى فشل عملية التواصل بينهما و يعتبر (رومان جاكسون) (Roman Jakobson)<sup>(3)</sup> أيضا من أهم العلماء الذين تحدّثوا عن عملية الاتصال من زاوية لسانية ، حيث أسس نظرية التواصل اللغوي

(1) فردينا نندي سوسير : " محاضرات في الألسنية العامة . تر يوسف غازي و مجيد النصر ، المؤسسة الجزائرية للطباعة 1986 ص 23

(2) المرجع نفسه ص 23

(3) رومان جاكسون : (Romain Jacobson): ولد بتاريخ 10-11-1896 في موسكو ، و توفي بتاريخ 18-07-1982 في ولاية بوسطن الأمريكية ، كان هذا العالم أحد أعضاء الحملة السوفيتية إلى براغ عام 1920 ، و أحد مؤسسي مدرسة براغ اللغوية عام 1933. غادر براغ عشية الحملة الفاشية الألمانية على تشيكوسلوفاكيا إلى الدانمرك و منها إلى النرويج ثم إلى السويد . و في عام 1941 توجه إلى أمريكا للعمل في مجال علوم اللغة في الجامعة الفرنسية في المهجر ، توصل سنة 1960 إلى تقديم نموذج الوظائف اللغوية. (WWW.WIKIpedia.org)

انطلاقاً من العلاقة الوثيقة بين اللسانيات و مختلف العلوم (1) و خاصّة علم الاتّصال الذي اهتم به اهتماماً بالغاً باعتبار أنّ اللّغة هي الوسيلة الأولى التي تؤسّس كل عمليّة تواصلية بالنسبة للإنسانيّة جمعاء (2). وتتمثل عناصر الشبّكة عنده فـي المرسل ( المتكلّم أو المبدع أو الكاتب )، والمرسل إليه ( السّامع، المتلقّي ) والرّسالة ( المحتوى، الموضوع ) والقناة ( النّاقلة ) والسّيّاق ( المرجع ) والسّـنن ( الرموز وقوانين التّرميز ) (3).

لقد حاول (جاكوبسون) إيضاح أنّ أيّ رسالة تحمل عدّة وظائف ، ممّا سمح له باكتشاف وظائف متميّزة بقدر عناصر المخطوط ، سنحاول إيضاحها باختصار، وهي:

**1- الوظيفة التّعبيريّة: La Fonction expressive:** تخصّص مرسل الرّسالة، وتعبّر عن مواقف لمحتوى رسالة ما، الرّسالة تأتي بمعلومات حول انفعالات، عواطف و أفكار المرسل و الرّسالة التّعبيريّة هنا تحمل علامة الذاتيّة للمرسل.

**2- الوظيفة الإفهاميّة La Fonction conative :** و تتولّد عن المرسل إليه حيث إنّ الرّسالة تـهـدـف إلى ممارسة فـعـل على هذا المستقبل يتمثل في مثلاً: طلب ، أمر، رسالة إشهارية، أو دعائية ... الرّسالة هنا تتركز بخاصّة في مميزات و ردود فعل المستقبل و التي تحاول هذه التّأثير عليها.

(1) رابح بوحوش، " الخطاب والخطاب الأدبي وثورته اللغوية على ضوء اللسانيات وعلم النص ، مجلة اللّغة و الأدب ، العدد 12، ديسمبر 1996، ص 171

(2) Romain Jakobson, Essai de linguistique général, Tome (2) : Les éditions de minuit, paris 1973

(3) بوحوش مرجع سابق ص 172

**3- الوظيفة المرجعية: La Fonction référentiel**

- (1) وتمثل هنا السياق بمعنى الإحالة على أشياء و موجودات تمّ الحديث عنها فالخطاب العلمي و الإعلام الموضوعي اللذان يسردان أحداثا حقيقية وواقعية ، هما رسائل ذات وظيفة مرجعية<sup>(2)</sup>.

**4- الوظيفة الانتباهية La Fonction phatique** : تولد عن القناة و هي نوع من

الحرص على إبقاء التواصل بين طرفي الجهاز أثناء التخاطب ، و في مراقبة عملية الإبداع<sup>(3)</sup> و توجد هذه الوظيفة في الاتصالات الهاتفية مثلا العبارات التالية ألو ... هل تسمعي ؟ و تستعمل لجلب انتباه المستمع و ضمان التواصل المستمر. الوظيفة الانتباهية تلعب دورا مهما في أغلب طرق الاشتراك (الطقوس و الشعائر الدينية ، الاحتفالات الخطابية...الخ).

**5- الوظيفة المعجمية La Fonction métalinguistique** : تتولد عن السنن

Code بمعنى أن تكون اللغة مشتركة بين طرفي التخاطب ، مهمتها إعطاء توضيحات ، معلومات دقيقة حول الرمز و استعمالاته ، و تستند على الكلمات و على باقي الإشارات التي تمثل سند الاتصال بهذه الرسائل، المستمعون يتحققون ما إذا كانوا سيستمعون بالرموز نفسها أم لا ، و القاموس يؤدي في هذه الحالة وظيفة ما وراء لغوية.

**6- الوظيفة الشعرية La Fonction poétique** : تضع بديهيًا الجانب

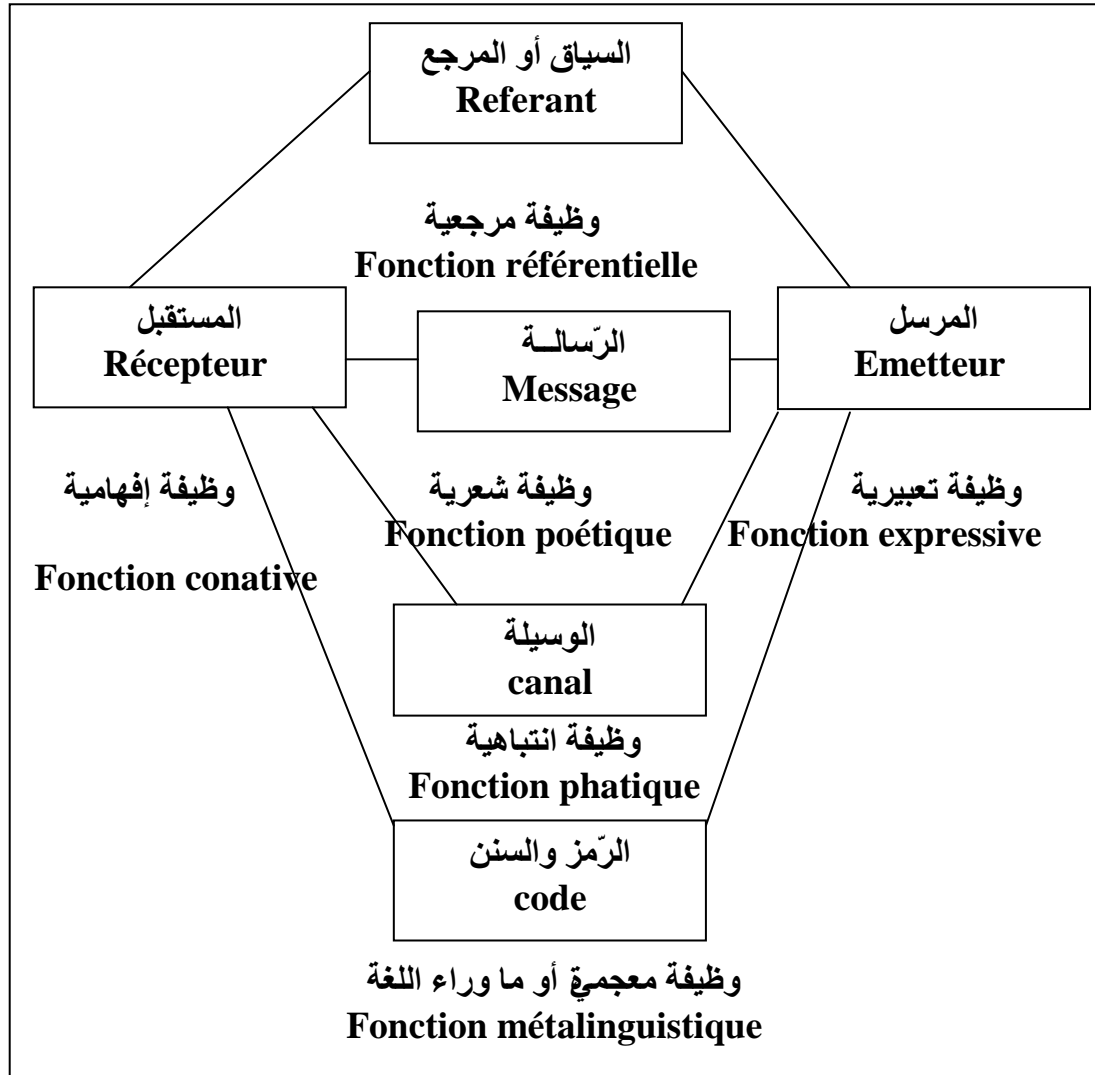
المحسوس للإشارات ، كل ما في الرسالة ما يجلب معان إضافية عن طريق لعبة بنية الإشارات المستخرجة من الوظيفية الشعرية في الفنّ و الأدب ، الرسالة عن طريق شكلها تأخذ استقلالية خارج الوظيفية الاتصالية التي أسستها أداة اتصال

(1) بوحوش مرجع سابق ص 173

(2) Grilles Armando, Andre Guitlet, Dynamique des communication , 1993, P37

(3) بوحوش مرجع سابق ص 173

في وقت معطى حتى تصبح الموضوع في حد ذاته.  
ويمكن تمثيل هذه الوظائف في المخطط التالي :



من خلال هذا المخطط المقدم من طرف (جاكسون) يتضح لنا أنه قدم لنا إسهاما بالغاً في تحليل عناصر العملية الاتصالية و خاصة ما يتعلق بعنصري المرجع و السنن أو الرموز أين بيّن لنا أهميّة هذين العنصرين في استمرار العملية الاتصالية مع تركيزه على وظيفة يعتبرها جد أساسية أو بالأحرى هي محور العملية الاتصالية و هي الوظيفة الشعرية التي تقوم بها الرسالة ، فالرسالة حسبه هي التي تشكل عمود التواصل بل يعتبرها موضوع العملية الاتصالية في حد ذاتها ، هذا و إن كان النموذج المقدم من طرف (جاكسون) ذا صبغة لسانية بحتة ، إذ يضع في الاعتبار اللغة ليس وسيلة اتصالية فحسب بل المؤسسة للعملية الاتصالية ، رغم أننا نعلم أن هناك وسائل أخرى يمكن أن يحدث بواسطتها اشتراك في الاتصال و هي الإيماءات ، الإشارات ... إلخ ، أو ما يسمّى بالاتصال غير اللفظي.



## 10- تقنية الاتصال عند شانون و ويفر:

من النظريات الأولى التي اعتبرت حافزا لتطور العديد من النماذج الاتصالية اللاحقة « هي النظرية الهندسية للاتصال » التي جاء بها المهندس (شانون) (SHANNON)<sup>(1)</sup> ، المبنية أصلا على المفهوم الإحصائي الحسابي لعمليّة الاتصال التي جاء بها (ويفر) (WEAVER)<sup>(2)</sup>.

فهي لا تقتصر على التواصل اللساني وحده، بل تخص ظاهرة الاتصال بشكل عام، و المهم في هذه الدراسة هو تلك الدلالة الكامنة وراء الأصوات في اللغة الشفوية ، ثم وراء الأحرف في اللغة المكتوبة ، مع تحدّد عدد الرموز و الشفرات الموظفة من قبل المتكلم أو الكاتب<sup>(3)</sup>.

و يعتمد النظام الاتصالي وفقا لنموذج (شانون) و (ويفر) على مصدر المعلومات الذي ينشئ رسالة يختارها من بين العديد من الرسائل المحتملة و قد تكون هذه الرسالة على هيئة شيء يتم إدراكه بالسمع أو النظر حيث يقوم جهاز البثّ بتحويل الرسالة إلى رموز أو ذبذبات كهربائية حسب نوع جهاز البثّ أو الإرسال، سواء أكانت مطبوعة أو إذاعة أو تلفزيون ، و في الجانب الآخر من عمليّة الاتصال يقوم جهاز الاستقبال مثل الراديو أو التلفزيون أو التلفون بإعادة تلك الرموز أو الذبذبات الكهربائية إلى الشكل المسموع أو المرئي حتى يتسنى للمستقبل فهم محتواها<sup>(4)</sup> ، و الشكل التالي يوضح ذلك<sup>(5)</sup>.

(1) كلود إيلود شانون: (1916-2001)، عالم أمريكي في الرياضيات ، يعتبر من مؤسسي نظرية المعلومات ، توفي و عمره 84 سنة.

WWW.WIKIpedia.org

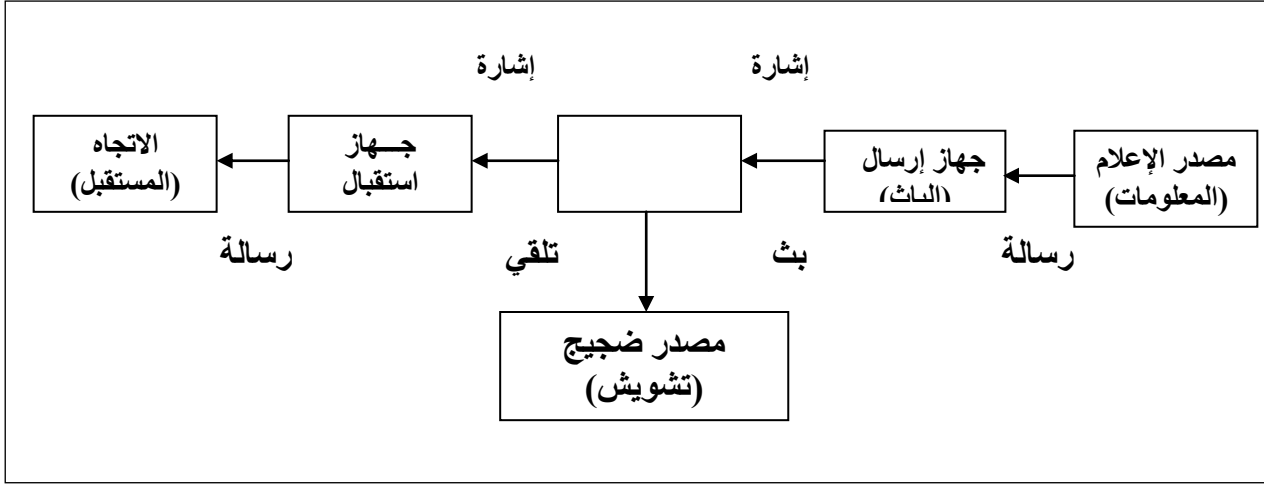
(2) ورين ويفر: ولد سنة 1878 و توفي سنة 1978 ، عالم أمريكي رياضي ومدير أبحاث . (WWW.WIKIpedia.org)

(3) ينظر : عبد الجليل مرتاض : " اللغة والتواصل " دار هومه للطباعة، الجزائر، ص 83

(4) ينظر : سعيد إسماعيل صيني : شروط القائم بالاتصال عند المسحيين والمسلمين أطروحة دكتوراه جامعة الإمام محمد بن سعود

الإسلامية قسم الإعلام 1988 ص 67

(5) Lucien SFEZ : Dictionnaire Crique de la communication, PUF, 1993, tome (1) P : 482



إن عملية الاتصال عند (شانون) و (ويفر) تعتمد على العناصر التالية:

- مصدر إعلام (المعلومات)

- الرسالة.

- جهاز الإرسال (بث)

- إشارة مبنوثة

- مصدر ضجيج (التشويش)

- إشارة مستقبلة

- جهاز استقبال (متلق)

- الاتجاه

فهذا المخطط الاتصالي يمكن تطبيقه على جميع أنواع الاتصال و وسائله ،  
فمثلا إذا كان الاتصال بواسطة الهاتف فإن القناة تكون عبارة عن خيوط سلكية  
و الإشارات التي تنتقل عبرها تتمثل في التيار الكهربائي المتصل بتلك الخيوط  
و البث في هذه الحالة هو « بث هاتفي » حيث يتحول ضغط الصوت ( La  
Pression de son ) إلى تيار كهربائي.

و أما الاتصال بواسطة اللغة المنطوقة فإن الدماغ يعتبر مصدر الإعلام  
(Source de l'information) بينما يعتبر البث الآلة الصوتية المنتجة لذلك  
الضغط الصوتي الذي يعد الإشارة المتنقلة عبر الهواء أو القناة<sup>(1)</sup>.

<sup>(1)</sup> Voir : Lucien SFEZ : Dictionnaire Critique de la communication, PUF, 1993, tome (1) P : 482

و ما يمكن استخلاصه من هذا أنه يوجد قاسم مشترك بين النظريات الرياضية للاتصال و بين النظريات اللسانية الحديثة يتمثل في اللغة و تحديدا في الصوت فإذا كان (جاكبسون) قد استفاد من نظرية شانون في الاتصال فإنّ هذا الأخير قد استفاد من نموذج (دي سوسير) التخاطبي حيث إنّ (شانون) ينطلق في نظريته الرياضية من عنصرين مهمين: الباتّ و المتلقّي ، الذي مثل لها (دي سوسير) بالرمز - أ - و - ب - و أمّا ما سمّاه (دي سوسير) بالمفهوم (La concept) و الذي يعتبر الحامل الفكريّ للرّسالة فقد اعتبره " شانون " في مخطّطه مصدر الإعلام ( Source d'information ) ، كما أنّ تبادل المفاهيم و الصّور السّميّة بين الباتّ و المتلقّي يتجسّد في تركيب الرّسالة و تفكيكها بشكل دوريّ منتظم<sup>(1)</sup>.

و خلاصة الكلام حول نظرية الاتصال عند (شانون) و (ويفر) هي أنّ كلّ عملية تخاطب تقتضي جهازا أدنى يتكوّن من باتّ و مستقبل و ناقل ، فالباتّ هو المتكلم أو القائم بالاتّصال الذي يقوم بعملية التركيب ، أي صياغة المفاهيم و المتصوّرات المجرّدة في نسق كلاميّ محسوس ، يــــنقل عبر القناة الحسيّة بواسطة الأداة اللسانية ، و أمّا المستقبل فهو المخاطب الذي يقوم بعملية التفكيك ، فالملاحظة أنّ عملية التركيب تنطلق من المتصوّر المجرد لتجسيمه في قالب كلاميّ محسوس ، بينما تنطلق عملية التفكيك من موضوع حسيّ لإرجاعه إلى مدلولاته المجرّدة<sup>(2)</sup>.

و الشرط الأساسي الذي يجب أن تتوفّر عليه هذه النظرية التي تعتمد في بناء الرّسالة على تقنية التركيب و التفكيك بين الباتّ و المستقبل هو اشتراكهما في الرموز المستعملة في لغة تخاطبهما ، حتى تنجح العملية الاتّصاليّة و تتحقّق الغايات المرجوة من الرّسالة ، سواء أكانت إعلاميّة أو تربويّة أو تعليميّة أو إقناعيّة.

(1) Voir : Gisel Gschwind holtzer, analyse sociolinguistique de la communication, Crédif Hatier, France, 1981, P12

(2) ينظر : عبد السلام المسدي : " الأسلوبية والأسلوب " ط2 الدار العربية للكتاب ص 62

الفصل الثاني : الإقناع : استراتيجياته و أساليبه

## 1 - مفهوم الإقناع:

إنّ الإنسان باعتباره كائنا اجتماعيًا مفطور و مجبر على التّواصل و التّعايش مع غيره ليحقّق أغراضا اجتماعيّة و سياسيّة و اقتصاديّة و علميّة... و يعرض أفكاره و يبدي رأيه و وجهة نظره، و حتّى يبلغ و يحقّق ذلك كان لزاما عليه أن ينتهج استراتيجيّات و أساليب إقناع.

## فما مفهوم الإقناع؟ و ما هي استراتيجياته و أساليبه؟

**الإقناع لغة:** من مادّة قنع، هو الرّضى بالشيء، نقول: قنع بنفسه، قنعا و قناعة رضي<sup>(1)</sup>، و من أمثال العرب « خير الغنى القنوع ، و شرّ الفقر الخضوع»<sup>(2)</sup> و المقصود بقناعة النّفس، الاقتناع؛ و هو الرّضى بالشيء. و أمّا الإقناع اصطلاحا: تعني حمل الشخص على اعتقاد شيء<sup>(3)</sup>. و هذا ما يراه (القرطاجني) في كتابه «منهاج البلغاء» حيث يقول: « أنّ الإقناع هو حمل النّفوس على فعل شيء أو اعتقاده أو التخلي عن فعله أو اعتقاده »<sup>(4)</sup>- أي: القدرة على جعل المتلقّين يؤمنون بصحة و صواب أفكار معيّنة أو جعلهم يتخلّون عن أفكار و أمور كانوا يعتقدون صحتها و صوابها.

و يظهر هذا المعنى جليّا عند (الجاحظ) - و إن لم يرد بلفظه - فيما أكّده حول مكانة الكلام البليغ و وقعه في النّفوس، إذ يقول: «إذا كان المعنى شريفا و اللفظ بليغا و كان صحيح الطبع، بعيدا عن الاستكراه، و كان منزّها عن الاختلال مصونا عن التّكلف، صنع في القلب صنع الغيث في التّربة الكريمة»<sup>(5)</sup>.

فمعنى ما يصنعه الكلام البليغ في النّفوس هو قوة التّأثير فيها و هو سبيل الإقناع، وكثيرا ما يستعمل أهل الكلام و الفلسفة كلمة التّصديق للدّلالة على الإقناع العقلي الذي يحصل في النّفوس فيقول (ابن رشد) : « إنّ طباع النّاس متفاضلة في التّصديق فمنهم من يصدّق بالبرهان و منهم من يصدّق بالأقوال الجدليّة تصديق صاحب البرهان بالبرهان ، إذ ليس في طباعه أكثر من ذلك ، و منهم من يصدّق

(1) ابن منظور ، لسان العرب ،مادة"قنع" ص321

(2) الزمخشري، أساس البلاغة، دار بيروت للطباعة و النشر بيروت 1984 مادة "قنع" ص524

(3) Nouveau dictionnaire analogique, paris, ed références la rousse, 1981 p : 521

(4) حازم القرطاجني، منهاج البلغاء، تحقيق محمد بن الخوجة، دار الكتاب الشرفية ، تونس 1966، ص20

(5) الجاحظ: البيان و التبيين،تحقيق حسن السنوسي ط4، ج3 ، المكتبة التجارية الكبرى، القاهرة ، 1956، ص37

بالأقوال الخطابية كتصديق صاحب البرهان بالأقوال البرهانية «<sup>(1)</sup>، والإقناع في العصر الحديث مصطلح يعني حمل الإنسان على اعتقاد رأي للعمل به<sup>(2)</sup> . فالإقناع - إذن- هو سوق الحجّة الكافية التي يتطلبها موقف المجادلة و المساجلة. وحسب (جوديت لازار)، الإقناع يستند إلى مساعي معمولة من أجل تغيير السلوك عن طريق علاقات وتبادلات رمزية (رسائل)<sup>(3)</sup> ، والإقناع عكس الإكراه فمثلا الدولة في تعاملها مع الشعب تملك سلطتين ، سلطة الإقناع وسلطة الإكراه ، وتمثل هذه الأخيرة فشل الأولى ، كما أنّ مدى استعمال سلطة الإكراه يظهر حدود مجهودات الإقناع الموظفة لصالح فكرة ما<sup>(4)</sup> . ويفهم من هذا القول أنّ الإقناع يخضع لسلطة العقل بتوظيف الحجّة والبرهان، والإكراه يخضع لسلطة القانون بتطبيق سياسة العقاب والقهر، فالإقناع عقليّ والإكراه قهريّ.

وهذا ما يراه (إبراهيم أبو عرقوب) : « أنّ الإقناع هو أن تجعل شخصا يقوم بعمل ما عن طريق النصح والحجّة والمنطق أو القوة فهو اتصال مكتوب أو شفويّ أو سمعيّ أو بصريّ يهدف بشكل محدد إلى التأثير على الاتجاهات والاعتقادات أو السلوك»<sup>(5)</sup> ، وأمّا (محمد عبد الرحمان عيسوي) فيقول : « إنّ الإقناع يخضع للقوانين التي تحكم عملية الإدراك والمعرفة.... إنّ الفرد يميل إلى الإقناع بالإيحاءات التي يعتقد أنّها تصدر من الأشخاص ذوي المكانة الاجتماعية البراقة»<sup>(6)</sup> البراقة»<sup>(6)</sup> ، أشار صاحب هذا القول إلى أهميّة المكانة الاجتماعية للمرسل - المتمثلة في الجاه والمنصب وقوة الشخصية - في عملية الإقناع ، نهيك عن قوة الإدراك والمعرفة .

وهو عند (عامر مصباح) : «عملية إيصال الأفكار والاتجاهات والقيم والمعلومات إمّا إيجاباً أو تصريحاً، عبر مراحل معيّنة وفي ظل حضور شروط موضوعية وذاتية مساعدة وعن طريق عملية الاتصال»<sup>(7)</sup> .

وتعرّفه (ليلى داود) « بأنّه آلية رئيسية لتكوين الآراء والمواقف»<sup>(8)</sup> ويعرّفه (الصرايرة محمد نجيب) على « أنّه محاولة واعية للتأثير في تفكير الآخرين وسلوكياتهم من خلال استخدام استمالات شخصية ومنطقية ونفسية »<sup>(9)</sup> الأمر الذي يستنتج من هذه التعاريف هو اشتراكها واتفاقها - جميعاً على وجود آليات وعوامل تخدم عملية الإقناع .

(1) الوليد بن رشد : فصل المقال بين الحكمة والشريعة من الاتصال تحقيق : محمد عمارة ، ط3، المؤسسة العربية للدراسات و النشر 1986 ص 31

(2) Grand Larousse, encyclopédie, 1984, P:690

(3) Voir : Judith Lazare, Sociologie de la Communication de masse, Paris Armand Colin, éditeur, 1991, P166

(4) Voir: Michel le net, l'etat annonceur technique, doctrine de la communication social, Paris, 1958, PP34,36

(5) إبراهيم أبو عرقوب : الاتصال الإنساني ودوره في التفاعل الاجتماعي ط 1، دار المجدلوي للنشر والتوزيع ، الأردن 1993 ص 189

(6) عبد الرحمان عيسوي ، دراسات في علم النفس الاجتماعي ط(1) النهضة العربية بيروت ، 1974 ص 16

(7) عامر مصباح : " الإقناع الاجتماعي " ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر، ص 16

(8) المرجع نفسه ص 16

(9) الصرايرة محمد نجيب : العلاقات العامة للأسس و المبادئ مكتبة الرائد العلمية ، الأردن ، 2001 ، ص 94

## 2 – استراتيجيات الإقناع :

كان فنّ الإقناع قديماً، وقبل ظهور وسائل الإعلام الجماهيريّة، يعتمد أساساً على فنّ الكلام من خلال ما يعرف بالفصاحة أو علم البيان الذي يستعمل للإشارة إلى فنّ استخدام اللغة للتأثير على أحكام الآخرين وسلوكهم.

لقد كانت تلك مهارة هامّة بالفعل، ومع ازدياد تطوّر المجتمعات، ازدهر فنّ الإقناع الشفهيّ بالكلام الفصيح، هذا عن فنّ الإقناع الذي مورس منذ قرون، غير أنّ علم الإقناع هو نتاج القرن العشرين بعد انتشار وسائل الإعلام الجماهيرية وتطوّرها والتي تهدف إلى التأثير على أفكار وسلوكيات الجمهور العريض.

وتأثير الرّسالة الإعلاميّة يبدأ بإقناع الجمهور بمشاهدتها أو الاستماع إليها أو قراءتها... وعملية الإقناع تبدأ من فكرة وطريقة التعبير عنها وأسلوب نقلها، والربط بين الفكرة والتعبير عنها وكيفية نقلها، من الأمور الشائعة بين دارجي الإعلام وخبرائه، حيث عرض الباحثون ثلاث استراتيجيات نظريّة للإقناع، يخاطب كل منها: نفس المتغيّر التابع، وهو السلوك العلنيّ، وتمثّل هذه الاستراتيجيات فيما يلي :

## أ- الاستراتيجية الديناميّة النفسيّة :

تعتمد هذه الاستراتيجية على العامل السيكولوجي لإحداث عملية الإقناع والتأثير في سلوك الفرد بواسطة إثارة الجوانب الانفعاليّة والعاطفيّة فيه، وتوظيفها بشكل يؤدّي بالفرد إلى تقبل ما يتلقاه أو على الأقل يتجاوب معه تجاوبا ايجابيا . ومن المعروف « أن المخلوق البشريّ تركيب معقد من مكونات بيولوجيّة وعاطفيّة وإدراكيّة، ومن بين هذه الأنواع الثلاثة لا بدّ أن تركز الاستراتيجية الديناميّة النفسيّة إمّا على عوامل عاطفيّة أو عوامل إدراكيّة، إذ من المستحيل تعديل عامل بيولوجيّ موروث كالطول أو الجنس ... » (1)، « ويعمد الواضعون لهذه الاستراتيجية إلى تحديد مجموعة خطيّة من المفاهيم هي المعبر عنها بالحاجات النفسيّة والدوافع والمعتقدات والمصالح، وأسباب القلق والمخاوف والقيم والآراء والمواقف، وتعتبر هذه العناصر بواعثاً أساسيّة لسلوك الفرد، ومعيار فهم اختبارات السلوك لدى الفرد وتفضيلاته وألويّاته أي أنّها البوابة الرئيسيّة لفهم أعمق لعملية

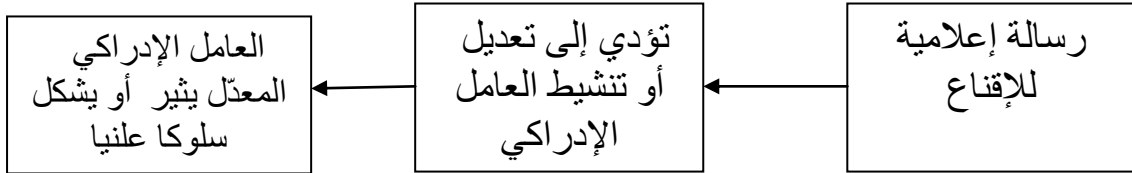
(1) معتمد بابكر مصطفى : من أساليب الإقناع في القرآن الكريم ط 1 كتاب الامّة النّوحة 2003 ص 37- 38

الإقناع والتأثير»<sup>(1)</sup> إلا أن تغيير السلوك أو تعديله يختلف من فرد إلى آخر على حسب تأثير هذه البواعث والعوامل فيه ، وعلى حسب استجابته لها .

إنّ العواطف تمثل أساسا واضحا لاستراتيجيه الإقناع ، ولكنها تستعمل في حالات محدودة من المواقف ، وهناك محاولة للتأثير على العوامل الإدراكية ويعود هذا إلى افتراضين :

- العوامل الإدراكية مكتسبة من عملية التنشئة الاجتماعية .
- العوامل الإدراكية هي مؤثرات على السلوك الإنساني ، فإنه إذا كان من الممكن تغيير العوامل الإدراكية فسيتسنى عندئذ تغيير السلوك<sup>(2)</sup>

ومن هنا يكن القول : « إنّ جوهر الاستراتيجية الدينامية النفسية هو استخدام رسالة إعلامية فعالة لها القدرة على تغيير الوظائف النفسية للأفراد لكي يستجيبوا لهدف القائم بالاتصال ، أي أنّ مفتاح الإقناع يكمن في تعليم جديد من خلال معلومات يقدمها القائم بالاتصال لتغيير البناء النفسي الداخلي للفرد المستهدف (الاحتياجات - المخاوف - التصرفات ) مما يؤدي إلى السلوك المرغوب فيه»<sup>(3)</sup> والرسم التالي يوضح مخطط الاستراتيجية الدينامية النفسية للإقناع<sup>(4)</sup>



- أمّا القرآن الكريم فقد اعتمد الاستراتيجية الدينامية النفسية منها لتغيير مواقف الناس وأفكارهم وسلوكياتهم ، وتقويمها وتوجيهها وتصحيحها من خلال أساليب الأمر والنهي والترغيب في الجنة ونعيمها ، والترهيب من النار وشقائنها وفي هذا يقول (معتمد بابكر مصطفى) : « تقع آيات الترغيب والترهيب ضمن هذه الاستراتيجية ، هي كثيرة جدًا ، غالبية ، طاعية ، ومقصدها الزجر من ارتكاب محظور ، أو الحث على امتثال مأمور ، وغاية الكلّ صلاح الفرد وفوزه ونجاته من النار»<sup>(5)</sup>

(1) عامر مصباح : الإقناع الاجتماعي مرجع سابق ص 51

(2) ينظر ملفين دفلير - ساندر روكشيش : نظريات وسائل الإعلام ترجمة : كمال عبد الرؤوف ط 5 الدار الدولية للاستثمارات الثقافية القاهرة 2004 ص 380

(3) معتمد بابكر مصطفى : المرجع السابق ص 38- 39

(4) ملفين دفلير - ساندر روكشيش مرجع سابق ص 384

(5) معتمد بابكر مصطفى : المرجع نفسه ص 78- 79



ومن أمثلة الآيات التي تدخل ضمن هذه الاستراتيجية على سبيل المثال لا الحصر قوله تعالى : ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴿١﴾ وَأَنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٢﴾﴾ (1)

ففي هاتين الآيتين الكريمتين ترغيب وترهيب ، حيث يبشّر الله - سبحانه وتعالى- المؤمنين الذين يعملون الصّالحات بأنّ لهم أجرا كبيرا ألا وهو الجنة ،بالتالي هذا أسلوب ترغيب لكلّ عاقل في عمل الصّالحات لنيل الأجر والفوز بالجنة ، وبالمقابل هناك ترهيب للذين لا يؤمنون بالآخرة بأنّ لهم عذابا أليما فأسلوب الترهيب هذا فيه من التهديد والوعيد والتخويف ما يمكن أن يغيّر أفكار الذين لا يؤمنون وسلوكياتهم من اللّا إيمان إلى الإيمان.

ومن أمثلة ذلك - أيضا - قوله تعالى: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّمَّنْ مِثْلِهِ ۖ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِّنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٢﴾ فَإِنْ لَّمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ ۗ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴿٢٤﴾﴾ (2)

ففي هاتين الآيتين تقرير لنبوّة محمد - صلى الله عليه وسلم - وتحدّ من الله تعالى للكافرين أن يأتوا بمثل هذا القرآن أو ببعضه، فإن عجزوا - والحال أنّهم سيعجزون - فالنار مثواهم، فهو تهديد ووعيد لهم (3).

(1) سورة الإسراء الأيتان : 10- 09  
(2) سورة البقرة الأيتان : 24-23  
(3) معتمد بابكر مصطفى : المرجع السابق ص 79

وقوله تعالى : ﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ﴾ (١١٣) وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١١٤﴾ (١)

تشير الآيتان إلى وجوب إتباع هدى الله ومن اتبعه فلا يضل الطريق المستقيم طريق الهدى والحق ولا يشقى في الآخرة، وبالمقابل فإن الشقاء في الدنيا والآخرة هو عقاب من ضلّ وابتعد عن دين الله (٢).

ب - الاستراتيجية الثقافية الاجتماعية :

إذا كانت الاستراتيجية الدينامية النفسية تعمل على أن تسيطر على سلوك الفرد من الداخل وفقا لقواعد علم النفس ، فإن هناك علوما اجتماعية أخرى تفترض أن قدرا كبيرا من السلوك الإنساني تشكّله قوى من خارج الفرد (٣) تلك هي الاستراتيجية الثقافية الاجتماعية.

وتقوم هذه الاستراتيجية على فكرة مفادها أن الثقافة تؤدي وظيفة حيوية في تشكيل السلوك البشري ، وأكثر من ذلك أنها تتحكم في الأنماط السلوكية المنبثقة عن الشخصية فهي الخلفية الفكرية والمعرفية والاعتقادية للسلوك ، فالثقافة تحمل في طياتها الأشكال السلوكية والقوالب الفكرية التي تطبع عليها الفرد ، ويضاف إليها كذلك عملية التعلم الاجتماعي التي هي أحد أشكاله ، فالثقافة ليست حكرًا على معاهد أو مؤسسات تعليمية ، وإنما قد تكتسب بطريقة عفوية وتلقائية نتيجة تفاعل للفرد مع محيطه .

وانطلاقًا من هذه الاعتبارات تبنى الاستراتيجية الثقافية الاجتماعية في الإقناع والتأثير (٤) .

إن، هذه الاستراتيجية تؤكد ما وصلت إليه العلوم والدراسات الاجتماعية من التأثير القوي للثقافة على السلوك ، ويظهر هذا التأثير في السيطرة على التصرف الإنساني<sup>5</sup> « فما تتطلبه استراتيجية ثقافية اجتماعية فعالة هو أن تحدد رسائل الإقناع للفرد قواعد السلوك الاجتماعي ، أو المتطلبات الثقافية

(١) سورة طه الآيتان 123 - 124

(٢) ينظر معتصم باكر مصطفى المرجع نفسه ص 82

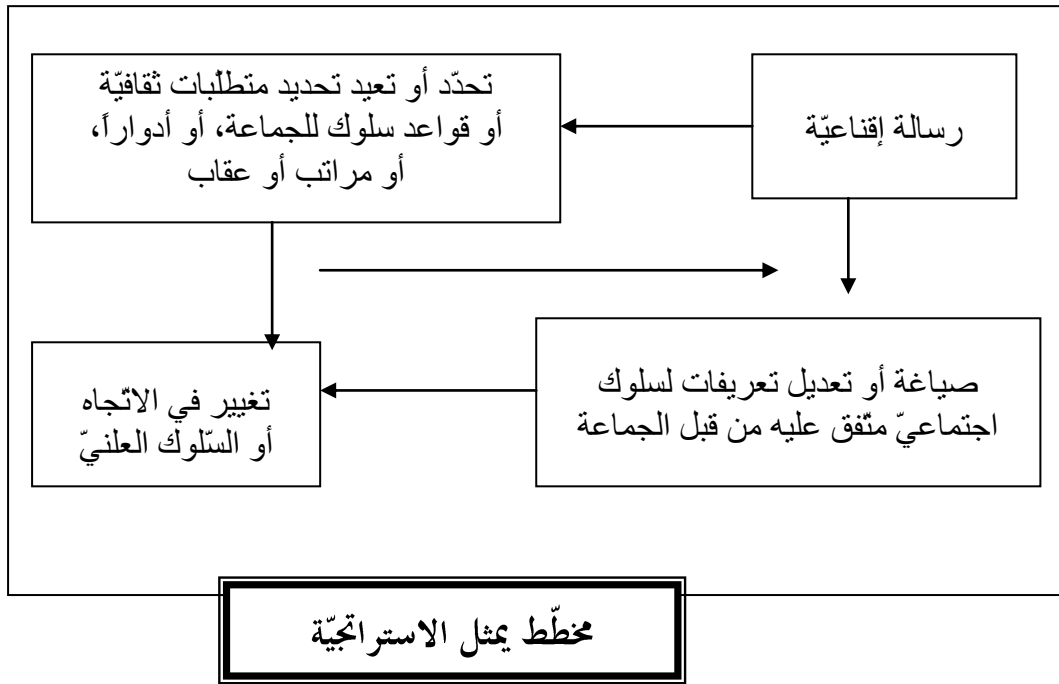
(٣) ينظر معتصم باكر مصطفى : المرجع السابق ص 40

(٤) ينظر عامر مصباح : الإقناع الاجتماعي مرجع سابق ص 52

(٥) ينظر مغلين ديفر : نظريات وسائل الاعلام : مرجع سابق ص 386.

للعمل الذي يحكم الأنشطة ، التي يحاول رجل الإعلام أن يحدثها ، وإذا كانت التحديات موجودة فعلا تصبح المهمة هي إعادة تحديد هذه المتطلبات «<sup>(1)</sup>.

وتستخدم الدول الأجنبية هذه الاستراتيجية لبيت ثقافتها وتقاليدها في البلدان الأخرى وهذا يعني أنّ الرسالة الإعلامية تعمل على تعميم ثقافة تلك الدولة وقيّمها ، وتقيم بالتالي لغة مشتركة بين البلدين ، تسهّل للطرف الأقوى فرض سيطرته على الطرف الأضعف ويبدو أنّ العالم الإسلامي اليوم يشكّل الطرف الأضعف ، حيث تتم السيطرة الثقافية عليه(.....)ومما ساعد على تدعيم هذه السيطرة وتثبيتها ، التدفق الحرّ للمعلومات ، وضخامة الإنتاج للشركات الإعلامية العالمية الكبرى.<sup>(2)</sup>



ولمّا كان الإقناع يركز من جهة أخرى على العلاقات الاجتماعية ، ودافعية الانتماء ، وحرص الفرد على تقدير الجميع له ، كانت هذه العوامل تجعله يتجنّب السلوك الذي لا ترضى عنه الجماعة ، ويستجيب إلى السلوك الذي يتوقّف مع المعايير الاجتماعية التي تتمثل في القيم والتقاليد والأعراف التي تحدّد معايير السلوك لدى المجتمع وخصائصه الثقافية ، كان على القائم بالاتصال في عملية الإقناع أن يجعل من هذه المعايير والقواعد والضوابط مؤشرات لاتجاهات التأييد أو المعارضة، أو بصفة عامّة قبول التوصيات أو رفضها في الرسالة الإقناعية.<sup>(3)</sup>

(1) معتصم بابكر مصطفى : المرجع نفسه ص 41

(2) ينظر معتصم بابكر مصطفى : المرجع نفسه ص 41-42

(3) ينظر معتصم بابكر مصطفى : المرجع نفسه ص 84

وفي القرآن الكريم اقترنت هذه الاستراتيجيّة بمعجزات الرّسل - عليهم السّلام - حيث كانت تتفق مع القيم والعادات والأعراف التي كانت سائدة في مجتمع كل نبويّ من الأنبياء بما يناسب أهل زمانه ، فكان الغالب على زمان موسى - عليه السّلام - السّحر وتعظيم السّحرة ، فبعثه الله بمعجزات بهرت الأبصار ، وحيرت كلّ السّحرة ، فلمّا استيقنوا أنّها من عند العظيم الجبار انقادوا للإسلام ، وصاروا من عباد الله الأبرار (1) .

قال تعالى: ﴿ قَالَ أَجِئْتَنَا لِتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكَ يَا مُوسَىٰ ﴿٥٧﴾ فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِّثْلِهِ ۚ فَاجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا لَا نُخْلِفُهُ نَحْنُ وَلَا أَنْتَ مَكَانًا سُوًى ﴿٥٨﴾ قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمَ الزَّيْنَةِ وَأَنْ تُحْشَرَ النَّاسُ ضُحًى ﴿٥٩﴾ فَتَوَلَّىٰ فِرْعَوْنُ فَجَمَعَ كَيْدَهُ ثُمَّ أَتَىٰ ﴿٦٠﴾ قَالَ لَهُمْ مُوسَىٰ وَيَلَكُمْ لَا تَفْتَرُوا عَلَيَّ اللَّهُ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُمْ بِعَذَابٍ ۗ وَقَدْ خَابَ مَنْ افْتَرَىٰ ﴿٦١﴾ فَتَنَزَعُوا أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ وَأَسْرُوا النَّجْوَىٰ ﴿٦٢﴾ قَالُوا إِنَّ هَذَانِ لَسِحْرَانِ يُرِيدَانِ أَنْ يُخْرِجَاكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ الْمُثَلَّىٰ ﴿٦٣﴾ فَاجْمِعُوا كَيْدَكُمْ ثُمَّ أَنتُوا صَفًا ۚ وَقَدْ أَفْلَحَ الْيَوْمَ مَنْ اسْتَعَلَىٰ ﴿٦٤﴾ قَالُوا يَا مُوسَىٰ إِمَّا أَنْ تُلْقَىٰ وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَىٰ ﴿٦٥﴾ قَالَ بَلْ أَلْقُوا فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ ﴿٦٦﴾ فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُوسَىٰ ﴿٦٧﴾ قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلَىٰ ﴿٦٨﴾ وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوا ۗ إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدٌ سَحِيرٌ وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ ﴿٦٩﴾ فَأَلْقَىٰ السَّحْرَةَ سُجْدًا قَالُوا ءَامَنَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَىٰ ﴿٧٠﴾ ۚ (2)

(1) المرجع نفسه ص 85  
(2) سورة طه : من الآيات 57 إلى 70

وأما عيسى - عليه السلام - فبعث في زمن الأطباء وأصحاب علم الطبيعة، فجاءهم من الآيات بما لا سبيل لأحد إليه فمن أين للأطباء القدرة على إحياء الموتى وبتّ الروح في الجماد و مداواة الأكمه والأبرص؟<sup>(1)</sup>

قال تعالى: ﴿وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّكُم إِن كُنتُمْ مُّؤْمِنِينَ﴾<sup>(2)</sup>

وأما محمد - صلى الله عليه وسلم - النبي الأمي فقد بعث في زمن البلغاء والفصحاء وأرباب البيان وفحول الشعراء ، فاتاهم بكتاب من الله - عزّ و جلّ - بنفس لغتهم (قرآنا عربيا ) فأذهلهم وأعجزهم ببلاغته وفصاحته وبيانه ، وتحداهم الله - سبحانه وتعالى - بأن يأتوا بمثله ، أو بعشر سور من مثله أو بسورة من مثله ، فلم ولن يستطيعوا حتى وإن اجتمعت الإنس والجنّ وتعاونوا فيما بينهم على فعل ذلك فقال - عزّ من قائل- : ﴿ قُل لِّئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَٰذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ - وَلَوْ كَانَتْ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾<sup>(3)</sup>

### ج - استراتيجية إنشاء المعاني:

تقوم هذه الاستراتيجية على مفاهيم علماء "الأنثروبولوجيا" القائلة أن المعاني ترتبط مباشرة باللغة ، والتي يعبر بها الإنسان عما يجول بخاطره ويتصرف حيال العالم الخارجي بناء على ما يحمله من معان وهذه البنية المعرفية الداخلية تزود الإنسان بتعريفات للمواقف التي تواجهه ، ومن ثم فالتصرف إزاءه منبثق من بنيته المعرفية الداخلية<sup>(4)</sup> ، أي أنّ الإنسان يحكم على العالم الخارجي ، ويبنى سلوكياته أو يعدلها تجاهه انطلاقا مما يحمله من معان ومعارف .

(1) ينظر معتصم باكر مصطفى : المرجع نفسه ص 86

(2) سورة آل عمران الآية: 49

(3) سورة الإسراء الآية: 88

(4) ينظر عامر مصباح : الإقناع الاجتماعي : مرجع سابق ص 54

و« تستخدم وسائل الإعلام الجماهيرية في إنشاء ودعم الصور الذهنية من خلال مصادر غير محدّدة للمعلومات ، تعمل على صياغة أو تعديل المعاني التي خبرها الناس عن كل شيء »<sup>(1)</sup>، فمثلا يستخدم المرشّحون السياسيون بناءات في المعاني الايجابية عن أنفسهم وتنقلها وسائل الإعلام مثل استعارات النظام الجديد ... النظام النظيف .. الحرب على الفقر ... بدايات جديدة.. أفكار جديدة...وما إلى ذلك من شعارات<sup>(2)</sup>.

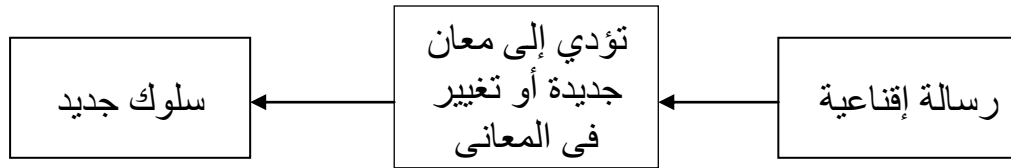
إذن اللغة هي القاعدة الأساسية في استراتيجية إنشاء أو بناء المعاني حيث تعتمد وسائل الإعلام الجماهيرية على اللغة من أجل أن تنقل للجمهور المتلقي معان جديدة أو تعمل على تغيير المعاني السابقة لديه ، وبالتالي التغيير والتعديل في السلوك الاجتماعي وهذا - طبعا - عن طريق تقديم معلومات فعّالة. وقد أحصى بعض العلماء وظائف اللغة الاجتماعية في الآتي :

أ - اللغة تجعل للمعارف والأفكار البشرية قيما اجتماعية، لسبب يقوم على استخدام المجتمع للغة بقصد الدلالة على أفكاره وتجاربه.

ب - اللغة تحتفظ بالثراث الثقافي والتقاليد الاجتماعية جيلا بعد جيل.

ج - اللغة عبارة عن وسيلة لتعلم الفرد ، تعينه على تكيف سلوكه وضبطه حتى يلائم تقاليد المجتمع وسلوكياته .

د - اللغة تزوّد الفرد بأدوات التفكير ، وما وصل المجتمع البشري إلى ما هو عليه الآن إلا من خلال التعاون الفكري المنظم لحياته ، ولا يأتي هذا التعاون الفكري إلا بالتفاهم وتبادل الأفكار بين أفراد المجتمع ، والوسيلة الميسورة لهذا التبادل هي اللغة<sup>(3)</sup> والشكل التالي يوضّح مخطّط استراتيجية إنشاء المعاني<sup>(4)</sup>:



و هذه الإستراتيجية مطبّقة كثيرا في القرآن الكريم كون أنّ الإسلام جاء لتغيير مجتمع كان يعيش في جهل وتخلف وفساد ، وانحلال خلقي ، وهذا التغيير بحاجة إلى إنشاء معان جديدة وتغيير معان أخرى راسخة<sup>(5)</sup> ومن ذلك قوله تعالى : ﴿ إِنَّ

(1) معتصم بابكر مصطفى : من أساليب الإقناع في القرآن الكريم مرجع سابق ص 43

(2) ينظر : ملفين ديفلز ، سندرا وكتيش : " نريات وسائل الإعلام "مرجع سابق ص 397

(3) ينظر عبد العزيز شرف : علم الإعلام اللغوي الشركة المصرية العالمية للنشر القاهرة 2000 ص 126:

(4) معتصم بابكر مصطفى : مرجع سابق ص 45

(5) ينظر المرجع السابق نفسه ص 96

الْصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ <sup>ط</sup> فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوْ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا وَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ ﴿١٥٨﴾ (1).

جاء في سبب نزولها عن (عاصم) قال: "سألت (أنس بن مالك) عن الصفا والمروة، فقال كانا من شعائر الجاهلية، فلما كان الإسلام أمسكوا عنهما فنزلت الآية" (2). وفي هذا تغيير للمعنى ، حيث أنّ شعائر وطقوس الجاهلية تختلف في معانيها عن شعائر الدين الإسلامي الحنيف ، وفي ذلك تصحيح للمفاهيم والمعاني التي كانت سائدة في الجاهلية ومنها الطواف بالصفا والمروة ، ودفع للحرج عن المسلمين (3).

فالمعنى اللغوي للآية - إذن - كان له أثر في تغيير وتعديل المعنى والسلوك المتعلق بالصفا والمروة لدى المسلمين .

وقوله تعالى : ﴿وَلَا تَنْكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّهُ كَانَ فَحِشَةً وَمَقْتًا وَسَاءَ سَبِيلًا﴾ (4).

لقد فسّر (ابن العربي) معنى هذه الآية بأنه خلف الأبناء على حلائل الأباء ، أي زواجهم بهنّ ، إذ كانوا في الجاهلية يستقبحونه ويستهنون فاعله ، ويسمونه المقتي، نسبوه إلى المقت... قال: وقوله تعالى: ﴿إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ﴾ يعني من فعل الأعراب في الجاهلية ، إذ أنّ بعضهم كانت الحميّة تغلب عليه فيكره أن يعمر فراش أبيه غيره فيعلو هو عليه.... وفي الآية نهي عن هذه العادة السيئة وهذا المعنى والسلوك الاجتماعيّ الجاهليّ، وفي ذلك إنشاء لمعنى جديد يقضي إلى سلوك جديد يتعلق بحفظ الأنساب (5) وقوله تعالى : ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ

(1) سورة البقرة الآية 158

(2) أبو بكر محمد بن عبدا لله بن العربي : أحكام القرآن ، تحقيق علي محمد الجاوي ، بيروت : ص 64، في معتصم بابكر مصطفى :

من أساليب الإقناع في القرآن الكريم ص 97

(3) ينظر معتصم بابكر مصطفى المرجع نفسه ص 97

(4) سورة النساء الآية 22

(5) ينظر معتصم بابكر مصطفى : مرجع سابق ص 98

الْجَهْلِيَّةِ الْأُولَى<sup>ط</sup> وَأَقَمْنَ الصَّلَاةَ وَآتَيْنَ الزَّكَاةَ وَأَطَعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ<sup>ج</sup> إِنَّمَا يُرِيدُ

اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴿١٠٤﴾ (1)

ذكر (الإمام القرطبي) في تفسيره أنّ سودة -رضي الله عنها- قيل لها لم لا تحجّين ولا تعتمرين كما يفعل أخواتك؟ فقالت: قد حججت واعتمرت، وأمرني الله أن أقرّ في بيتي قيل: فو الله ما خرجت من باب حجرتها حتى أخرجت جنازتها، رضوان الله عليها، وقال (ابن العربي): «لقد دخلت نيفا على ألف قرية، فما رأيت نساء أصون عيالا ولا أعفّ نساء من نساء نابلس، التي رمي بها الخليل -عليه وعلى نبينا السلام- بالنار، فأني أقمت فيها فما رأيت امرأة في طريق نهارا إلا يوم الجمعة، فإنيهن يخرجن إليها حتى يمتلئ المسجد منهن، فإذا قضيت الصلاة وانقلبن إلى منازلهن لم تقع عيني على واحدة منهن إلى الجمعة الأخرى» (2). وفي هذا دليل على أهمية استراتيجية إنشاء المعاني في تغيير المواقف والسلوكيات

وخلاصة القول هي أنّ استراتيجية الإقناع لها توظيف واستخدام واسع في القرآن الكريم كونه رسالة تبليغية إقناعية موجّهة للعالمين، شاملة لأمر دينهم ودنياهم وأخرتهم، إذن فلا غرو من أن تعتمد هذه الرسالة على الاستراتيجيات الثلاث للإقناع، حيث يقول (معتصم بابكر مصطفى): «إنّ سور القرآن الكريم وآياته تحمل جميع خصائص الرسالة الإقناعية، سواء من خلال الاستراتيجية الدينامية النفسية، أو الثقافية الاجتماعية، أو إنشاء المعاني، ولعل ما قدّم من آيات يأتي على سبيل المثال لا الحصر، فالقرآن الكريم رسالة اتصالية صمّمت كأساس للإقناع من خلال الطرح الرباني المتكامل، الذي لا تشوبه، شائبة أو ينقصه شيء ومن المعلوم بالضرورة أنّ تبليغ رسالة القرآن الكريم إلى العالمين هو فرض على علماء الأمة، فكان لا بدّ في تبليغ هذه الرسالة العالمية من نقل مضامينها ومعانيها إلى أرجاء العالم كافة بأسلوب مقنع، انطلاقا من قول علماء الأصول: "مالا يتم الواجب إلا به فهو واجب" (3).

إذن فمن الواجب على علماء الأمة الإسلامية ودعاتها من أن يجتهدوا ويستفيدوا من استراتيجيات الإقناع الثلاث الموظفة في القرآن الكريم -في الدعوة إلى الله وتبليغ ونشر رسالة الإسلام، ووعظ الناس وإرشادهم وتحذيرهم وتعليمهم

(1) سورة الأحزاب الآية 33

(2) محمد بن أحمد القرطبي الجامع لأحكام القرآن، دار إحياء التراث العربي (ط2)، ج 14، 1952، ص 180-181

(3) معتصم بابكر مصطفى: مرجع سابق ص 101-102



وبخاصّة في زمننا هذا الذي يعجّ بالمفاسد والفتن - بالإضافة إلى أنّ هذه الاستراتيجيات توفر عليهم الكثير من الجهد والوقت.

### 3 - أساليب الإقناع ما بين الخطاب الإنسانيّ و الخطاب القرآنيّ :

- إنّ الأساليب و الآليات الإقناعيّة في الخطابات و الرسائل الإنسانية كثيرة ومتعدّدة لتعدّد أنواعها وكثرة مواضيعها و اختلاف أهدافها.

فالرسالة يتحدّد نوعها من خلال محتواها و موضوعها فمنها: الاجتماعيّة و السياسيّة و الدنيّة و الإعلاميّة... إلخ. هذا التنوع في الرسائل و الخطابات يقتضي التنوع في الأساليب الإقناعيّة، حيث أنّ كلّ رسالة تحتاج نوعاً معيّناً من الحجج و الأدلّة، لأنّ بعض الرسائل و الخطابات تعتمد في تأثيرها على المتلقّي - الجانب الانفعالي العاطفيّ - وبعضها يعتمد على الجانب الجماليّ الذوقيّ و البعض الآخر على الجانب العقلانيّ المنطقيّ ، فتنوّع بذلك الأساليب الإقناعيّة ما بين أساليب لغويّة بلاغيّة و بين أساليب استدلالية منطقيّة . فلكلّ مقام مقال، و قد تجتمع هذه الأساليب في رسالة واحدة مع تفاوت نسبيّ في توظيف كلّ منها على حسب سياق الموقف أو المقام، فيجب في ذلك مراعاة شروط معيّنة منها: اختلاف المستويات العلميّة و الثقافيّة عند جمهور المتلقّين ونسبة ذكائهم ، مراعاة حالاتهم النفسيّة و الاجتماعيّة ، اختيار الزّمان و المكان المناسبين و غيرها. و في هذا يقول (معتمد مصطفى بابكر) : « تنوّع و تعدّد الأساليب المستخدمة في الرسالة لإقناع المتلقّي بمضمونها ، فأساليب عرض المحتوى تؤثر على التّعليم و الإقناع و هناك العديد من الاعتبارات التي تؤدّي إلى اختيار أسلوب معيّن لتقديم النّصّ الإعلاميّ و استخدام نوع معيّن من الاستمالات بما يتوافق و طبيعة الموضوع و خصائص جمهور المتلقّين<sup>(1)</sup> .»

و لما كانت الرسالة عنصراً أساسياً في العمليّة الاتّصاليّة و قائمة بين مرسل ومرسل إليه على أساس لغويّ فإنّ أوّل ما يمكن اعتباره أسلوباً إقناعياً هو اللّغة في حدّ ذاتها لاعتبارها الحامل الماديّ لكلّ أنواع الحجج و البراهين و الاستدلالات.

- أمّا تلك الأساليب الخاصّة بالقرآن الكريم فلا يمكن بأيّ حال من الأحوال حصرها ، كون القرآن الكريم معجزة محمّد - صلوات الله و سلامه عليه -، و حجّة الله القائمة على خلقه إلى يوم الدين ، فالقرآن كلّهُ إقناع لأنّ فيه حاجة لأهل الشّرك

(1) معتمد مصطفى بابكر: " من أساليب الإقناع " ص64

والكفر و الضلال، و فيه دعوة للناس بتوحيد الله - سبحانه و تعالى-، و الامتثال لأوامره و اجتناب نواهيه و اتباع هدى نبيه - عليه الصلاة و السلام- ، فيه ترغيب و ترهيب ، فيه دعوة إلى التأمل و الاعتبار و هو دستور للمسلمين ينظم شؤون حياتهم و يبين لهم العبادات و المعاملات ، فهو كتاب دين و دنيا.

وحاولت في بحثي المتواضع هذا أن أستشهد ببعض الأساليب والاستدلالات الإقناعية القرآنية على سبيل المثال لا الحصر.

### 3-1- البلاغة و مكانتها في الإقناع:

إنّ للبلاغة أهميّة كبرى في عمليّة الإقناع ، إذ تعتبر أهم طريقة و وسيلة اعتمدها الشعراء و الخطباء قديما و حديثا في نصوصهم للتأثير على السامعين عاطفياً و عقلياً. فالبلاغة بأقسامها الثلاثة : علم المعاني و علم البيان و علم البديع تؤثر في ملكة الجمال عند الإنسان و حاسة التذوق الفني لديه و هذا - طبعا - يتعلق بالجانب الوجدانيّ الحسيّ الانفعاليّ و الذي ينعكس بالضرورة على الجانب العقلائيّ فيحدث الإقناع. فحسن الألفاظ و قوة العبارات و براعة التراكيب و تنوع الأساليب و جماليّة اللّغة بصفة عامّة تعتبر كلّها قواعد فنيّة للبلاغة و بها تؤثر في المتذوق على المستويين : الوجدانيّ و العقليّ . و لهذا نجد الكثير من العلماء و الفلاسفة - العرب و غير العرب - اهتمّوا بالبلاغة و دورها في عمليّة الإقناع : « فكان أرسطو هو أوّل من دوّن أصول فنّ الخطابة و جعل البلاغة إلى جانب الحجج و البراهين و الأقيسة من أسس الإقناع الخطابيّ»<sup>(1)</sup>.

أمّا التراث اللغوي العربيّ فنجدّه يزخر بكتب البلاغة و فنونها منها: كتابي : «دلائل الإعجاز» و «أسرار البلاغة» (عبد القاهر الجرجاني)، و «البيان والتبيين» (للجاحظ) ويرى (محمد الصغير بناني) في دراسته لكتاب «البيان و التبيين» : « أنّ (الجاحظ) إذا تكلم في بعض النصوص عن الخطابة و السّياق يقتضي الكلام عن البلاغة فليس هذا معناه أنّه لا يفرق بينهما و لكن لأنّه يتصوّر العلاقة بينهما على هذا الشّكل ليس أكثر، و لو أردنا أن نعبر عن هذه العلاقة تعبير المتكلمين لقلنا أنّ كلّ خطابة بلاغة و ليس كلّ بلاغة خطابة و البلاغة جنس و الخطابة نوع»<sup>(2)</sup>. و ما يمكن استنتاجه و استنباطه ممّا سبق هو أنّ البلاغة فنّ من فنون الإقناع و أسلوب من أساليبه.

(1) محمد بركان: "الاتصال الإقناعي من خلال فن الخطابة" مذكرة ماجستير، قسم علوم الإعلام والاتصال ، جامعة الجزائر 2000 ص97

(2) محمد الصغير بناني: " النظريات اللسانية و البلاغية الأدبية عند الجاحظ: من خلال البيان و التبيين" ط 1 ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر 1994ص229

## أ- مفهوم البلاغة:

البلاغة لغة مشتقة من كلمة « بلغ » و معناها الوصول إلى الشيء ، تقول بلغت المكان إذا وصلت إليه ، و قد تسمى المشارفة بلوغا بحق المقاربة. كقوله : ﴿ فَإِذَا

بَلَّغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ ﴾<sup>(1)</sup> ، أي : إذا وصلن الوقت المحدد

لهنّ وإلى هذا ذهب كلّ من (عبد العزيز عتيق) و (محمد جابر فياض) : « إلى أنّ البلاغة سمّيت بالبلاغة لأنّها تنهي إلى قلب سامعه فيفهمه ، و يقال رجل بليغ أي حسن الكلام و البلاغة منصفة المتكلم ، و تسمية المتكلم بأنّه بليغ نوع من التوسع ، و الحقيقة أنّ الكلام بليغ ، يقول الله تعالى في محكم تنزيله : (حجة بالغة) و هنا جعل الله البلاغة صفة الحجة ؛ أي الكلام<sup>(2)</sup> .»

وأما اصطلاحاً: تعددت مفاهيمها و معانيها عبر الزّمان و المكان و باختلاف الثقافات و المدارس و الحضارات و أقتصر هنا على ذكر بعض هذه التعاريف .  
- عرفها (الإمام علي) - كرم الله وجهه- فقال : « البلاغة إيضاح الملابسات و كشف عوار الجهالات بأسهل ما يكون من العبارات .. »<sup>(3)</sup>.

- و يرى (ابن المقفع) بأنّ « البلاغة هي اسم جامع لمعان تجري في وجوه كثيرة ، فمنها ما يكون في السكوت ، و منها ما يكون في الاستماع و منها ما يكون في الإشارة ، و منها ما يكون في الحديث، و منها ما يكون سجعا و خطبا ، و منها ما يكون رسائل ، فعامة ما يكون من هذه الأبواب الوحي فيها و الإشارة إلى المعنى و الإيجاز هو البلاغة<sup>(4)</sup> .»

- أمّا (الجاحظ) فيعتبر من الذين تحدّثوا عن معاني البلاغة بعمق في كتابه « البيان و التبيين » حيث جمع فيه تعاريف كثيرة للبلاغة لعلماء و أمم مختلفة ، و قد أحصى (بناني) أكثر من عشرين تعريفا للبلاغة في كتاب «البيان و التبيين» و وجد بأنّها لا تكاد تخرج عن الثنائيات التالية: الإيجاز و الإطالة - المجاز و الحقيقة - التخيير و التّأليف - المعنى و اللفظ.

- ففي التّعريف اليوناني : هي اختيار الكلام و تصحيح الأقسام.

و في التّعريف الروماني : «حسن الاقتضاب عند البداهة و الغزارة يوم

(1) سورة الطلاق " الآية 7 "

(2) ينظر عبد العزيز عتيق " علم المعاني " ص 08 و محمد جابر فياض " البلاغة و الفصاحة : لغة و اصطلاحا " ص 19

(3) أبو هلال العسكري: " الصنائعيتين : الكتابة و الشعر " ط 2 دار إحياء الكتب العربية القاهرة (دت) ص 51 - 52

(4) الجاحظ: " البيان و التبيين " مصدر سابق ص 102

الإطالة.....» و أمّا في **التعريف الفارسي** : « البلاغة هي معرفة الفصل و الوصل<sup>(1)</sup> » .

- و خلص **(رجاء عيد)** من خلال المفاهيم و التعاريف للبلاغة إلى تقسيمها إلى محاور قائلا: « نستطيع أن نوجز المقصود بلفظ البلاغة بأنه يدور في ثلاثة محاور على وجه العموم ، و هي : الإيجاز في القول -الجمال الفني - و القدرة على إيصال المعنى».

**المحور الأول:** الإيجاز: من هؤلاء الذين يرون البلاغة إيجازا **(خلف الأحمر)** الذي يعرفها بأنها لمحة دالة، و كذلك **(الخليل بن أحمد الفراهيدي)** الذي يعرفها بأنها « ما قرب طرفاه و بعد منتهاه » ، و مثله **(ابن المعتز)** الذي يعرفها بأنها « البلوغ إلى المعنى و لمّا يطل سفر الكلام».

**المحور الثاني:** الجمال الفني : من هؤلاء الذين يرون أنّ البلاغة هي الجمال الفني **(الحسن بن وهب)** الذي يعرفها بأنها « القول المحيط بالمعنى المقصود مع اختيار الكلام و حسن النّظام و فصاحة اللّسان » ، و مثله **(أبو هلال العسكري)** الذي يعرفها بأنها « كل ما تبلغ به المعنى قلب السّامع فتمكنه في نفسه لتمكنه في نفسك مع صورة مقبولة و معرض حسن ... ».

**المحور الثالث:** المعنى: من هؤلاء الذين يرون البلاغة هي المعنى و القدرة على إيصاله للمتلقّي **(خالد بن صفوان)** الذي يعرفها بأنها: « إجابة المعنى و القصد إلى الحجّة<sup>(2)</sup> ».

و التعريف الذي استحسّنه **(الجاحظ)** من مجموع التعاريف - الواردة في كتابه «البيان و التبیین» - للبلاغة ذلك الذي يجمع بين المعنى و اللفظ حيث قال : « لا يكون الكلام يستحق اسم البلاغة حتى يسابق معناه لفظه ، و لفظه معناه، فلا يكون لفظه إلى سمعك من اسبق من معناه إلى قلبك<sup>(3)</sup> ».

و أمّا **(محمد الصغير بناني)** في دراسته لكتاب **(الجاحظ)** قد خلص من المعاني الكثيرة للبلاغة الواردة فيه إلى أنّها ترتبط بفنّ الإقناع من زوايا ثلاث هي:

1 - الإقناع بالاعتماد على المنطق: كثيرا ما يأتي مفهوم البلاغة في « البيان و التبیین» مصحوبا بلفظ «عقل» أو «عقول»، أو منطق فيفرض عليه معاني الدقة و الصواب حتّى الدّهاء و الحيلة و تصبح البلاغة معناها الاعتماد على الطّاقات العقلية و المنطقية وحدها للإقناع ... و هكذا تصبح البلاغة ليست طريقة فنية بديعة في الكلام فحسب بل طريقة في التفكير أيضا.

(1) محمد الصغير بناني: " النظريات اللسانية و البلاغية و الأدبية عند الجاحظ من خلال البيان و التبیین" ص 222- 223

(2) رجاء عيد " فلسفة البلاغة بين التقنية و التطور " ط2 منشأة المعارف الإسكندرية 1988 ص 19

(3) الجاحظ: المرجع السابق ص 114

2 - الاستدلال و البصر بالحجة: ومن المعاني التي اكتسبها مفهوم البلاغة معنى البصر بالحجة، فإدراك الحجة<sup>1</sup> الصائبة و تقريرها في عقول المستمعين هي البلاغة... و (الجاحظ) يؤكد موقفه الرامي إلى الجمع بين البصرين ، بصر القلب و بصر العقل، و هذا الموقف هو موقف كثير من المعتزلة ، إن لم يكن موقف المعتزلة كلهم ، (فعمر بن عبيد) - أحد شيوخهم - يلخص البلاغة في جملة هي « تقرير حجة الله في عقول المكلفين » .

3- الاستمالة و الجلب بالوسائل الجمالية : و البلاغة حينئذ هي فتنة القول و خلابة الألسنة و استمالة الأسماع بحسن المنطق و تزيين المعاني في قلوب المریدين بالألفاظ المستحسنة في الأذان المقلوبة عن الأذهان رغبة في سرعة الاستجابة<sup>(1)</sup>.

- و البلاغة - كما سبق و أن أسلفنا- ليست حكرا على الأمة العربية وحدها و إنما عرفت لدى مختلف الشعوب و الأمم؛ عند اليونان و الرومان و الفرس و الهند. فالحضارة اليونانية التي نشأت فيها البلاغة في أحضان الفلسفة جعلت الخطابة و الشعر قسمين من أقسام المنطق ، كان للبلاغة فيها مذهبان فكما كان في العرب مذهب المعنويين و مذهب اللفظيين ، كان في اليونان مذهب الفلاسفة و من رجاله: (بروك ليس و ديمستين)، و مذهب البيانين و من رجاله : السفسطائيون من أمثال (طراسيماك و جرجياس)<sup>(2)</sup>.

و عرفها (أفلاطون) قائلا: « هي كسب عقول الناس بالكلمات<sup>(3)</sup>»، كما عنى (أرسطو) بفنّ البلاغة في كتابه المشهور « الخطابة» و بخاصة ما يتعلّق بموضوع الخطبة نفسها في موضوعها و أسلوبها ، حيث دعا إلى ضرورة ترتيب أجزائها و عن وجود البلاغة في الكلام ، كما تكلم عن أثر الفصاحة و البيان في نجاح الخطابة<sup>(4)</sup>.

و كان يرى أنّ هدف الخطابة هو الإقناع ، و قد يكون بالمحتملات المظنونة و الآراء الخاصة في حين أنّ مهمة العلم البرهنة<sup>(5)</sup> ، و قد أوجز تعريف البلاغة قائلا: « هي القدرة على كشف جميع السبل الممكنة للإقناع في كل حالة بعينها»<sup>(6)</sup>.

(1) ينظر محمد الصغير بناني : المرجع السابق ص236-239

(2) ينظر أحمد حسن الزيات : دفاع عن البلاغة ط2 عالم الكتب القاهرة 1967 ص32

(3) جيهان أحمد رشتي: الأسس العلمية لنظريات الإعلام ص08

(4) ينظر محمد الطاهر درويش: الخطابة في صدر الإسلام، العصر الديني، عصر البعثة الإسلامية، ط2 دار المعارف القاهرة (دت)

ص27

(5) إبراهيم سلامة : بلاغة أرسطو بين العرب و اليونان، دراسة تحليلية نقدية، ط2 مكتبة الأنجلو المصرية القاهرة 1952 ص46

(6) عبد العزيز عتيق: علم البيان، دار النهضة للطباعة والنشر، بيروت 1988 ص08

و في الهند يقولون في شأن البلاغة : « أول البلاغة إجماع آلة البلاغة و ذلك أن يكون الخطيب ، رابط الجأش ، ساكن الجوارح ، قليل اللحظ ، متخير اللفظ ، لا يكتم سيّد الأمة بكلام الأمة ، و لا الملوك بكلام السوقة ،... و لا يفعل ذلك حتى يصادف حكيما أو فيلسوفا عظيما »<sup>(1)</sup>.

- و نستخلص من كلّ ما سبق أنّ البلاغة عند العرب و سواهم تشمل الشّكل والمضمون ، أي؛ المبنى و المعنى ، الكلمة و الفكرة ، الذوق و العقل ، و هي بذلك تسهم مساهمة فعّالة في عمليّة الإقناع ، و هذا ما يؤكّد عليه (أحمد حسن الزيات) في قوله: « البلاغة بمعناها الشّامل الكّامل ملكة يؤثّر بها صاحبها في عقول النّاس وقلوبهم عن طريق الكتابة و الكلام ، فالثّأثير في العقول عمل الموهبة المعلمة المفسّرة ، والثّأثير في القلوب عمل الموهبة الجاذبة المؤثّرة، و من هاتين الموهبتين تنشأ موهبة الإقناع على أكمل صورة »<sup>(2)</sup>.

و نجد أيضا هذا التّعريف الواسع الشّامل لمفهوم البلاغة عند الشّيخ (محمد عبده) حين قال: « ليست في الحقيقة البلاغة إلا ملكة البيان ، و قوة النّفس على حسن التّعبير عمّا تريد من المعنى من مخاطبتها من أثر في وجدانه يميل به إلى الرّغبة فيما رغب عنه، أو النفرة مما كان يميل إليه، أو تمكين ميل إلى مرغوب، أو تقريب من مكروه، أو تحويل في الاعتقاد، و ذوق النّفس كذلك لمحاسن ما تسمعه أو و جوه النّقد فيما يلقي إليها »<sup>(3)</sup>.

## ب- البلاغة في القرآن:

القرآن هو كلام الله المعجز بلفظه و معانيه، بتراكيبه و أساليبه، هو معجزة النّبىّ - صلى الله عليه و سلم-، الخالدة التي لا تزول إلى يوم الدّين. و قد وقف فحول اللّغة و فرسان البلاغة عاجزين حيارى أمام بلاغة القرآن الكريم رغم عنادهم و ادّعائهم ، حيث تحدّاهم الله - سبحانه و تعالى- في أكثر من آية بأن يأتوا بمثله فقال - عزّ من قائل-: ﴿قُلْ لَّيْنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَآ يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ ۚ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾<sup>(4)</sup>.

(1) الجاحظ: المرجع السابق، ص91

(2) أحمد حسن الزيات : المرجع السابق ص34

(3) رجاء عيد : المرجع السابق ، ص19

(4) سورة الإسراء ، الآية 88

ثم تدرّج القرآن الكريم في الآيات الدالة على التحدي و الإعجاز ، فقال تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ أَفْتَرَبُهِ قُلُوبًا فَآتُوا بِعَشْرِ سُوْرٍ مِّثْلِهِ مُفْتَرِيْنَ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِّنْ دُوْنِ اللّٰهِ اِنْ كُنْتُمْ صٰدِقِيْنَ ﴿١٣﴾ (١) ، ثم يصل إلى ذروة و قمة التحدي ليلزم المتعاندين من أهل الشرك و المنافقين و المشككين و يقمهم و يكشف ضعفهم و عجزهم ، فيقول -عزّ و جلّ-: ﴿وَ اِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلٰى عَبْدِنَا فَاتُوْا بِسُوْرَةٍ مِّنْ مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَآءَكُمْ مِّنْ دُوْنِ اللّٰهِ اِنْ كُنْتُمْ صٰدِقِيْنَ ﴿١٤﴾ (٢).

و يذكر (محمد طاهر درويش) في كتابه « الخطابة في صدر الإسلام » أنّ القرآن الكريم قرن في أكثر من آية الجدل و الاستمالة بسلامة البيان و الفصاحة حيث وصف حال قريش في بلاغة المنطق و ما لديهم من الجدل و اللدد عند الخصومة، بقوله عنهم: ﴿وَقَالُوْا ءَاٰلِهٰتُنَا خَيْرٌ اَمْ هُوَ مَا ضَرَبُوْهُ لَكَ اِلَّا جَدَلًا ۗ بَلْ هُمْ قَوْمٌ خٰصِمُوْنَ ﴿٥٨﴾ (٣) ، ثم ذكر خلاصة السننهم و استمالتهم بحسن منطقهم فقال: ﴿وَ اِنْ يَقُوْلُوْا تَسْمَعُ لِقَوْلِهِمْ ﴿٤﴾ ، وقد سأل موسى - عليه السلام - ربّه حين بعثه إلى (فرعون) و ملئه ليلبغ رسالته أن يحلّ عقدة لسانه و يطلق ما كان فيه من حبسته ، فقال -عزّ و جلّ- على لسانه في سورة (طه): ﴿قَالَ رَبِّ اشرحْ لِيْ صَدْرِيْ ﴿١٥﴾ وَيَسِّرْ لِيْ اَمْرِيْ ﴿١٦﴾ وَاَحْلِلْ عُقْدَةَ مِّنْ لِّسٰنِيْ ﴿١٧﴾ يَفْقَهُوْا قَوْلِيْ ﴿١٨﴾ (٥) ، و قال مقرّراً أنّ فصاحة اللسان أبلغ في دفع البهتان ﴿وَ اَخِيْ هٰرُونَ هُوَ اَفْصَحُ مِنِّيْ

(١) سورة هود ، الآية 13  
 (٢) سورة البقرة، الآية 23  
 (٣) سورة الزخرف، الآية 58  
 (٤) سورة المنافقون، الآية 04  
 (٥) سورة طه 28-27-26-25



لِسَانًا فَأَرْسَلَهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِي<sup>ط</sup> إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ ﴿٢٤﴾ (١) ، و ذكر الله  
نبيّه داوود -عليه السّلام- فقال: ﴿وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ، وَآتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصَّلَ الْخُطَابِ

﴿٢٥﴾ (٢) و قال رسول الله - صلى الله عليه و سلم - في وصف النبيّ شعيب - عليه

السّلام-: «كان شعيب خطيب الأنبياء».(٣)

### 2-3- الأسلوب: Style

#### أ - مفهوم الأسلوب:

الأسلوب لغة هو الطّريقة ، و في لسان العرب يقال للسّطر من التّخيل أسلوب،  
و كلّ ممتدّ أسلوب، و الأسلوب هو أيضا الفنّ أو الوجه أو المذهب ، نقول سلك  
أسلوبه أي طريقتة، و يطلق الأسلوب عند الفلاسفة على كَيْفِيَّةِ تعبير المرء عن أفكاره  
، و لذلك قال (بوفون) أنّ: « الأسلوب هو الإنسان و معنى ذلك أنّ الأسلوب هو  
الصّيغة أو التّأليف الذي يرسم خصال المرء و سجاياه ... و قد يطلق الأسلوب  
في الأخلاق و علم الاجتماع على المنهج الذي يسلكه الأفراد... و منهم قولهم: أسلوب  
الحياة(٤)».

و اصطلاحا هو طريقة يستعملها الكاتب في التّعبير عن موقفه و الإبانة  
عن شخصيته الأدبيّة المتميّزة عن سواها لاسيما في اختيار المفردات و صياغة  
العبارات و التشابه و الإيقاع (٥) ، بمعنى هو طريقة الكتابة أو طريقة الإنشاء  
أو طريقة اختيار الألفاظ و تأليفها للتّعبير بها عن المعاني قصد الإيضاح و التّأثير (٦)  
، لذلك يعرف أنّه الفنّ الأدبيّ الذي يتّخذه الأديب وسيلة للإقناع أو التّأثير (٧).

و الأسلوب بصفة عامّة هو السّمة التي يتجلّى طابعها على الأديب في مناهجه  
التي يسلكها لأداء مقاصده و هو في العلوم و الفنون الأخرى -غير الأدب - طريقة

(١) سورة القصص الآية 34

(٢) سورة ص الآية 20

(٣) ينظر : محمد الطاهر درويش: الخطابة في صدر الإسلام ، ط1، ج1، دار المعارف، القاهرة، 1968، ص29

(٤) جميل صليبا المعجم الفلسفي دار الكتاب اللبناني بيروت 1982 ص20

(٥) ينظر جبور عبد النور : المعجم الأدبي ط1 دار العلم للملايين بيروت 1979 ص20

(٦) ينظر عبد القاهر الجرجاني : دلائل الإعجاز، سلسلة الأنيس الجزائر 1991 ، ص353 - 363

(٧) ينظر أحمد الشايب: الأسلوب : دراسة تحليلية لأصول الأساليب الأدبية ط6 مكتبة النهضة المصرية القاهرة 1966 ص4



التعبير (1) ، أمّا الأسلوب اللغوي فتتعدّد أنواعه و أشكاله ، سأحاول في هذا البحث أن أركّز على بعضها بما يخدم موضوع الإقناع. و هذه الأساليب هي كالتالي:

### ب-أسلوب التكرار:

- التكرار و التكرير في اللغة معناه الإعادة و التّرديد (2) و اصطلاحاً: هو إعادة الكلام بغية تأكّيده و تقريره و يعرفه (ابن الأثير) قائلاً: « هو أن يأتي المتكلم بلفظ ثم يعيده بعينه سواء كان اللفظ متفق المعنى أو مختلفاً أو يأتي بمعنى ثم يعيده (3)». «

فالتكرار حسب (ابن الأثير) هو أن يعاد اللفظ حتى لو اختلف معنى اللفظين المعادين.

و التكرار في نظر (الجاحظ) قد يؤدّي إلى تغيير ما انعقدت عليه النفوس و الطّباع أوّل الأمر (4). و ينقل لنا (الجاحظ) في كتابه ما قيل في التكرار «...و عاودوا الفكرة عن نبوات القلوب و شحذوها بالذاكرة، فإن من أدام قرع الباب ولج (5)». و هذا ما يؤكّده (الزمخشري) في قوله: « إنّ في التكرير تقريراً للمعاني في النفس و تثبيتاً لها في الصّدور ، ألا ترى أنّه لا طريق إلى تحفيظ العلوم إلا بتريديد ما يراد حفظه منها، و كلّما زاد تردّده كان أمكن في القلب و أرسخ في الفهم و أثبت للذكر و أبعد من النسيان (6)». «

ما يمكن استنتاجه من هذا الكلام هو أنّه ما دام التكرار يسهم في عمليّة الحفظ و تثبيت المعاني و ترسيخها و تقريرها في الأنفس و الأذهان ، فكذلك يمكن للقائم بالاتّصال أثناء توجيه الرّسالة تكرار بعض الجمل أو المعاني على السّامع أو المتلقّي قصد توصيل الفكرة و التّأكيد عليها و الإقناع بها، حيث يرى عدد من علماء الاتّصال أنّ تكرار الرّسالة من العوامل التي تساعد على الإقناع ، ذلك أنّ التكرار يؤدّي إلى تذكير المتلقّي باستمرار بالهدف من الرّسالة ، و يثير في الوقت نفسه احتياجاته و رغباته . و في القرآن الكريم نجد الكثير من الآيات و القصص قد تمّ تكرارها، و خي مثال لذلك قصّة سيّدنا موسى -عليه السّلام- (7) «

(1) ينظر المرجع السابق ، ص20

(2) ابن منظور، لسان العرب ، ج12 ص64

(3) ضياء الدين ابن الأثير، المثل السائر في أدب الكاتب و الشاعر، ج3 مكتبة ومطبعة مصطفى البادي القاهرة 1939 ص3

(4) ينظر الجاحظ المرجع السابق ج1 ص81

(5) المرجع نفسه ج1 ص274

(6) أبو القاسم الزمخشري، الكشاف، مج2 دار المعرفة بيروت ص334

(7) معتصم بابكر مصطفى، من أساليب الإقناع في القرآن الكريم ص70

كما نجد في سورة (الرحمن) الآية: ﴿ فبأي آلاء ربكما تكذبان ﴾ تكررّت واحداً و ثلاثين مرّة جاءت في شكل استفهام تفريري<sup>(1\*)</sup>، و اشتملت و أفادت التذكير و الإنكار و التقرّيع للتقلين: الإنس و الجن معاً، و الغرض منها بصفة عامّة هو تقرير حقيقة قدرة الله - عزّ و جل- و التأكيد عليها، و من التكرار الذي يفيد التوكيد - أيضاً - قوله تعالى: ﴿ كلا سوف تعلمون ثم كلا سوف تعلمون ﴾<sup>(2)</sup>، فالتكرار هنا يفيد التوكيد و وقوع الفعل في المستقبل ﴿ سوف تعلمون ﴾ و سوف كما هو معلوم تفيد المستقبل البعيد في إشارة إلى و عيد الله - سبحانه و تعالى- بالعذاب الشّدّيد يوم القيامة للذين شغلّتهم أموالهم و أولادهم عن ذكر الله، و ألهاهم التكاثر في الأموال و الأنفس عن طاعته حتى أتاهم الموت.

و ما يستخلص من كل ذلك أنّ أسلوب التكرار له أهمّية كبرى في عمليّة الإقناع لأنّ من طبيعة البشر النسيان و الغفلة و السّهو، و عدم الانتباه و التّركيز و الإنكار و غيرها من الصّفات و لهذا يحتاج الإنسان (المتلقّي) - دائماً - إلى التذكير و التنبّيه عن طريق الإعادة و التكرار، قال تعالى: ﴿ و ذكر فإن الذكر تنفع المؤمنين ﴾<sup>(3)</sup>، و هذا ما ذهب (الزرّكشي) عندما أكّد على أنّ التكرار « مناسب للطبيعة الإنسانيّة المجبولة على غرائز الغفلة و النسيان و الإنكار و الجحود و ما إلى ذلك، و لا يقيم هذا إلا تكرار المواعظ و القوارع<sup>(4)</sup>».

### ج- أسلوب التوكيد:

التوكيد لغة من وكّد و أكّد العهد إذا أوثقه<sup>(5)</sup> و هذا ما ورد في قوله تعالى: ﴿ ... وَلَا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا ... ﴾ ( و يرى (الزمخشري): أنّ المقصود بتوكيدها هو توثيقها باسم الله<sup>(6)</sup>.

(1\*) سيأتي الحديث لاحقاً عن الاستفهام التفريري باعتباره أسلوباً من أساليب الإقناع

(2) سورة التكاثر الأيتان 3-4

(3) سورة الذاريات الآية 55

(4) بدر الدين الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ج3، ط1، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، 1958، ص03

(5) ابن منظور - لسان العرب، مادة "وكّد" ج15 ص382

(6) الزمخشري، المرجع السابق ج2 ص630

و في الاصطلاح: هو « تمكين الشيء في النفس و تقويّة أمره ، و فائدته إزالة الشكوك و إماطة الشبهات عمّا أنت بصدده ، و هو دقيق المأخذ كثير الفوائد (1) ». و يوجز (معتصم بابكر مصطفى) معاني التوكيد في قوله: « هي العبارات و الألفاظ التي تستخدم لتشديد المعنى (2) ».

و يستعمل في أسلوب التوكيد:

### 1- حروف التوكيد: «إن» «أن» ناسخان يدخلان على الجمل الاسميّة و يؤكدانها

مثل قوله تعالى في الكثير من الآيات: ﴿إِن اللّٰهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾. و تستعمل أيضا لام الابتداء في الكلام لفائدة معنويّة و ذلك « أنه إذا عبر عن أمر بغير وجوده أو فعل يكثر وقوعه جيء باللام تحقيقا لذلك (3) ». و مثال هذا قوله تعالى: ﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ

وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ﴾ (4)، وردت لام الابتداء في الآية الكريمة

ثلاثة مرات لتوكيد الخبر، و جاءت بعد حرف التوكيد أن أي: مؤكدين للجمله الواحدة ممّا زاد المعنى قوة و توكيدا، و هذا ما يسمّى في البلاغة بضرب الخبر الإنكاري\* .

- نونا التوكيد: الخفيفة و الثقيلة\* ، مثل قوله تعالى: ﴿لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا

آتَوْا وَيُحِبُّونَ أَن تَحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا فَلَا تَحْسَبَنَّهُمْ بِمَفَازَةٍ مِّنَ الْعَذَابِ وَلَهُمْ عَذَابٌ

أَلِيمٌ﴾ (7)

(1) بالطاهر بن عيسى ، أساليب الإقناع في القرآن الكريم : دراسة تطبيقية لسورة الفرقان ، رسالة ماجستير كلية الآداب جامعة الأردن

1990 ص 136

(2) معتصم بابكر مصطفى، المرجع السابق، ص 58

(3) ابن الأثير ، المرجع السابق، ص 58

(4) سورة المنافقون الآية 01

\* أضرب الخبر ثلاثة، ابتدائي: و هو ما خلا من المؤكدات - طلبى: و هو ما أشتمل على مؤكد واحد- الإنكاري: و هو ما أشتمل على أكثر من مؤكد.

\* فأما نون التوكيد الخفيفة فهي غير المشددة، و أما الثقيلة فهي المشددة.

(7) سورة آل عمران، الآية 188

وردت نون التوكيد الثقيلة مرتين في الآية متصلة بلفظ تحسب الذي هو فعل مضارع فأكدته، و نون التوكيد لا تتصل إلا بالأفعال المضارعة فقط و تصبح في هذه الحالة مبنية<sup>(1)</sup>.

## 2- التوكيد بالقسم:

القسم هو أحد أساليب التوكيد التي يقتضيها المقام و يرد عادة لإثبات أمر من الأمور التي يستبعد المتلقي وقوعها ، و تقرير حقيقة من الحقائق و توكيدها و إزالة الشبهة عنها عند المقسم له حتى يقبلها و يطمئن لها<sup>(2)</sup>. و القسم يستعمل كثيرا في التخاطب بين الناس و خاصة عندما يشعر القائم بالاتصال أن مستمعيه لم يهضموا ما يقول أو ما يقرّر أو يشككون في بعض ما يقول فيلجأ هنا إلى استعمال أسلوب القسم لإزالة كل الشبهات و الشكوك. و من الخصائص البلاغية للقسم هو قيامه بدور التهيئة النفسية للمخاطب بإثارة انتباهه لما يسخر به ، فيستقبله مستجمعا حواسه مركزا فكره و انتباهه إليه<sup>(3)</sup>. و في القرآن الكريم يقسم الله -عزّ و جلّ- بمخلوقاته في العديد من السور و أذكر منها على سبيل المثال لا الحصر سورة (الطارق) ﴿و السّماء و الطّارق﴾<sup>(4)</sup>، سورة (القيامة)، ﴿إلا أقسم بيوم القيامة﴾<sup>(5)</sup> ، سورة التين ﴿والتين و الزيتون﴾<sup>(6)</sup>.

## د- أسلوب الاستفهام:

الاستفهام لغة يقصد به طلب الفهم، و في لسان العرب : « استفهمه أي: سأله أن يفهمه<sup>(7)</sup>».

و اصطلاحا: معناه الاستخبار عن الشيء لكن قد يكون المستفهم عالما بالشيء و مراده بعض المعاني الأخرى التي يمكن أن تستفاد من سياق الكلام ، و من هنا استعمل البلاغيون مصطلح الاستفهام لمعناه الحقيقي و غير الحقيقي<sup>(8)</sup>.

### 1- الاستفهام الحقيقي: و هو الذي يردّ على ما استعمل له في الأصل أي طلب

الفهم و معرفة المجهول كأن تقول مثلا: ما اسمك؟ و ما هو مستواك الدراسي؟، هل فهمت درسك...؟

(1) يبني الفعل المضارع في حالتين فقط : إذا اتصلت به نونا التوكيد أو نون النسوة.

(2) ينظر بطاهر بن عيسى ، المرجع السابق، ص74

(3) ينظر المرجع السابق، ص74

(4) سورة الطارق، الآية 01

(5) سورة القيامة ، الآية 01

(6) سورة التين، الآية 01

(7) ينظر ابن منظور، المرجع السابق، ج10ص343

(8) ينظر بطاهر بن عيسى ، أساليب الإقناع في القرآن الكريم، ص58

**2- الاستفهام غير الحقيقي:** و يراد به الاستفهام الذي يخرج عن حقيقته و يكون صاحبه عالماً بالشيء و غرضه منه معان أخرى تفهم من السياق (1) ، أي يخرج إلى أغراض بلاغية مختلفة يحددها السياق منها الإنكار و التعجب و التقرير و غيرها من الأغراض التي يقصدها القائم بالاتصال. و أفضل الشواهد التي يستدل بها عن الاستفهام غير الحقيقي ما ورد في القرآن الكريم:

- الإنكار: غاية الاستفهام الإنكاري هو تنبيه السامع أو المتلقي لمراجعة نفسه وردعه، قال تعالى: ﴿يَأْتَاهَلَّ الْكِتَابُ لِمَ تُحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ وَمَا أُنزِلَتِ التَّوْرَةُ وَالْإِنْجِيلُ إِلَّا مِنْ بَعْدِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ (2)

- التعجب: غايته عودة المتلقي إلى صوابه ورشده بأن يحكم عقله فيشعر بضلاله و غيّه فيقلع عنه و يتوب إلى الله: ﴿مالكم كيف تحكمون﴾.

- التقرير: «و هو الاستفهام عن المقدمات البيّنة البرهانية التي لا يمكن لأحد أن يجدها و هي تدلّ على المطلوب لتقرير المخاطب بالحقّ و لاعترافه بإنكار الباطل (3)».

إذن فغاية الاستفهام التّقريرية هي حمل المخاطب على الاعتراف بالحقيقة الثابتة دون جبر أو قسر، مع بسط الدليل الملزم، و الحجّة المقنعة و من هنا كان أسلوباً أقوى في الطلب و أبعد في الإقناع (4).

و من أمثلة الاستفهام التّقريرية في القرآن الكريم، قوله تعالى: «أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ

السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ بِقَدِيرٍ عَلَىٰ أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ بَلَىٰ وَهُوَ الْخَلِيقُ الْعَلِيمُ» (5).

ففي هذا الاستفهام اعتمد الله - سبحانه و تعالى- على مقدّمة برهانية مقنعة أقامت الحجّة على كلّ منكر أو جاحد لهذه الحقيقة.

(1) ينظر المرجع السابق، ص60

(2) سورة آل عمران، الآية 65

(3) زاهر عواض الألمعي: "مناهج الجدل في القرآن الكريم" ط3 مطابع الفرزدق التجارية الرياض 1404هـ ، ص76

(4) بطاهر بن عيسى: أساليب الإقناع في القرآن الكريم ، ص62

(5) سورة يس ، الآية 81

﴿أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَدِيرٍ عَلَيَّ أَنْ تَخْلُقَ مِثْلَهُمْ؟﴾ فهنا ليس أمام العقل البشري إلا أن يسلم و يقرّ و يعترف بقدره الله - عزّ و جلّ - على الخلق و يرتدع أمام هذه الحقيقة ، فما دام الله - سبحانه و تعالى- خلق السموات و الأرض في ستة أيام - كما ثبت في آية أخرى في غير هذا الموضع - فهل يعجز أن يخلق مثلهم؟ ﴿بَلَىٰ وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ﴾<sup>(1)</sup>.

و مثله - عزّ و جلا- : ﴿وَإِذِ قَالَ اللَّهُ يَعْيسَى ابْنَ مَرْيَمَ ءَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمَّيَ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ ۗ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقِّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ ۗ فَقَدْ عَلِمْتَهُ ۗ تَعَلَّمَ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ ۗ إِنَّكَ أَنْتَ عَٰلِمُ الْغُيُوبِ﴾<sup>(1)</sup>.

أراد الله - سبحانه و تعالى- من خلال هذا الاستفهام : ﴿ءَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمَّيَ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ ۗ؟﴾ إقامة الحجّة و الدليل على أولئك المفترين المشركين الذين ألّهُوا سيدنا عيسى - عليه السّلام- و أمّه لإبطال و كشف افتراءاتهم و ادّعاءاتهم و أباطيلهم . إذ كيف يعقل أن يدّعي من اختاره و اصطفاه الله - سبحانه و تعالى- من بين خلقه لتبليغ رسالته إلى النّاس و دعوتهم إلى الحقّ و عبادة الله وحده.

- و جاء هذا الاستفهام في شكل حوار بين الله - عزّ و جلّ- و نبيّه عيسى - عليه السّلام- : ﴿ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقِّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ ۗ فَقَدْ عَلِمْتَهُ ۗ تَعَلَّمَ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ ۗ إِنَّكَ أَنْتَ عَٰلِمُ الْغُيُوبِ﴾<sup>(1)</sup>.

فسيّدنا عيسى - عليه السّلام- ينفي عن نفسه ادّعاء الألوهيّة بعد تسبيحه الله - عزّ و جلّ- و يثبت و يؤكد معرفة و علم الله - سبحانه و تعالى- لها في الأنفس و عالم الغيب ﴿تعلم ما في نفسي﴾ إثبات قدرة الله وحده في معرفة الأسرار و الأمور

(1) سورة المائدة، الآية 116

المكتومة في النفس و من ذا يستطيع معرفة ذلك غير الله؟ ﴿و لا أعلم ما في نفسك﴾ ، إثبات عجز الإنسان عن علم و معرفة كل شيء ، و يؤكد على مقدرة الله على علم الغيب ﴿إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّمُ الْغُيُوبِ﴾ باستعمال حرف التوكيد «إن» و استعمال الضمير المنفصل «أنت» الذي هو توكيد لفظي من الضمير المتصل الكاف ، و أيضا "علام" صيغة مبالغة على وزن فعّال و في كل هذا إثبات و تأكيد و تقرير على ألوهية الله - سبحانه و تعالى- .

و مثله قوله تعالى: ﴿أَلَمْ نَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ﴾ ﴿وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ﴾ ﴿وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ﴾ (1) ﴿﴾ .

و قوله تعالى في سورة (الطور): ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمْ الْخَالِقُونَ﴾ ﴿أَمْ خَلِقُوا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بَلْ لَا يُوقِنُونَ﴾ ﴿أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمُ الْمُصِيطِرُونَ﴾ ﴿أَمْ هُمْ سَلَمٌ يَسْتَمِعُونَ فِيهِ فَلَيَاتِ مُسْتَمِعُهُمْ بِسُلْطَنٍ مُبِينٍ﴾ ﴿أَمْ لَهُ الْبَنَاتُ وَلَكُمْ الْبَنُونَ﴾ ﴿أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْرًا فَهُمْ مِنْ مَغْرَمٍ مُثْقَلُونَ﴾ ﴿أَمْ عِنْدَهُمُ الْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ﴾ ﴿أَمْ يُرِيدُونَ كَيْدًا فَالَّذِينَ كَفَرُوا هُمْ الْمَكِيدُونَ﴾ ﴿أَمْ هُمْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ (2) ﴿﴾ .

و يشير (معتصم بابكر) من ذات السياق إلى « صيغة التفضيل أفعّل » التي ترد خاصة في أسلوب الاستفهام في القرآن الكريم « وذلك لاستخدامها لترجيح فكرة معينة أو مفهوم ما (3) » و يستدل بقوله تعالى: ﴿ أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ

(1) سورة البلد، الآية، 8-9-10

(2) سورة الطور، الآية 35-43

(3) معتصم بابكر مصطفى، من أساليب الإقناع في القرآن الكريم، ص56

وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ كَانُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى قُلْ ءَأَنْتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللَّهُ وَمَنْ

أَظْلَمُ مِمَّن كَتَمَ شَهَادَةً عِنْدَهُ مِنَ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَفِيلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٤٠﴾ (١)

فالاستفهام الوارد في هذه الآية و المتضمن لصيغة اسم التفضيل « أعلم » الغاية منه إثبات و تأكيد العلم لله - عزّ و جلّ - فهو العليم - سبحانه و تعالى - ﴿ و فوق كل ذي علم عليم ﴾ أما الإنسان فمهما بلغ من العلم فإنّ علمه محدود و قليل مصداقا لقوله

تعالى: ( و ما أوتيتم من العلم إلا قليلا )، و قوله تعالى : ﴿ أَهْمَ خَيْرٌ أَمْ قَوْمٌ تُبَعِّعُ

وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ أَهْلَكْنَاهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ ﴿١٤١﴾ (٢)

فلفظة «خير» أفادت المفاضلة بين قوم جاحدين «هم بنو إسرائيل» و بين قوم اتبعوا سواء السبيل بإتباع سنة نبيهم و منهج ربهم.

- و خلاصة القول أنّ الاستفهام في القرآن الكريم هو أسلوب من الأساليب التي اعتمدها لإلزام و إقناع كل مرتاب أو جاحد « و اعلم أن القرآن لا يستدلّ في مجادلاته بمقدّمة لمجرد تسليم الخصم بها كما هي الطريقة الجدلية المعروفة عند أهل المنطق بل يستدلّ بالقضايا و المقدّمات التي يسلمها الناس لتكون دعوة للانقياد للحقّ و مجانية الباطل ، و لاشكّ أنّ في الاستفهام انتشارا و بيانا لما في النفوس ليكون الإلزام أبلغ و أقوى» (٣).

#### ه- أسلوب القصص:

و أصل القصص في اللغة القصّ و هو تتبّع الأثر، تقول العرب قصصت الشّيء إذا تتبعت أثره (٤)

وفي الاصطلاح معناه مأخوذ من الأصل اللغوي للكلمة فهو إتباع الخبر بعضا

بعضا، و أصله المتابعة، قال تعالى: ﴿ وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّيهِ ... ﴾ (٥)

(١) سورة البقرة ، الآية 140

(٢) سورة الدخان، الآية 37

(٣) الألمعي، مناهج الجدل في القرآن الكريم ، ص76

(٤) ابن منظور، لسان العرب، مادة"قصص" ج11ص190

(٥) سورة القصص، الآية 11



- و القصص أسلوب استقرائي لأنّ الغرض منه تعميم الموضوع المتضمن في القصة على باقي الأحداث المماثلة للتنبية على الشيء أو استهداف العبرة منه ، يقول (الألمعي): « قد يساق الدليل في قصة و يأخذ صورته من واقع الحياة في حوادثها فتصغي إليه الآذان و تميل إليه النفوس و ترتاح إليه الأفئدة و تتأثر بما فيه من عظات و عبر « (1) . و القصص القرآني له غاية سامية تتمثل في الوعظ و التربيــــــــــــة و الاسترشاد و الاعتبار من أخبار الأمم الغابرة قال تعالى: ﴿لَقَدْ

كَانَ فِي قِصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ ...﴾ (2).

فالقصاص هو أحد ينابيع الاستدلال (3) كونه يحرك العقول وينبّه القلوب إلى غاياتها السامية ومن هنا « اتخذ القرآن الكريم سبيلا للإقناع والتأثير ، وضمن القصة الأدلة على بطلان ما يعتقد المشركون وغيرهم ، وقد يكون موضوع القصة رسولا يعرفونه ويجلونهم ، إذ يدعي المجادلون أنهم يحاكونه ويتبعونه ، فيجيب الدليل على لسانه فيكون ذلك أكثر اجتذابا لأفهامهم ، وأقوى تأثيرا في نفوسهم وقد يكون مفحما ملزما إن كانوا يجادلون غير طالبين للحق « (4) فقصة إبراهيم - عليه السلام - مع قومه في إبطال عبادة الكواكب ومجادلته للنمرود في إثبات الوحدانية لله وقصة موسى - عليه السلام - مع (فرعون) وما دار بينهما من صراع انتهى بانتصار الحق على الباطل ، كلّ ذلك يجيء دليلا على صدق أنبياء الله ورسله - عليهم السلام - فيما جاءوا به من دعوة للإيمان وهداية للبشرية (5).

### و-أسلوب التمثيل:

التمثيل لغة هو التشبيه (6) وبمعنى المثل أي : النّظير (7) .  
و أمّا اصطلاحا : لا يخرج معناه عن المعنى اللغويّ ألا وهو التشبيه حيث كان البلاغيون يستعملون مصطلح التمثيل للدلالة على التشبيه التمثيلي أو الاستعارة التمثيلية (8) .

(1) الألمعي، المرجع السابق، ص 79

(2) سورة يوسف الآية 111

(3) بن عيسى الطاهر : أساليب الإقناع في القرآن الكريم : دراسة تطبيقية لسورة يوسف الفرقان ص 46

(4) محمد أبو زهرة : المعجزة الكبرى ص 375 في بن الطاهر مرجع سابق ص 46 وينظر الألمعي المرجع نفسه ص 79

(5) الألمعي : المرجع السابق ص 80

(6) ابن منظور : لسان العرب مادة " مثل " الجزء 12 ص 101

(7) الزمخشري : الكشاف عن حقائق التنزيل وعبون الأقاويل في وجوه التأويل : مرجع سابق ج 3 ص 117

(8) محمد برفان : "الاتصال الإقناعي من خلال فن الخطابة " - مقارنة نظرية مع دراسة تحليلية لنماذج من خطب الإمام علي كرم الله

وجهه مرجع سابق ص 119

والاستدلال بالتمثيل يعني الحكم على شيء معيّن لوجود ذلك الحكم في شيء آخر أو أشياء أخرى معيّنة لعلها مشتركة بينها، ويسمى الشيء المحكوم عليه « فرعا » والشيء المنقول منه الحكم « أصلا»، والعلّة المشتركة بينهما « الجامعة»، مثال ذلك قولنا: إنّ الماء كالزيت لأنه يشبهه في القدرة على كسر الضوء.<sup>(1)</sup> و يقول فيه (الألمعي): « هو إلحاق أحد الشئيين بالآخر، وذلك بأن يقيس المستدل الأمر الذي يدّعيه على أمر معروف عند من يخاطبه أو على أمر بديهي لا تنكره العقول وبين الجهة الجامعة بينهما»<sup>(2)</sup>.

لذلك نجد أنّ القرآن الكريم اتخذ التمثيل سبيلا للإقناع والتأثير لما له من خصائص فنيّة وبلاغية متميزة فغاية التمثيل القرآني بيان الحقيقة، وإقامة الحجّة على الخصوم ومن أنواع التمثيل التي اعتمدها أو وظفها القرآن الكريم :

**1- التشبيه التمثيلي\*:** هو تشبيه مركّب يقوم على أساس المشابهة بين صورتين، ووجه الشبه بينهما منتزِع من متعدّد أي يحمل خصائص من المشبه وأخرى من المشبه به كقوله تعالى: ﴿ مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ

ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ ﴿٤٧﴾<sup>(3)</sup>.

ففي هذا التشبيه التمثيلي شبه الله - عزّ وجلّ - صورة المنافقين اللذين عرفوا الإيمان والهدى ثم ارتدوا وعادوا إلى الضلال والكفر، بصورة حسيّة ماديّة تمثلت في تصوير الشخص الذي يكون في الظلام لا يبصر شيئا ، ثم يشعل نارا فتضيء ما حوله ، وفجأة تنطفئ أو يطفئها بنفسه ويعود إلى الظلام من جديد، ووجه الشبه بينهما منتزِع من متعدّد

- الضلال = الظلام  
- النور = الإيمان

(1) جميل صليبا : المعجم الفلسفي مرجع سابق ص 343  
(2) الألمعي : مناهج الجدل في القرآن الكريم : مرجع سابق ص 78  
\* التشبيه أنواع: تشبيه تام: وهو ما توفرت فيه الأركان الأربعة للتشبيه وهي: المشبه والمشبه به ( طرف التشبيه)، وأداة التشبيه ووجه الشبه كقولك: زيد كالأسد في القوة.

- تشبيه مرسل مجمل: وهو الذي نذكر فيه أداة التشبيه ويحذف فيه وجه الشبه نحو قولك زيد كالأسد

- تشبيه مؤكد مفصل: وهو الذي تحذف فيه أداة التشبيه، ويذكر فيه وجه الشبه نحو زيد أسد في الشجاعة.

- تشبيه بليغ: وهو الذي يحذف فيه أداة التشبيه ووجه الشبه نحو: زيد أسد

- تشبيه ضمني: وهو الذي لا تظهر فيه أركان التشبيه وإنما تفهم من سياق الكلام نحو: قول المتنبي.

من يهن يسهل الهوان عليه ما لجرح يميت إيلام.

(3) سورة البقرة : الآية 17

## 2- الاستعارة التمثيلية\* :

هي تركيب استعمل في غير ما وضع له لعلاقة المشابهة مع قرينة مانعة من إرادة المعنى الأصلي .

- نحو قول (المتنبي) :

ومن يك ذا فم مرّ مريض **م** **م** يجد مرا به الماء الزلالا

- يقال هذا البيت لمن لم يرزق الذوق لفهم الشعر الرائع .

المعنى الذي يفهم من البيت هو أنّ المريض الذي يصاب بمرارة في فمه إذا شرب الماء العذب وجده مرّاً، ولكنّ (المتنبي) لم يستعمله في هذا المعنى بل استعمله فيمن يعيبون شعره لعيب في ذوقهم الشعري<sup>(1)</sup>

وإذ ما اشتهرت الاستعارة التمثيلية وكثر استعمالها سمّيت مثلاً وهي حسب (بروتون) (Breton) قطعة أو جزء من التمثيل يمكنها أن تكون حجة عندما توظف الإقناع أمّا (أرسطو) فيرى أنّ للاستعارة ثلاث خصائص يجب توفرها حتى تؤدّي غرضها الحجاجي وهي :

- الوضوح والصفاء: حتى تكون مفهومة.

- الجاذبية (الروعة والجمال): لجلب المتلقي وإثارة تذوقه .

- الندرة: حتى لا تكون مبتذلة<sup>(2)</sup>

ونخلص من كلّ هذا إلى أهميّة أسلوب التمثيل في الاستدلال والحجاج والإقناع حيث أشار (عبد القاهر الجرجاني) إلى أهميّة التمثيل في الخطاب فقال : « إنّ التمثيل إذا جاء في أعقاب المعاني ، أو أبرزت هي باختصار في معرضه ، ونقلت عن صورها الأصليّة إلى صورته كساها أبهة ، وأكسبها منتبها ، ورفع من أقدارها ، وشبّ من نارها ، وضاعف قواها في تحريك النفوس لها ، ودعا القلوب إليها . »<sup>(3)</sup>

وقال (ابن وهب) عن الأمثال في كتابة : « البرهان في وجوه البيان » . « ... وأمّا الأمثال فإنّ الحكماء والعلماء والأدباء لم يزلوا يضربون ويبينون للناس

\* الاستعارة: هي تشبيه حذف أحد طرفيه إما المشبه وإما المشبه به ، وهي بذلك نوعان :

أ - الاستعارة المكنية : وهي التي يحذف فيها المشبه به والقرينة فيها لغوية نحو قوله تعالى على لسان سيدنا زكريا عليه السلام : "رب إنني وهن العظم مني واشتعل الرأس شيباً " ونحو قول الرسول الله صلى الله عليه وسلم : " الصدقة تطفئ الخطيئة .... " وهي استعارة مكنية مزدوجة شبه فيها الصدقة بالماء والخطيئة بالنار ، والقرينة اللغوية واحدة وهي لفظة " تطفئ " .

ب - الاستعارة التصريحية : هي التي يصرح فيها بالمشبه به والقرينة فيها عقلية . قال تعالى : " الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور " ، فالكفر كالظلمات ، والإيمان كالنور فصرح الله سبحانه وتعالى بالمشبه به الظلمات والنور وحذف المشبه الكفر والإيمان .

- ومن أمثلتها في الشعر قول جرير : أعددت للشعراء سما ناقعا فسقيت آخرهم بكأس الأول .

والمقصود أعددت للشعراء هجاء وكلاما لا ذعا كالسم الناقع.

(1) ينظر عبد العزيز عتيق : علم البيان مرجع سابق ص 192 - 193

(2) ينظر محمد برقان : الاتصال الإقناعي من خلال فن الخطابة مرجع سابق ص 123

(3) عبد القاهر الجرجاني : " أسرار البلاغة ط2 مطبعة وزارة المعارف القاهرة ، 1979 ص 212

تصرف الأحوال بالنظائر والأشكال، يرون هذا النوع من القول أنجع مطلباً، وأقرب مذهباً ولذلك قل الله - عزّ وجلّ- : ﴿وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ

وَلَيْنِ جِئْتَهُمْ بِآيَةٍ لَيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا مُبْطِلُونَ ﴿٥٨﴾ (1) وقال تعالى

أيضاً: ﴿وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٦٧﴾ (2)

وقال أيضاً: وَسَكَنْتُمْ فِي مَسْكِ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا

بِهِمْ وَضَرَبْنَا لَكُمْ الْأَمْثَالَ ﴿٦٩﴾ (3) ، وكذلك جعلت القدماء أكثر آدابها وما دوت ه

من علومها بالأمثال والقصص عن الأمم ... » (4)

### 3-3- الحوار والجدل:

لعلّ الأسئلة الأولى التي تتبادر إلى ذهن الباحث في هذا المجال هي:  
- ما معنى الحوار ؟ ، هل للحوار أطر منهجية ؟ وهل له ضوابط فقهية ؟ وما هو الفرق بين الحوار والجدل ؟

في ضوء هذه الأسئلة يمكن تحديد بعض المعالم المنهجية للحوار إلى جانب الضوابط الفقهية التي لا بدّ منها في عملية الحوار حتى لا يتحوّل من أداة بناء إلى أداة هدم ، فالمستقرئ للقرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة يلمس أنّ الإسلام هو ذاته الحوار وليس أدلّ على ذلك من إطلاقاته للفكر الإنسانيّ ليقول في كلّ شيء قوله وتحوار في كلّ شيء على أساس الحجّة والبرهان والدليل ، وعلى أساس الكلمة الطيبة والأسلوب الجاد والموعظة الحسنة والجدال بالتي هي أحسن ، « فالخطاب القرآني كان يراعي شروط التلقّي ، ودرجات الاعتقاد ومدارك المتلقين وأوضاعهم الزمانيّة والمكانيّة ، استجابة لدواعي الإقناع ومسلكتيّ التّخاطب وأنماطه السلوكيّة وبنياته البيانيّة ، وأسسه المنطقيّة ، وسلميّة الاستدلالات العقليّة وحركيّة الأفعال الحجاجيّة ، كل ذلك بغية إنشاء التّواصل وتحقيق الحوار علماً بأنّ الله له الحجّة البالغة وأنه قادر على هداية النّاس أجمعين ، بل استبدالهم بخلق آخر » (5)

(1) سورة الروم الآية 58

(2) سورة الزمر الآية 27

(3) سورة إبراهيم الآية 45

(4) إسحاق بن إبراهيم بن وهب : البرهان في وجود البيان مطبعة الرسالة بيروت 1969 ص 117-119

(5) أحمد يوسف : سيميائيات التّواصل وفعالية الحوار - المفاهيم والآليات ، مرجع السابق ص 87

## أ- مفهوم الحوار

الحوار لغة مأخوذ من الحور وهو الرجوع عن الشيء وإلى الشيء والحوْرُ: التَّقْصَانُ بعد الزيادة لأنه رجوع من حال إلى حال والحوْرُ: ما تحت الكور من العمامة لأنه رجوع عن تكويرها والمحاورة: المجاورة ، والتَّحاور: التَّجَواب والمحاورة: مراجعة المنطق والكلام في المخاطبة<sup>(1)</sup>

وفي المعجم الفلسفي حاوره محاورة وحوارا جادله ، قال تعالى : ( قال له صاحبه وهو يحاوره )، والمحاورة : المجاورة ، أو مراجعة النطق والكلام في المخاطبة ، لذلك كان لابد في الحوار من وجود متكلم ومخاطب ولا بد فيه كذلك من تبادل الكلام ومراجعته<sup>(2)</sup>.

و أما في الاصطلاح لا يختلف عن معناها اللغويّ ، فهو « نوع من الحديث بين شخصين، يتم فيه تداول الكلام بينهما بطريقة ما ، فلا يستأثر به أحدهما دون الآخر، ويغلب عليه الهدوء والبعد عن الخصومة والتعصب »<sup>(3)</sup> « يقتضي الحوار بوصفه أخذا وردا في الكلام ومراجعة بين الذات والآخر أشكالا متعدّدة للقنوات التي تحمل قصديّات المتخاطبين سواء أكان التّخاطب مباشرا أم غير مباشر ، فسرعان ما ينتقل الحديث من طور الاتّصال إلى طور التّواصل المتقدّم بحكم حالات التفاعل بين الممثلين والشركاء والمتخاطبين»<sup>(4)</sup>.

« فالحوار في لغتنا وتراثنا الإسلاميّ له معان رفيعة القدر سامية الدّرجة تكسوها مسحة حضاريّة راقية ذات دلالات عميقة تعر عن روح الأمّة، فلقد حفلت الثقافة العربيّة والإسلاميّة بأشكال مختلفة من وجوه الحوار في القرآن الكريم، و في مسائل النّظر العقليّ لدى علماء الكلام، و الفرق الإسلاميّة، إذ اهتمّوا بأداب الحوار و شروط التّحاور، و البحث في قضايا الاستدلال و التّعليل»<sup>(5)</sup>.

(1) ابن منظور: " لسان العرب " مادة " حور " ص 217-219

(2) جميل صليبا : المعجم الفلسفي مرجع سابق ص 501

(3) ديماس محمد راشد ، فنون الحوار والإقناع ص 11، في معن محمود عثمان ضمرة : الحوار في القرآن الكريم ص 03

(4) احمد يوسف : مرجع سابق ص 175

(5) أحمد اليوسف، المرجع السابق ، 175

- و ما يؤكد هذا الكلام هو ورود لفظة الحوار في عدّة آيات من القرآن الكريم.  
ففي سورة (الكهف) ورد فعل «يحاور» مرتين، قال تعالى: ﴿وَكَانَ لَهُ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا﴾ (1)

و قال تعالى أيضا: ﴿قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّكَ رَجُلًا﴾ (2)، وورد أيضا لفظ التّحاور في سورة (المجادلة) في قوله تعالى: ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾ (3).

- و التّحاور عند (الطبري) المراجعة في الكلام، و هو المعنى الصحيح الفصيح الذي نجد له أصلا في كتب اللغة، و إن كان (ابن كثير) يذهب في تفسيره لسورة (الكهف) إلى أنّ معنى «يحاوره» يجادله و يخاصمه و يفتخر عليه (4).  
- و يرى (سعيد فكرة) أنّ معنى الحوار في الآيات الثلاث السابقة هو الجدّية والواقعية، و يتجلى ذلك في أربعة جوانب (5):

أ - الطرح: قال لصاحبه و هو يحاوره فهو حوار لطرح إشكالية الكفر بالنعم.

ب- الاستماع: ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ﴾ و حسب هذا الحوار أن يذكر الله و يستمع للحوار القائم بين الطرفين ، فالاستماع بجدّية أمر يقتضيه الحوار.  
ج - الموضوع: كان موضوع الحوار جادًا (مسألة الجنّة- مسألة الكفر- مسألة الميثاق الغليظ).

(1) سورة الكهف، الآية 34

(2) سورة الكهف، الآية 37

(3) سورة المجادلة ، الآية 01

(4) مختصر تفسير ابن كثير تحقيق محمد علي الصابوني، مج 1، ط 1، ص 419

(5) ينظر سعيد فكرة، أسس الحوار الحضاري، شروطه و مقوماته ، ج 1 ص 75

د- الطرف: فأطراف الحوار يجب أن يكونوا من الجادّين الذين يوجّه إليهم الكلام قصد الإفهام ، و إلاّ فما فائدة حوارهم ، و من هنا يتضح أنّ الحوار الذي هو تبادل أطراف الكلام إزاء إشكالية جدلية ثنائية ، يجب أن تتسم بالجديّة و الواقعيّة وبالوضوح و بالمنهجية و الانضباط المؤدّي إلى غاية إنسانيّة يوضّحه الاستقراء لنصوص القرآن الكريم و السنة الشريفة ، أو أقوال العلماء.

### ب-منطلقات الحوار و موضوعاته و أهدافه:

#### أ - منطلقاته:

" إنّ أي حوار لا بدّ له أن يقوم على منطلقات لكي يكون حوارا مثمرا و يمكن حصرها في ثلاث ركائز أساسية و هي (1):

1 - الاحترام المتبادل.

2 - الإنصاف و العدل.

3 - نبذ التعصّب.

- إنّ الاحترام المتبادل بين الأطراف المتحاورة هو المنطلق الأول الذي يجب

أن يرتكز عليه الحوار إذ يقول الله تعالى: ﴿وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ

فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ كَذَلِكَ زَيْنًا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلُهُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ مَرْجِعُهُمْ

فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٨﴾ (2).

و بهذا يفترض وجود قواسم مشتركة تكون إطارا عاما و أرضية صلبة للحوار.

و المنطلق التالي هو الإنصاف و العدل، فالعدل هو أساس الحوار الهادف الذي ينفع

الناس و يمكث أثره في الأرض، و يقتضي العدل المساواة بين البشر، فهو روح

الشريعة الإسلامية مصداقا لقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ

شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ ۗ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا ۗ أَعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ

لِلتَّقْوَىٰ ۗ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۚ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٨٨﴾ (3).

(1) عبد العزيز بن عثمان التو جري، محاضرة المدير العام للمنظمة الإسلامية للتربية و العلوم و الثقافة - بونسكو ج1 ص139-140

(2) سورة الأنعام، الآية108

(3) سورة المائدة ، الآية08

- و يضاف إلى الاحترام و العدل قاعدة ثالثة من القواعد التي تقوم عليها منطلقات الحوار، و هي نبذ التعصّب و الكراهية، يقول الله - عزّ و جلّ-: ﴿لَا يَنْهَكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقْتَلُوا فِي الدِّينِ وَلَمْ تُخْرِجُوا مِنْ دِينِكُمْ أَنَّ تَبْرُوهُمْ وَتُقْسَطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ (1)

- و التّوجيه القرآني في هذه الآية الكريمة يرقى من مستوى نبذ التعصّب و الكراهية إلى مقام أرفع و هو البرّ بالنّاس كافة و معاملتهم بالقسط. يقول (أحمد يوسف): "إنّ التّواصل يقتضي شراكة خطابية بين المتحاورين و هم يحاولون بسط آرائهم ، و تبليغ معتقداتهم عن طريق الحوار من غير تسلّط أو إكراه إذ لا إكراه في الدّين كما هو وارد في القرآن الكريم، إن حدث و أقع أحد المتخاطبين شريكه أو حتّى خصمه فإنّ فعالية الخطاب و قوّة الاستدلال العقليّ تصبح الأداة الفاعلة التي تستثمر الملكات العقليّة و اللسانية لتحقيق مقاصدها(2)"

- و من آداب الحوار - أيضا - مخاطبة النّاس بالحسنى، قال تعالى في سورة (البقرة): ﴿... و قولوا للناس حسنا...﴾ (3)

- قال (محمد عبده): « الحسن إنّما هو النّافع في الدّين و الدّنيا و ليس مجرد التّلطف بالقول و المجاملة في الخطاب(4)»

- و لقد أفرد أيضا في هذا الباب (معن محمود عثمان) ضمرة في أطروحته فصلا كاملا سماه «قواعد الحوار و الإقناع» و ضمّنه ثلاثة مباحث هي(5):

\* الاحترام المتبادل: و من المظاهر التي ينبغي مراعاتها في الاحترام المتبادل أثناء الحوار:

- الإنصاف.
- عدم الاستعجال بالردّ على الخصم.
- المحاورّة بأفضل الأسماء و الألقاب و أجمل ألوان الخطاب.

(1) سورة الممتحنة، الآية 08

(2) أحمد يوسف، المرجع السابق، ص 88

(3) سورة البقرة، الآية 83

(4) محمد عبده، الأعمال الكاملة، مج 4، دار الشروق القاهرة 1993، ص 216

(5) معن محمود عثمان ضمرة "الحوار في القرآن الكريم" أطروحة ماجستير في أصول الدين نابلس فلسطين 2005 ، ص 103-130



- الهدوء في أثناء الحوار.
- بسط الوجه.
- التركيز على الرأي لا على صاحبه.
- \* البحث عن الحقيقة و السعي إليها: و تطرّق فيه الباحث إلى أمرين يجب على المتحاورين التمسك بهما:
- التزام الموضوعية و البعد عن التعصّب.
- إبراز الحقائق الثابتة في الحوار.
- \* الرفق و اللين في الحوار: و ركّز فيه على ثلاث نقاط هي:
- أهميّة الجدل والتي هي أحسن في المحاورّة.
- الرفق في حوار الأنبياء - عليهم السّلام- مع أقوامهم.
- المداراة في الحوار.

#### ب - موضوعاته:

إنّ كلّ ما فيه مصلحة الفرد و المجتمع يصلح أن يكون مجالاً للحوار فلا يقتصر على موضوع دون آخر مادامت المنافع و المصالح هي محوره الرئيسي و مجاله الحيويّ ، فهو يشمل كل القضايا ذات الصلّة بحياة المجتمع و حاضره و مستقبله ، و يغطّي سئى الموضوعات التي ترتبط بجميع نواحي الحياة ، سياسيّة ، اقتصاديّة ، اجتماعيّة ، ثقافيّة ، علميّة، تربويّة، فكريّة...، و يستجيب للحاجات الضرورية التي تفرّضها العلاقات الثنائيّة و المصالح المتبادلة.

« كما أنّ مقام الحوار يتغيّر حينما ينتقل من عالم الأعيان إلى عالم الخيال و من الكلام المنطوق إلى الخطاب المكتوب و من المكتوب إلى المرئي، فكلّما تغيرت قنوات الاتّصال تغيرت أشكال الحوار و تعدّدت مناحيه و من ثم ندرك أهميّة تأثير الشكّل في المحتوى تأثيراً جدلياً<sup>(1)</sup>».

#### ج - أهدافه:

« إنّ الغرض من الحوار هو البحث عن الحقّ ليبيّض ، فالحقّ مطلوب و التعاون على النّظر فيه مفيد و مؤثر ، هكذا عادة السلف الصّالح - رضي الله عنهم- في تحاورهم ، فقد تدعوا الحاجة إلى البحث المشترك للتّوصل إلى الحقّ مثلما حدث بين الصّحابة - رضي الله عنهم- في حوارهم في مسألة الجدة ، و حدّ شرب الخمر<sup>(2)</sup>»\*

(1) أحمد يوسف، المرجع السابق، ص175-176

(2) الغزالي أبو حامد محمد بن محمد، "إحياء علوم الدين" مج1 ص54،

\* ملاحظة: ورد في حوار الصحابة - رضي الله عنهم- في ميراث الجدة عن قبيصة بن ذؤيب قال: جاءت الجدة إلى أبي بكر الصديق تسأله ميراثها، فقال لها أبو بكر: مالك في كتاب الله شيء ، و ما علمت لك في سنة رسول الله صلى الله عليه و سلم شيئاً، فارجعي

ويقول (جميل صليبا): « و غاية الحوار توليد الأفكار الجديدة في ذهن المتكلم (1) » تتطلع الحوارية إلى أن تكون ذات أبعاد كونية، حيث لا تتعامل مع الوحدات والعناصر تعاملًا ذريًا، بل تنظر إليها نظرة بنيوية... فيسهم الحوار في بناء الهيكل المتجذر للخطاب الذي لا يقصي دور المتكلم في المحكي الذي لا يعبر عن ذاته وقصده فقط و إنما ينقل خطاب الآخر مع العلم أنه يضيف عليه سماته الذاتية... بل إن الكينونة تنتجها فاعلية الحوار ضمن الأسيقة التداولية التي تفرض وضعيتها خاصة بمراجعة الكلام بين المتكلمين و هكذا ينتقل فعل التخاطب من طور النزعة الفردية المعروفة إلى طور الشراكة الجماعية التي تقتضي بدورها فعلا حاجيا قوامه الحوار و الإقناع(2).

- فالمتحاورون و المتجادلون يستعملون مختلف أنماط العلامات استعمالا معقولا في مطارحاتهم الفكرية ، حيث يتمخض عن هذا السلوك القبول بمبدأ الشراكة و قبول الآخر بوصفه جزءا لا يتجزأ من الممارسة الفكرية .

و بصفة عامة يمكن إجمال أهداف الحوار في البحث عن الحقّ و السعي وراءه وكل ما من شأنه أن يحقق الخير و الصلاح و الأمن و السلام و الرخاء و الطمأنينة للناس كافة(3). قال تعالى في سورة (الحجرات): ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتَقَدُّمُ ۗ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ

خَبِيرٌ ﴿١٣﴾ (4)

فلفظ «التعارف» يفيد و يقوي و يزيكي هذه المعاني جميعا ، فالتعارف يتسع ليشمل التعاون و التعايش و كلّ ضروب العمل الإنسانيّ المشترك فهو هدف سام من أهداف الحوار.

حتى أسأل الناس. فسأل الناس ، فقال المغيرة بن شعبة: حضرت رسول الله صلى الله عليه و سلم أعطاهم السدس ، فقال أبو بكر: هل معك غيرك؟ فقام محمد بن مسلمة الأنصاري، فقال مثل ما قال المغيرة بن شعبة ، فأنفذه لها أبو بكر. في الحافظ أبي عبيد عبد الله بن يزيد القزويني "سنن ابن ماجة" كتاب الفرائض ، باب ميراث الجدة - رقم (2724) ، دار ابن حزم ، بيروت ، ط1 (دت)ص410. و ورد في حوار الصحابة - رضي الله عنهم- بشأن شرب الخمر: عن أنس بن مالك : أن النبي صلى الله عليه و سلم جلد في الخمر بالجريد و النعال، ثم جلد أبو بكر أربعين، فلما كان عمر ، ودنا الناس من الريف و القرى قال : ماترون في جلد الخمر؟ فقال عبد الرحمن بن عوف: أرى أن تجعلها كأخف الحدود ، قال: فجلد عمر ثمانين.

الإمام أبو الحسن مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري ، صحيح مسلم، تحقيق و تخريج أحمد زهوه، و أحمد عناية، كتاب الحدود ، باب الخمر، رقم (4454)، دار الكتاب العربي، بيروت(1429هـ -2008م)ص724.

(1) جميل صليبا ، "المعجم الفلسفي"، ص501

(2) ينظر أحمد يوسف، سمياتيات التواصل و فعاليات الحوار، ص88-90

(3) أحمد يوسف، المرجع السابق، 173

(4) سورة الحجرات، الآية، 13

## ج- مفهوم الجدل:

الجدل لغة : هو اللدد في الخصومة و القدرة عليها ، و قد جادله مجادلة و جدالا .  
و رجل جدل و مجدل و مجدل: شديد الجدل ، يقال جادلت الرجل فجدلته جدلا :  
أي غلبته ، و رجل جدل إذا كان أقوى في الخصام ، و جادله أي خاصمه ، و الجدل  
هو شدة الخصومة<sup>(1)</sup>.

وفي « المعجم الفلسفي » «جدل جدالا» اشتدّ خصومه و جادل مجادلة و جدالا  
ناقشه و خاصمه<sup>(2)</sup>.

و عرفه (ابن فارس) فقال: «الجيم و الدال و الميم» أصل واحد وهو من باب  
استحكام الشيء في استرسال يكون فيه، و امتداد الخصومة و مراجعة الكلام<sup>(3)</sup>  
أما (محمد التومي) فيرى أنّ الجدل يطلق في الأصل اللغوي على معنيين حسيين:  
أحدهما: الشدّ و الفتل و الإحكام، جدلت الحبل أي أحكمت قتله، و جدلت البناء  
أي أحكمته.

ثانيهما: الإلقاء و الإسقاط على الجدالة التي هي الأرض الصلبة جاء في « أساس  
البلاغة» ل: (الزمخشري) «جدله» أي ألقاه على الجدالة «بمعنى طرحه أرضا<sup>(4)</sup>»  
و يرى (مناع القطان) أنّ «أصله من جدلت الحبل أي؛ أحكمت قتله، فكأن المتجادلين  
يفتل كل واحد الآخر عن رأيه<sup>(5)</sup>».

- و خلاصة المعنى اللغوي للجدل أنه اللدد في الخصومة و القدرة عليها  
و امتدادها و مراجعة الكلام.

و الجدل في الاصطلاح لا يختلف كثيرا عن معناه اللغوي، فهو يعني المفاوضة  
على سبيل المنازعة و المغالبة لإلزام الخصم. قال (ابن سينا) في « الشفاء»- كتاب  
الجدل-: «أما المجادلة فهي مخالفة تبغي إلزام الخصم بطريقة مقبولة محمودة  
بين الجمهور» و قال صاحب «المصباح المنير» بعد أن ذكر المعنى اللغوي للجدل  
« ثم استعمل على لسان حملة الشرع في مقابلة الأدلة لظهور أرجحها »  
و أمّا (الجرجاني) في «التعريفات» فقال: « الجدل عبارة عن مرآة يتعلّق بإظهار  
المذاهب و تقريرها »، و يرى (أبو البقاء) في كتاب «الكليات»: « الجدل هو

(1) ابن منظور، لسان العرب، مادة "جدل" ج11- ص105

(2) جميل صليبا، المعجم الفلسفي ، ج1 ص391

(3) ابن فارس، مقاييس اللغة، ج1، ص433

(4) ينظر محمد التومي، الجدل في القرآن الكريم، شركة الشهاب الجزائر (دت)، ص07

(5) مناع خليل القطان، مباحث في علوم القرآن، ط6، مكتبة القاهرة، 1988، ص294

عبارة عن دفع المرء خصمه عن فساد قوله بحجة أو شبهة و هو لا يكون إلا بمنزعة غيره<sup>(1)</sup> .

وهو عند (مراد وهبة) فنّ الحوار و المناقشة و طريقة للاستدلال<sup>(2)</sup> ، و يعتبره (أفلاطون) « منهج في التحليل المنطقيّ يقوم على قسمة الأشياء إلى أجناس و أنواع بحيث يصبح علم المبادئ الأولى و الحقائق الأزليّة<sup>(3)</sup> » - إذن ما يمكن استخلاصه و استنتاجه من هذه الأقوال و التعاريف التي دارت حول معاني و مفهوم الجدل، هو اعتبار هذا الأخير (الجدل) أسلوباً من أساليب الإقناع حيث يعتمد فيه صاحبه (المجادل) - أثناء الخصومة و المجادلة و المنازعة - على الحجج و الاستدلالات و البراهين لإثبات صحّة رأيه و وجهة نظره، و إلزام الخصم و إقناعه ببطلان مدعاه.

#### د- ألفاظ مرادفة للجدل:

شاعت بين الناس بعض الألفاظ التي يرادف أو يقارب معناها مفهوم الجدل كالمناظرة و المحاورّة و المناقشة و المباحثة و المدارسة فهي تعود كلها إلى طريقة البيان و التبيين التي أودعها الله في البشر جبلة و طبعاً.

ويرى بعض الدارسين أنّ هذه الألفاظ و إن قاربت معانيها مفهوم الجدل إلا أنّ هناك بعض الفروق و الاختلافات حيث أنّ الجدل يراد منه إلزام الخصم و مغالبتة ، أمّا المناظرة : فهي تردّد الكلام بين شخصين يقصد كل منهما تصحيح قول و إبطال قول صاحبه مع رغبة كلّ منهما في ظهور الحقّ.

والمحاورة: هي المراجعة في الكلام و منه التّحاور أي التّجاوب و هي ضرب من الأدب الرفيع و أسلوب من أساليبه، و قد ورد لفظ الجدل و المحاورّة في موضع واحد في سورة المجادلة، قال تعالى: ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا

وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾<sup>(4)</sup> وهو قريب من ذلك

المناقشة<sup>(5)</sup>

(1) ينظر زاهر عوض الألمعي، مناهج الجدل في القرآن الكريم، مرجع سابق، ص24  
(2) ينظر مراد وهبة، المعجم الفلسفي، دار قباء مصر 1998 ص249  
(3) عبد المنعم الحفني، المعجم الشامل لمصطلحات الفلسفة، ط3 مكتبة مدبولي مصر 2000 ص60  
(4) سورة المجادلة، الآية 01  
(5) ينظر الألمعي، مناهج الجدل في القرآن الكريم ص30

### ه-الجدل في القرآن الكريم:

إذا كان القرآن الكريم كتاب دعوة و هداية و كان المعجزة الخالدة الموجهة للأفكار و المبادئ و الآراء و المعتقدات ، فلا غرابة في كثرة أساليب الجدل فيه الناطقة بالحجج الصحيحة و البراهين الواضحة التي ساقها لهداية الكافرين ، و إلزام المعاندين في جميع ما هدف إليه من المقاصد و الأهداف التي يريد تحقيقها وترسيخها في الأذهان<sup>(1)</sup>.

و قد ورد في الجدل في القرآن على ثلاثة أوجه هي:

أ – ما ردّ الله به على الخصوم من الحجج و البراهين، و ما ساقه من الأدلة لتثبيت العقائد و تقرير قواعد الملة ممّا جاء على السنة رسله و أنبيائه و ما ألهمه الله عباده الصّالحين من قول بالحقّ و دفع للباطل.

ب- ما ورد في القرآن بطريقة الحوار و القصد منه الاسترشاد و حب الاستطلاع و الاعتبار أو الترجي و الدّعاء. و من هذا القبيل جدل إبراهيم -عليه السلام - ربّه حيث قال: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَىٰ ۗ قَالَ أُولَٰئِكَ تُؤْمِنُ ۗ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قُلُوبِي ۗ قَالَ فَاخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ أَجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ أَدْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا ۗ وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ۗ﴾<sup>(2)</sup>.

ج - ما يأتي على السنة الكفار من الاعتراضات و الشبه و الدّعاوي الباطلة التي قصّها القرآن الكريم و بين بطلانها و ما تنطوي عليه من مفسدها<sup>(3)</sup>.

قال تعالى: ﴿وَجَادِلُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ ۗ﴾<sup>(4)</sup>.

و ممّا سبق نستنتج أنّ الجدل نوعان: محمود و مذموم.

أ – الجدل الممدوح(المحمود): « هو الذي تتوقّر فيه أدبيّة الحوار و شروطه، و يستند إلى حجج و أدلة صحيحة للدّفاع عن حقّ و إزهاق باطل، يعرفه (الأمعي) قائلاً: « هو كلّ جدال أيّد الحقّ أو أفضى إليه بنبيّة خالصة وطريق صحيح »<sup>(5)</sup>

قال الله تعالى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ ۗ وَجَدِلْهُمْ بِلَا تِي هِيَ أَحْسَنُ ۗ﴾<sup>(1)</sup>.

(1) ينظر الأمعي، مناهج الجدل في القرآن الكريم، ص 25

(2) سورة البقرة ، الآية 260

(3) ينظر الأمعي، المرجع نفسه، ص 25-26

(4) سورة غافر، الآية 05

(5) الامعي المرجع نفسه ص 50

يبين الله - سبحانه وتعالى- أنبيئه الكريم في هذه الآية الطريقة المثلى و الصّحيحة في الدّعوة إلى الله بالترتيب ، و هي: استعمال الحكمة ثمّ الموعظة الحسنه، و بعد ذلك الجدل بالتي هي أحسن، أي؛ إذا لم تكن هناك قناعة أو اقتناع باستعمال الحكمة و الموعظة و كان العناد و المواجهة فلا بد من استعمال الجدل الحسن المحمود من أجل الإقناع و لهذا قال: ( و جادلهم ) فجعله فعلا مأمورا مع قوله ( ادع... ) فمادام الرجل مستعدّا للحكمة أو الموعظة الحسنه أو هما معا لم يحتج إلى مجادلة فإذا مانع جودل بالتي هي أحسن<sup>(2)</sup> .

و قال تعالى: ﴿ وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ <sup>ط</sup> ﴾<sup>(3)</sup> ، أمر الله - عزّ و جلّ- في هذه الآية بمجادلة أهل الكتاب باللين و الرّفق باستثناء الظالمين منهم ، فلا بدّ من مواجهتهم بالمثل قصد إفحامهم و إبطال ادّعاءاتهم و مكرهم و حججهم.

و خلاصة القول أنّ الجدل الممدوح (المحمود) هو ذاك الجدل الذي سلكه الأنبياء و الرّسل -عليهم السّلام- مع أقوامهم و سلكه الصّحابة و الصّالحون و العلماء بغية إظهار الحقّ و إزهاق الباطل.

ب - الجدل المذموم: « هو كلّ جدال ظاهر الباطل أو أفضى إليه »<sup>(4)</sup> إذن فهو السّعي إلى إخفاء الحقّ و دحضه، و إظهار الباطل و نضرتة و قد نمّ القرآن الكريم الجدل بالباطل في عدة آيات منها:

قوله تعالى : « وَجُجِدِلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالْبَطْلِ لِيُذْخِرُوا بِهِ <sup>ط</sup> الْحَقَّ »<sup>(5)</sup>

وقال -عزّ و جلّ- : « مَا تُجَادِلُ فِي آيَاتِ اللَّهِ إِلَّا الَّذِينَ كَفَرُوا »<sup>(6)</sup>

وقال تعالى في نفس السّورة: ( وَجَادِلُوا بِالْبَطْلِ لِيُذْخِرُوا بِهِ <sup>ط</sup> الْحَقَّ )<sup>(1)</sup>

(1) سورة النحل الآية 125

(2) الألمعي، المرجع السابق، ص50

(3) سورة العنكبوت ، الآية46

(4) الألمعي : مناهج الجدل في القرآن الكريم : مرجع سابق ص 62

(5) سورة الكهف الآية 56

(6) سورة غافر الآية 04

وهناك من الناس من يجادلون بغير علم، يقول سبحانه وتعالى ﴿الَّذِينَ تَجِدُونَ

فِي آيَاتِ اللَّهِ بَغْيِرَ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ﴾ (2).

وقال أيضاً: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن تَجِدِلُ فِي اللَّهِ بَغْيِرَ عِلْمٍ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَانٍ

مَّرِيدٍ﴾ (3).

ما يستخلص ويستنتج من الآيات الكريمة السابقة هو أن الجدل المذموم منسوب إلى الكفار ، وخصهم الله به دون سواهم ، وعليه كل من يجادل بالباطل لإخفاء الحق وإظهار الباطل ، أو يجادل بغير علم ، خاصة فيما يتعلق بمسائل الدين فهو في زمرة الكافرين فهو " جدال لنصرة الباطل بالشغب والتمويه بعد ظهور الحق " (4).

#### و-الفرق بين الحوار والجدل:

«الحوار والجدال يلتقيان في أنهما حديث أو مناقشة بين طرفين لكنهما يفترقان بعد ذلك» (5) فإذا كان الجدل حديث يقتضي المنازعة والمغالبة بغية إلزام الخصم وإقحامه فإن الحوار هو مراجعة الكلام وتبادل أطراف الحديث بين شخصين دون تعصب أو خصومة.

إن كلمة «الجدال» أخذت مدلولاً جديداً يوحى بالطريقة التي يتبعها المتناظران أو المتجادلان ، ليغرقا حديثهما أو مناظرتهما بالكلام العقيم ، الذي قد يقترب إلى الترف الذهني ، بما يثيره من قضايا جانبية أو مناقشات لفظية ، تخضع الفكرة إلى متاهات لا يعرف الإنسان كيف تنتهي ، وأين تستقر! ولعل السبب في ذلك هو أن الجدل تحول إلى صناعة يقصدها الكثيرون لذاتها ، من أجل التدرّب على الأخذ والردّ والدفاع والهجوم في مجالات الصراع الفكري ، ليعطل قوة خصمه ، لا ليوصله إلى الحقيقة ، أمّا كلمة «الحوار» فهي أوسع مدلولاً من كلمة الجدل ،

(1) نفس السورة الآية 05

(2) نفس السورة الآية 35

(3) سورة الحج الآية 03

(4) الألمعي : مرجع سابق ص 63

(5) معن محمود عثمان ضمرة : " الحور في القرآن الكريم " أطروحة ماجستير في أصول الدين ص 08

باعتبار تضمن الجدل معنى الصِّراع ، بينما نجد الحوار يتسع له ولغيره ، ممّا يبراد منه إيضاح الفكرة بطريقة السّؤال والجواب»<sup>(1)</sup>

فالحوار إذن أوسع من الجدل ويتضمّنه لأنّ التّواصل اليوميّ بين النّاس في علاقاتهم ومعاملاتهم كالتّعارف والتّعليم والتّجارة وغيرها يقتضي الحوار الهادئ و الهادف والبناء. وأمّا الجدل فيحدث أو يقع عندما يتعارض ويتخاصم الطّرفان المتحاوران حول فكرة ما ويتعصّب كلّ منهما لرأيه بعرض حجج وأدلة تعزّز موقفه وتضعف حجّة خصمه وتقّمه، ويحدث خاصّة في المناظرات.

« إنّ الحوار يتحوّل إلى جدل مذموم إذا تخلّته اللّدة في الخصومة والمعارضة والمنازعة والتّمسك بالرّأي والتّعصّب له دون وجه حقّ ، فالجدال هو حوار بين طرفين يسوده المنازعة والتّعصّب للرّأي وقد ورد الجدل في تسعة وعشرين موضعا في القرآن الكريم كلّها جاءت بالمعنى المذموم —وم إلا في أربعة مواضع هي:»<sup>(2)</sup>.

قال تعالى: ﴿ فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ الرَّوْعُ وَجَاءَتْهُ الْبَشْرَىٰ مُجْدِلًا فِي قَوْمِ لُوطٍ ﴿٧٤﴾

إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُّنِيبٌ ﴿٧٥﴾<sup>(3)</sup>

وقال تعالى: ﴿ وَجَدِلْتُم بِاللَّيْلِ هِيَ أَحْسَنُ ۗ ﴿٤﴾

وقال تعالى: ﴿ وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ۗ ﴿٥﴾

وقال تعالى أيضا: ﴿ قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا ۗ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴿٦﴾

« فالجدال لم يؤمر به ولم يمدح في القرآن على الإطلاق ، بل جاء مقيدا بالحسنى كما هو الموضوعين الثاني و الثالث و مجردا منها بمعنى الحوار الهادئ كما في الموضوعين الأوّل والرّابع»<sup>(7)</sup>.

(1) ينظر فضل الله محمد حسين : الحوار في القرآن : قواعده - أساليبه - معطياته ط6 ، دار الملاك بيروت 2001 ص 52

(2) معن محمود عثمان ضمرة : الحوار في القرآن الكريم : مرجع سابق ص 09

(3) سورة هود الآيتان : 74-75

(4) سورة النحل الآية 125

(5) سورة العنكبوت الآية : 46

(6) سورة المجادلة الآية 01

(7) ديماس محمد راشد : "فنون الحوار والإقناع مرجع سابق ص : 13



### 3-4- الحجاج (المحاجة):

لغة : مأخوذ من كلمة «حجّة» وتعني البرهان ، وقيل الحجّة ما دافع بها الخصم (1) تقول حجّة ، وفلان خصمه محجوج ، وكانت بينهما محاجة (2) ويرى (الأزهري) بأنّ الحجّة هي الوجه الذي يكون فيه الظفر عند الخصومة ، وهو رجل محجاج ، أي جدل، والتّحاجّ التّخاصم ، وجمع الحجّة ، حجج، وحاجّه محاجة، وحجاجا ، نازعه الحجّة ...

وفي حديث « فحجّ آدم موسى » أي غلبه بالحجّة ، يقول (الأزهري) : «إنّما سمّيت حجّة لأنّها تحجّ أي تقصد لأنّ القصد لها وإليها وكذلك محجّة الطّريق هي المقصد والمسلك وفي حديث الدّجال «...أن يخرج فيكم وأنا فيكم فأنا حجيجه » أي مغالبه بإظهار الحجّة عليه ، والحجّة : الدليل والبرهان (3)»

وفي «المعجم الفلسفي» نجد أنّ الحجّة تعني: ما يراد به إثبات أمر أو نقضه ومنها جاءت كلمة محاجة Argumentation ويراد طريقة تقديم الحجج والاستفادة منها (4).

اصطلاحاً : الحجاج هو الاستدلال في الكلام أو النقاش باستعمال الحجج التي تساهم في إحداث الإقناع لدى المتلقي ، يرى (فليب بروتون) : « أنّ المحاجة هي وسيلة لتقاسم رأي ما مع الغير وهي بعيدة عن ممارسات العنف الإقناعي مثلما تبتعد عن أساليب التّضليل وحتى البرهان العلميّ ، إنّها تمثّل نوعاً خاصّاً ، يدخل في إطار عائلة الأفعال الإنسانيّة التي هدفها الإقناع اليقينيّ » (5) .

ويعرّف (طه عبد الرحمان) الحجاج بأنّه « كل منطوق به موجّه إلى الغير لإفهامه دعوى مخصوصة يحقّ له الاعتراض عليها » (6).

(1) ابن منظور : مرجع سابق مادة " الحج " ص 52

(2) الزمخشري : أساس البلاغة مرجع سابق مادة " حجج " ص 113

(3) ابن منظور : المرجع نفسه ص 51

(4) ينظر جميل صليبا المعجم الفلسفي ج 1 ص 445

(5) Philippe Berton, l'argumentation dans la communication (2<sup>eme</sup> édit) :p06

(6) طه عبد الرحمان : اللسان والميزان أو التكوير العقلي ص 226 في عبد الهادي بن الظاهر الشهري : استراتيجيات الخطاب مقارنة لغوية تداولية ط 1 ص 456

فمن خلال هذين التعريفين نخلص إلى أنّ الحجاج هو آليّة أو أسلوب يتجسّد عبرها استراتيجية الإقناع حيث « يتولّد الإقناع عند المرسل إليه بالحجاج، ومادام عناصر العمليّة الحجاجيّة هي نفسها عناصر العمليّة الاتصاليّة وضع (بروتون) (Breton) مخطّطاً توضيحياً للعمليّة الحجاجيّة أطلق عليه اسم المثلث الحجاجي (triangle argumentatif)

1 - رأي الخطيب: يدخل في نطاق هذا الرأي الفكرة أو وجهة النّظر التي يريد المرسل أن يلقّيها وهذه الفكرة تكون موجودة قبل وجود الحجّة، والتي يمكن أن تتحوّل إلى حجّة

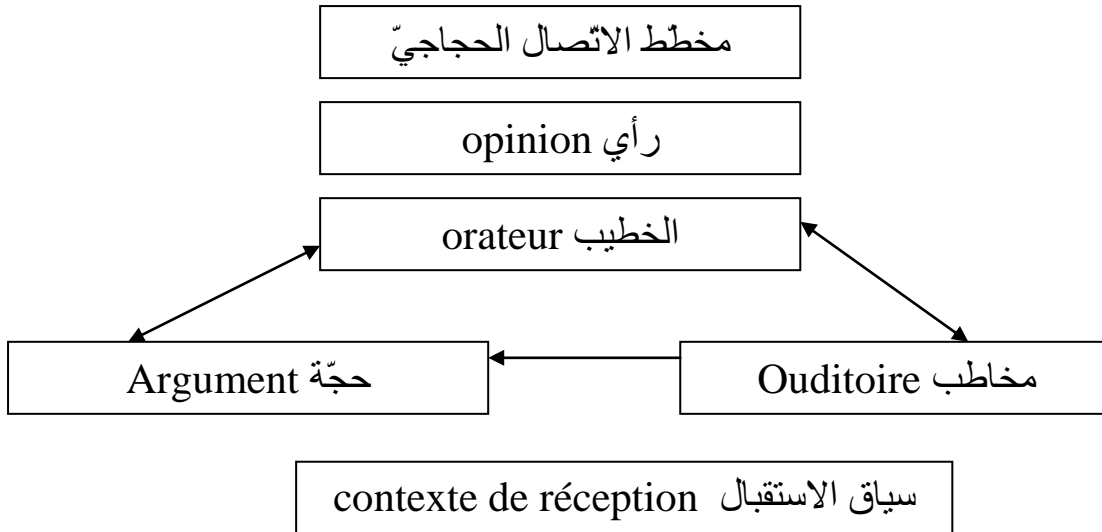
2 - الخطيب (المرسل) الذي يحتاج لنفسه أو لغيره مثل: المحامي الذي يحتاج من أجل موكله.

3 - الحجّة: يتعلّق الأمر بالرأي المهيأ للإقناع والمندسّ في الاستدلال الحجاجي، والحجّة يمكن أن تقدّم كتابياً أو شفويّاً.

4 - المخاطب: الذي يريد الخطيب إقناعه بالرأي المقترح سواء أكان شخصاً أو جمهوراً..

5 - سياق الاستقبال: يضم مجموع الآراء، القيم والأحكام التي يتقاسمها الخطيب مع المخاطب والتي تمثل مقدّمة لفعل الحاجة، تلعب دوراً في استقبال الحجّة، في قبول المخاطب، أو رفضه أو تأييده المتغيّر الذي سيجذبه.

(1)



وسياق الاحتجاج في صورتها المثلى حتى يسدّد المتكلم السبيل على السامع فلا يجد منفذاً إلى استضعاف الحجّة والخروج عن دائرة فعلها»<sup>(2)</sup>

<sup>(1)</sup> Philippe breton p :19

<sup>(2)</sup> حمادي صمود : مقدمة في لخلفية النظرية في المصطلح ص 14 في ابن الظاهر الشهري مرجع سابق ص 457

والمحااجة هي عملية يمارسها الإنسان يوميًا في حياته لإثبات فكرة معيّنـة أو نقضها أو الدّفاع عن الرّأي أو وجهة نظر باستعمال مختلف الأساليب اللّغوية والبلاغية « مثل التشبيه والاستعارة والكناية أو الاستفهام الذي يخرج عن كونه استفهامًا حقيقيًا إلى معنى آخر مجازي وكلّ الأساليب البلاغية التي من شأنها تقريب وتجسيد وجهه نظر القائم بالاتّصال » (1) ، وباستعمال الاستدلالات المنطقية كالاستنتاج والقياس والاستقراء « كونها موجودة في الخطاب السّياسيّ ، و الخطاب الإشهاريّ التجاري، وفي حرارة النقاش في الرّسائل الجامعية وحتى في الجدل العاديّ بين النّاس » (2)

ما نفهمه من خلال هذا المثلث الحجاجيّ أنّ الاتّصال يقوم بين الخطيب والمخاطب في شكل استدلال حجاجيّ لغرض تغيير أو تحديث سياق الاستقبال .

### 3-5- الاستدلال المنطقيّ والاستدلال القرآنيّ:

الاستدلال لغة: هو طلب الدليل ، واصطلاحا هو تسلسل عدّة أحكام مترتبة بعضها على بعض ، بحيث يكون الأخير منها متوقفا على الأوّل اضطرارا ، فكلّ استدلال إذن انتقال من حكم إلى آخر ، والحكم الأخير لا يكون صادقا إلا إذا كانت مقدّماته صادقة (3) وينقسم الاستدلال إلى ثلاثة أقسام وهي :

أ-الاستنتاج: هو في الاصطلاح استخراج النّتائج من المقدّمات أو هو الانتقال من العامّ إلى الخاصّ أو من قاعدة أساسية إلى استنتاجات في نموذج معطى ، ويدخل في إطاره القياس لأنّ الاستنتاج أعمّ من القياس ، وكلّ قياس استنتاج وليس العكس (4)

فالصفة الأساسية للاستنتاج هي إذن لزوم النّتيجة عن المقدّمات اضطرارا سواء كان ذلك الاستنتاج صوريًا كالقياس أو تحليليًا كالبرهان الرّياضي (5).

ب- القياس : هو التقدير ، يقال قاس الشيء إذا قدره ، ويستعمل أيضا في التشبيه أي تشبيه الشيء بالشيء ، والقياس الفقهيّ : حمل فرع على أصله لعلّة مشتركة بينها

(1) معتمد بايكر مصطفى : من أساليب الإقناع في القرآن الكريم ط 1 ص 54

(2) محمد بركان : الاتّصال الإقناعي من خلال فن الخطابة مرجع سابق ص 79

(3) بنظر جميل صليبا المعجم الفلسفي : مرجع سابق ص 67

(4) بنظر محمد بركان : الاتّصال الإقناعي من خلال فن الخطابة ، مرجع سابق ص 114

(5) بنظر جميل صليبا : المرجع نفسه ص 75

، والقياس المنطقي قول مؤلف من قضايا ، إذا سلمت لزم عنه لذاته قول آخر (1) و القياس أنواع من بينها:

- **القياس المضمّر:** هو الذي يحذف فيه إحدى مقدمتيه مع وجود ما ينبئ عنها :ويرى (الألمعي) أن أكثر أدلة القرآن (الأقيسة) قد حذفت منها إحدى المقدمات ، ويعلل رأيه بما قاله صاحب «شرح العقيدة الطحاوية» : « إن الطريقة الفصيحة في البيان أن تحذف إحدى المقدمات وهي طريقة القرآن » وبما قاله (الغزالي) « إن القرآن مبناه الحذف والإيجاز»

أي ( في شكل الأقيسة ) قال تعالى : ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ ۖ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾ (2) ﴿الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُن مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (3)

نجد أنّ هذا القياس قد حذفت منه مقدّمة، وكأنّ الدليل في غير كلام الله تعالى يكون إنّ (آدم) خلق من غير أب ولا أم ، و(عيسى) خلق من غير أب ، فلو كان (عيسى) إلها بسبب ذلك لكان (آدم) أولى ، لكنّ (آدم) ليس ابنا ولا إلها باعترا فكم ، ف(عيسى) أيضا ليس ابنا ولا إلها (3)

- **قياس الخلف :** وهو إثبات المطلوب بإبطال نقيضه، وذلك لأنّ النقيضين لا يجتمعان ولا يخلو المحلّ من أحدهما كالمقابلة بين الوجود، والقرآن الكريم يتّجه في استدلاله إلى إبطال ما عليه المشركون ويثبت التوحيد (4) ومن ذلك قوله تعالى : ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا ءِاهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا ۚ فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ (5)

يرى (محمد العمري) أنّه مادام لم تفسد فليس فيهما إلا إله واحد (6)، حيث « لو كان في السموات والأرض إله غير الله لتنازعت الإرادتان بين سلب وإيجاب

(1) ينظر عبد الرحمن بدوي : موسوعة الفلسفة ج 2 ط1 المؤسسة العربية للدراسات والنشر مصر 1984 ص 243

(2) سورة آل عمران الآيتان 59-60

(3) ينظر الألمعي : مناهج الجدل في القرآن الكريم مرجع سابق ص 76-77

(4) ينظر المرجع نفسه ص 77-78

(5) سورة الأنبياء الآية 22

(6) محمد العمري : في بلاغة الخطاب الإقناعي ط1 دار الثقافة ،الدار البيضاء 1985 ص 83

، وإن هذا التنازع يؤدي إلى فسادهما لتناقض الإرادتين ولكتهما صالحان غير فاسدين فبطل ما يؤدي إلى الفساد فكانت الوجدانية»<sup>(1)</sup>

ومن قياس الخلف في إثبات أن القرآن من عند الله ، قوله تعالى : ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ

عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾<sup>(2)</sup> وإذا ثبت أنه ليس فيه اختلاف

ولا تضارب في مقرراته ولا عباراته فإنه يثبت التقيض وهو أنه من عند الله تعالى<sup>(3)</sup> ويسمى علماء الكلام هذا الدليل دليل التمانع ، أي امتنعت الوثنية لامتناع الفساد فكانت الوجدانية<sup>(4)</sup>.

### ج- الاستقراء:

الاستقراء لغة التتبع من استقرأ الأمر إذا تتبعه لمعرفة أحواله ، وعند المناطقة هو الحكم على الكلي لثبوت ذلك الحكم في الجزئي<sup>(5)</sup> ، وهو عند (ابن سينا) « الحكم الحكم على الكلي لوجود في الحكم جزئيات ذلك الكلي ، إما كلها وهو الاستقراء التام ، وإما أكثرها وهو الاستقراء المشهور ، ويسمى أيضا الناقص»<sup>(6)</sup>.

ويقول (مهدي فضل الله) « الاستقراء استنتاج قضية كلية من أكثر من قضيتين وبعبارة أخرى، هو استخلاص القواعد العامة من الأحكام الجزئية»<sup>(7)</sup>.

ويعرفه (ابن تيمية) بأنه « الاستدلال بالجزئي على الكلي والاستقراء يكون يقينياً إذا كان استقراء تاماً لأنه حينئذ نكون قد حكمنا على القدر المشترك بما وجدناه في جميع الأفراد وإلا فهو ناقص»<sup>(8)</sup>.

والاستقراء يعتبر من المسالك الأكثر إقناعاً ووضوحاً للفهم ونجده عند طبقة كبيرة من الناس ومن الأساليب التي تستعمل كاستقراء في الإقناع الخطابي (القصة والمثل)<sup>(9)</sup>

(1) الألمعي : مرجع سابق ص 78

(2) سورة النساء الآية 82

(3) محمد أبز زهرة : المعجزة الكبرى مرجع سابق ص 401

(4) الألمعي المرجع نفسه ص 78

(5) جميل صليبا : المرجع السابق ص 72 و أيضا في مراد وهبة المعجم الفلسفي ص 55

(6) جميل صليبا : المرجع نفسه ص 72

(7) مهدي فضل الله : مدخل إلى علم المنطق ط3 ص 244

(8) المرجع نفسه ص 245

(9) ينظر محمد بركان : الاتصال الإقناعي من خلال فن الخطابة : مرجع سابق ص 118

## -السبر والتقسيم:

هو قسم من أقسام القياس يسمّى الشرطيّ المنفصل ويسمّيه الفقهاء والمتكلمون **السبر والتقسيم** (1) وهو باب من أبواب الجدل يتخذ المجادل سبيلا لإبطال دعوى دعوى من يجادلّه ، ويكون ذلك بحصر الأوصاف للموضوع الذي يجادل فيه ثم يبين أنّه ليس في أحد هذه الأوصاف خاصيّة تسوغ قبول الدّعى فيه فتبطل دعوى الخصم عن طريق هذا الحصر المنطقيّ للموضوع (2) ، ومن أمثله قوله تعالى : ﴿ تَمَنِّيَ أَزْوَاجٍ مِّنَ الضَّانِّ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْمَعَزِّ اثْنَيْنِ قُلْ ءَآذِكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ الْأُنثِيَيْنِ أَمَّا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الْأُنثِيَيْنِ نَبِّئُونِي بِعِلْمٍ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٤٣﴾ وَمِنَ الْإِبِلِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْبَقَرِ اثْنَيْنِ قُلْ ءَآذِكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ الْأُنثِيَيْنِ أَمَّا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الْأُنثِيَيْنِ أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ وَصَّيْتُكُمْ اللَّهُ بِهَذَا فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا لِيُضِلَّ النَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿١٤٤﴾ (3)

وقد بيّن (السيوطي) وجه الاستدلال من هذه الآية الكريمة فقال : « إن الكفار لما حرّموا ذكور الأنعام تارة وإناتها أخرى ، ردّ الله عليهم ذلك بطريق السبر والتقسيم ، فقال : إنّ الخلق لله ، خلق من كل زوج ممّا ذكر ذكرا وأنثى ، فهم جاء تحريم ما ذكرتم ؟ أي ما علته ؟ لا يخلو إمّا أن يكون من جهة الذكورة أو الأنوثة أو اشتمال الرّحم الشامل لهما أو لا يدري له علة وهو التعبدي بأن أخذ ذلك عن الله تعالى والأخذ عن الله تعالى إمّا بوحى أو إرسال رسول أو سماع كلامه ومشاهدة تلقّي ذلك عنه ، وهو معنى قوله ﴿ أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ وَصَّيْتُكُمْ اللَّهُ بِهَذَا ﴾

(1) ينظر محمد التومي : الجدل في القرآن : مرجع سابق ص 250  
(2) ينظر الألمعي : مناهج الجدل في القرآن الكريم مرجع سابق ص 74  
(3) سورة الأنعام الآيتان 143-144

...فبطل ما فعلوه من تحريم بعض في حالة، وبعض في حالة أخرى لأنّ العلة على ما ذكر تقتضي إطلاق التحريم...وما قالوه افتراء على الله وضلال»<sup>(1)</sup>.

### - الانتقال في الاستدلال وترتيب الحجج الإقناعية :

وهو أن ينتقل المستدلّ من دليل إلى آخر ، أو من مثال إلى مثال لعدم فهم الخصم وجه الدلالة من الدليل أو المثال الأول ، أو عندما يفهم ويحاول المغالطة ، وحينئذ يأتي المستدلّ بدليل أو مثال آخر يعجز الخصم ويلزمه فلا يجد مفراً دون الانقطاع أو التسليم<sup>(2)</sup>.

وقد أشار (معتصم بابكر مصطفى) في كتابه «من أساليب الإقناع في القرآن الكريم» إلى أنّه « ذهبت بعض الدراسات إلى أنّ الحجج التي تقدّم في البداية تأثيرها أقوى من الحجج التي تقدم في النهاية بينما أظهرت دراسات أخرى نتائج عكس ذلك ... ويرى بعض الباحثين أنّ تأجيل الحجج الأقوى حتى النهاية أفضل من تقديمها في البداية»<sup>(3)</sup>.

إنّ تأخير الأدلة والحجج القويّة حتى النهاية تكون أقوى تأثيراً على الخصم وأكثر إقناعاً له، وخير دليل على ذلك ما جاء في القرآن الكريم عن مناظرة ومحاجة سيّدنا إبراهيم - عليه السلام - للتمرود حيث قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ حَاجَّ

إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ

<sup>(4)</sup>

(1) ينظر جلال الدين السيوطي : الإقناع في علوم القرآن ج 4 ص 55

(2) ينظر الألمعي : مرجع سابق ص 82

(3) معتصم بابكر مصطفى : من أساليب الإقناع في القرآن الكريم مرجع سابق ص 98-69

(4) سورة البقرة الآية 258

إِذْ فَالْحِجَّةِ الْأَخِيرَةِ ﴿١﴾ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ ﴿٢﴾ هي التي أعجزت (التمرود) وأقحمته وألزمته ، وهذا أمر لا يقوى عليه أي مخلوق، فالله - سبحانه وتعالى- خالق هذا الكون هو القادر على ذلك ، وجعل طلوع الشمس من المغرب علامة من العلامات الكبرى للساعة .

### - الاستدلال على الخصم بإظهار التشهّي والتحكّم:

هو الاحتجاج على الخصم بأنّ ما يدّعيه باطل، لأنّه لا يقبل إلا ما يوافق هواه ورغباته، وإن خالف ذلك رفضه وردّه من أمثلة ذلك في القرآن الكريم قوله تعالى:

﴿أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَىٰ أَنفُسُكُمْ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ ﴿٨٧﴾﴾ (1) وقوله تعالى : ﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ ﴿٢﴾﴾ (2).

فلا يجوز أخذ بعض الكتاب وترك بعضه ، والتزام بعض الشرائع وترك بعضها وفق الهوى والشهوات إذ لو كان الشرع تابعا للهوى والشهوة لكان في الطباع ما يغني عنه ولكانت شهوة كلّ أحد وهواه شرعا له (3) ، ولعمّت الفوضى المجتمعات، وانتشر فيها الفساد والانحلال الخلقي ولساد قانون الغاب .

### - الاستدلال بوجود الأثر على وجود المؤثر:

وذلك مثل ما صنع إبراهيم - عليه السلام- في مناظرته لأصحاب الهياكل وكيفية استدلاله على وجود الخالق من خلال مخلوقاته (4) قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ ﴿٦٥﴾﴾ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ

(1) سورة البقرة الآية: 87

(2) سورة البقرة الآية: 85

(3) الألمعي : مرجع سابق ص 84-85

(4) ينظر الألمعي : مرجع سابق ص 85.



أَلَيْلُ رَأَى كَوْكَبًا ۖ قَالَ هَذَا رَبِّي ۖ فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أَحِبُّ الْأَفْلِينَ ﴿٧٦﴾ فَلَمَّا رَأَى  
 الْقَمَرَ بَارِغًا قَالَ هَذَا رَبِّي ۖ فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ  
 الضَّالِّينَ ﴿٧٧﴾ فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَارِغَةً قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ ۖ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ  
 يٰقَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٧٨﴾ إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَوَاتِ  
 وَالْأَرْضَ حَنِيفًا ۖ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٧٩﴾ (1)

فسيدنا إبراهيم - عليه السلام - استدلّ على وجود الله بأفول الكواكب  
 « على أنها ليست بألهاة لحدوثها فتكون محتاجة إلى محدث ... وقد ساق إبراهيم  
 - عليه السلام - أدلته مساق الموافق لأصحاب الهياكل في المبدأ والمخالف في النهاية  
 ليكون الإلزام أبلغ والإفحام أقوى ولم يكن إبراهيم - عليه السلام - في قوله : ( هذا  
 ربي ) مشركا لأن سوق الكلام على جهة الإلزام غير سوقه على جهة الالتزام (2)  
 ومن ثم تبرأ إبراهيم - عليه السلام - من شرك قومه لأنّ الحجّة أصبحت قائمة  
 والحقيقة ظاهرة للعيان ، فلا يعجز العقل بعد التدبّر والتأمّل من أنّ هناك قوّة كبرى  
 وقدرة هائلة تتحكّم في ناموس هذا الكون وتسيّره ، تتمثل في خالقه وهو الله الذي  
 لا شريك له والأحقّ بالتوحيد والعبادة والطّاعة دون سواه، فسبحان الله عمّا يشركون.

### - تقديم الأدلة والشواهد:

إنّ عرض الأدلة والشواهد ضمن محتوى الرّسالة لها أثرها البليغ على عقل  
 وفكر المتلقي إذ تعتبر أدواتاً منطقيّة وعلميّة مقنعة ، ولهذا « يسعى معظم القائمين  
 بالاتّصال إلى دعم رسائلهم الإقناعيّة بتقديم أدلة أو عبارات تتضمّن إمّا معلومات  
 واقعيّة أو آراء منسوبة إلى مصادر أخرى غير القائم بالاتّصال» (3).

(1) سورة الأنعام من الآية: 75 إلى 79

(2) الألمعي : مرجع سابق ص 86

(3) معتصم أبو بكر مصطفى : مرجع سابق ص 66

قال الله تعالى في محكم تنزيله: ﴿ أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْآيَاتِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴾ (١) وَإِلَى

السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ﴿١٨﴾ وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ﴿١٩﴾ وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ

سُطِحَتْ ﴿٢٠﴾ (١)

فهذه الآيات الكريّمة تخاطب العقول بطريقة صريحة وواضحة وتدعو إلى إعمال الفكر والتدبّر والتأمّل في عجائب خلقه ودلائل قدرته فتبارك الله الذي أحسن كل شيء خلقه.

- ويضيف (معتصم بابكر مصطفى) طرح بعض الملاحظات العامّة حول تقديم الأدلّة والشواهد منها :

- أ- « يرتبط استخدام الأدلّة والشواهد في الرّسالة بإدراك المتلقي لمصادقيّة المصدر، فكلّما زادت مصادقيّة مصدر قلّت الحاجة لمعلومات تؤيد ما يقوله .
- ب- تحتاج بعض الموضوعات أدلّة أكثر من غيرها، خاصّة تلك الموضوعات التي لا ترتبط بالخبرات السّابقة للمتلقي.
- ج- يقلل التّقديم الضعيف للرّسالة من وقع وتأثير أي دليل .
- د- تقديم الأدلّة يكون وقعه أكبر على الجماهير الذكيّة ، أي أولئك الذين يتوقعون إثباتا للأفكار المعروضة عليهم .
- هـ- يتوقف تأثير الدليل على ما إذا كان المتلقون يعتبرونه صحيحا أو غير صحيح» (2).

### - عرض الحجج المؤيّدّة والمعارضة :

« وجد بعض الباحثين أنّ تقديم الحجج المؤيّدّة والمعارضة في الموضوع الواحد أكثر فعاليّة وأقدر على التّعبير لدى الفرد المتعلّم ، وحين يكون الجمهور متردّدا فإنّ تقديم الجانبين يكون أقوى أثرا» (3). يقول الله تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَأِكَةِ إِنِّي

جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ

بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢٠﴾ وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ

(1) سورة الغاشية الآيات : 17-20

(2) معتصم بابكر مصطفى : المرجع نفسه ص 66-67

(3) معتصم بابكر مصطفى : من أساليب الإقناع في القرآن الكريم ص 67

عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٣٦﴾ قَالُوا  
 سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴿٣٧﴾ قَالَ يَتَّبِعُكُمْ  
 بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ  
 وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٣٨﴾ (1)

وفي الآية (34) من نفس السورة توصل الملائكة إلى قناعة بالطرح الرباني فحينما  
 أمرهم بالسجود لأدم أقبلوا دون تردد (2) قال تعالى : ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا

لِأَدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴿٣٥﴾ (3)

» وفي المقابل يكون التركيز على جانب واحد من الموضوع أكثر فعالية على تغيير  
 آراء الأفراد الأقل تعليماً ، أو الأفراد المؤيدين لوجهة النظر المعروضة في الرسالة ،  
 حيث يصبح تأثير الرسالة في هذه الحالة تدعيماً (4).

### - استخدام الاتجاهات والاحتياجات الموجودة لدى الجماهير:

الرسالة تكون أكثر تأثيراً وفعالية حينما تعرض للمتلقى ما يجعله يشعر بأنه يحقق  
 احتياجاته ورغباته « وهذا ما يراه علماء الاجتماع، فالجمهور يكون أكثر استعداداً  
 لتدعيم احتياجاته الموجودة عن طريق تطويره لاحتياجات جديدة عليه تماماً» (5) مثل  
 قوله تعالى : ﴿إِذْ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ يَٰعِيسَىٰ ابْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَنْ

يُنزِلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ ۖ قَالَ اتَّقُوا اللَّهَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١١٢﴾ قَالُوا نُرِيدُ أَنْ  
 نَأْكُلَ مِنْهَا وَتَطَهِّرَ قُلُوبَنَا وَنَعْلَمَ أَنْ قَدْ صَدَّقْتَنَا وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴿١١٣﴾

(6)

(1) سورة البقرة الآيات 30-33

(2) ينظر معتصم بابكر : المرجع نفسه ص 68

(3) سورة البقرة الآية 34

(4) معتصم بابكر مصطفى المرجع نفسه الصفحة نفسها .

(5) معتصم بابكر مصطفى : مرجع سابق ص 69

(6) سورة المائدة الأيتان 112-113

فالمائدة التي أنزلها الله -عزّ وجلّ- من السماء حققت احتياجات الحواريين في إشباع رغبتهم في الطعام ( نريد أن نأكل منها )، ثم قضت على الشك الذي يراودهم ممّا جاء به عيسى - عليه السلام - من حقّ، واطمأنت قلوبهم ﴿وَتَطْمِئِنُّ قُلُوبُنَا وَنَعْلَمُ أَنَّ قَدْ

صَدَقْتَنَا﴾.

### - مجارة الخصم لتبين عثرته :

« وذلك بأن تسلّم للخصم بعض مقدّماته مع الإشارة إلى أنّها لا تنتج ما يريده هو بل هي مساعدة على إنتاج ما تريده أنت وذلك مثل قوله تعالى: ﴿قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِى اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُمْ مِّنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرَكُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ قَالُوا إِنْ أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا تُرِيدُونَ أَن تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَتْ يَعْبُدُ ءَابَاؤُنَا فَآتُونَا بِسُلْطٰنٍ مُّبِينٍ ﴿١٠٤﴾ قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِنْ نَحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ وَلٰكِنَّ اللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ مِّنْ عِبَادِهِ ۖ ﴿١٠٥﴾ (1).

فكأن الرّسل - عليهم الصلّاة والسّلام - قالوا في الرّد على المنكرين لنبوتهم ما ادّعيتهم من كوننا بشرا حقّ لا ننكره ، ولكنّ دعوكم هذي لا تنتج عدم الرّسالة ولا تنافي أن يمين الله علينا بها ، بل البشريّة شرط في الرّسالة ... فإنّ سنّة الله جرت بأن يكون الرّسول من جنس المرسل إليهم يعرفون قدره ومكانته وصدقته وأمانته « (2) وقد بين الله تعالى هذه الظاهرة بقوله : ﴿وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمْ

الهُدَىٰ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَبَعَثَ اللَّهُ بَشَرًا رَسُولًا ﴿١٠٤﴾ قُلْ لَوْ كَانَ فِي الْأَرْضِ مَلٰئِكَةٌ يَمشُونَ مُطْمِئِنِينَ لَنزَلْنَا عَلَيْهِم مِّنَ السَّمَاءِ مَلَكًا رَسُولًا ﴿١٠٥﴾ (3)

(1) سورة إبراهيم الأيتان : 10- 11

(2) الألمعي : المرجع السابق ص 73- 74

(3) سورة الإسراء من الأيتان : 94-95

**- وضوح الأهداف مقابل استنتاجها ضمناً:**

- الإقناع يكون أكثر فعالية عند ذكر أهداف الرسالة أو نتائجها بوضوح ، فيجب على القائم بالاتصال ألا يترك للمتلقي عبء استخلاصها وحده ، ولقد سمت آيات القرآن الكريم بوضوح الأهداف وجلانها ومما يجدر ذكره أن هذه الأساليب والاعتبارات قد تذهب إلى أبعد من ذلك حيث تتجاوز مستوى الوضوح مقابل الضمنية فتتوقف على ظروف أخرى كثيرة مثل:
- أ - مستوى تعليم وذكاء المتلقي.
- ب - درجة أهمية الموضوع أو ارتباطه بالمتلقي.
- ج - نوع القائم بالاتصال.

فالملاحظة أنه كلما زاد ذكاء المتلقي وتعليمه كان من الأفضل ترك الهدف ضمناً... وتركه يستخلص النتائج بمعرفته أكثر فعالية وإذا كان القائم بالاتصال محل شكوك المتلقي فإن درجة التأثير والإقناع تقل إذا قدم القائم بالاتصال الرسالة بشكل محدد ويمكن ملاحظة ذلك في قصة سيدنا موسى -عليه السلام- ، مع الرجل الصالح « الخضر » في سورة (الكهف) <sup>(1)</sup> قال تعالى : { قَالَ لَهُ مُوسَى

هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰ أَنْ تُعَلِّمَني مِمَّا عَلَّمْتَ رُشْدًا ﴿١١﴾ قَالَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿١٢﴾ وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا ﴿١٣﴾ قَالَ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا ﴿١٤﴾ قَالَ فَإِنِ اتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْأَلْنِي عَن شَيْءٍ حَتَّىٰ أُحَدِّثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا ﴿١٥﴾ فَاَنْطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا رَكَبَا فِي الْسَّفِينَةِ خَرَقَهَا ﴿١٦﴾ قَالَ أَخْرَقْتُهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا ﴿١٧﴾ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿١٨﴾ قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا ﴿١٩﴾ فَاَنْطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا لَقِيَا غُلَامًا فَاقْتَلَهُ قَالَ أَقْتَلْتَنِي نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُكْرًا ﴿٢٠﴾ \* قَالَ أَلَمْ أَقُلْ

(1) ينظر معتصم بابكر مصطفى : من أساليب الإقناع في القرآن الكريم ص 64- 65

لَكَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿٧٥﴾ قَالَ إِنْ سَأَلْتُكَ عَنْ شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَحِّبْنِي  
 قَدْ بَلَغْتَ مِنْ لَدُنِّي عُذْرًا ﴿٧٦﴾ فَأَنْطَلَقَا حَتَّى إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطَعَمَا أَهْلَهَا فَأَبْوَا  
 أَنْ يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنْقُضَ فَأَقَامَهُ<sup>ط</sup> قَالَ لَوْ شِئْتَ لَتَّخَذْتَ  
 عَلَيْهِ أَجْرًا ﴿٧٧﴾ قَالَ هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ  
 صَبْرًا ﴿٧٨﴾ أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسْكِينٍ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ  
 وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا ﴿٧٩﴾ وَأَمَّا الْغُلَامُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَا  
 أَنْ يُرْهِقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا ﴿٨٠﴾ فَأَرَدْنَا أَنْ يُبَدِّلَهُمَا رِهُمًا خَيْرًا مِنْهُ زَكَاةً وَأَقْرَبَ  
 رُحْمًا ﴿٨١﴾ وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا  
 وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنْزَهُمَا رَحْمَةً مِّنَ  
 رَبِّكَ وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا ﴿٨٢﴾<sup>(١)</sup>

وخلاصة القول هي أنّ الاستدلالات في القرآن الكريم وأساليبه الحجاجية والإقناعية أوسع بكثير من تلك الاستدلالات المنطقية الأرسطية ، وتختلف عن استدلالات البشر من حيث قوة تأثيرها ودرجة إقناعها ومن حيث ديمومتها واستمراريتها كيف لا وهو كلام الله- سبحانه وتعالى - المعجز بلفظه ومعناه المقنع بحججه وبراهينه لكلّ البشر إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها . ورغم أنّ علم المنطق يعتبر عصاراة ما توصل إليه العقل البشريّ من نتائج إلا أنه يبقى محدودا وغير بعيد عن الأخطاء والمغالطات، وخاضعا للعلم الأكبر وهو كلام الله - عزّ وجلّ - ، ولا يمكن بأيّ حال من الأحوال لأيّ استدلال بشريّ مهما بلغ من القمّة والعظمة من أن يرتقي إلى درجة الكمال ومجارات الاستدلال القرآني لأته - وبكلّ بساطة - كلام الله . وفي هذا يقول (الألمعي) : « وإته لمن الواضح أنّ القرآن مملوء بالحجج والبراهين والأقيسة والاستدلالات، وإتها لم تستند لمنطق اليونان وإتما هي الحجج

(١) سورة الكهف من الآية 66 إلى الآية 82

والبراهين العقلية الصحيحة التي لا تختلف نتائجها بين أمة وأخرى ولغة وأخرى... وإذا صح لنا أن نقول إن في القرآن شيئاً من المنطق فإنما هو منطق العقل والضمير، منطق الحجّة والبرهان... منطق البلاغة والبيان.. وليس منطق (أرسطو) القائم على القياس ذي المقدمتين والنتيجة كما توهم بعض المتفلسفين، فإن القرآن مما يعجز عن محاراته الطوق البشري ولا تحتمله قوة النبوغ الإنساني»<sup>(1)</sup>.  
« والصورة التي تشكلت بها حجج القرآن وبراهينه وجدله هي صورة الفصاحة والبلاغة والإعجاز البياني، وهي صورة لا تأتي بحال من الأحوال إذا اتبع منطق اليونان » .

وطرق الجدل عندهم من ترتيب المقدمات والنتائج والأشكال والقياسات على هيئة خاصة وأسوار خاصة ونظم خاصة ، فإنه يفقد بذلك ميزة الإعجاز والتحدّي، لأنّ هذه النظم أشبه بالصنعة التي تتعلم مرسومة لا محيد عنها يستوي فيها الجميع عند ممارستها ، وقد لا يرقى إلى تعلمها وفهمها إلا القليلون .

«وقد يجر الاسترسال فيها إلى سرعة هدمها ونقصها بأقل تشكيك في سلامة بنائها فتستحيل إلى جدل عقيم ومناقشات بيزنطية ضررها أكبر من نفعها»<sup>(2)</sup>.

فطريقة القرآن في الاستدلال والإقناع أولى وأبلغ لهذا قال : (أبو عبد الله الرازي) في كتابه «أقسام الذات» كما نقله عنه (ابن تيمية) في كتابه «الردّ على المنطقيين»: «لقد تأملت الطرق الكلامية والمناهج الفلسفية فما رأيتها تشفي عليلاً ولا تروى غليلاً ورأيت أقرب الطرق طريقة القرآن الكريم»<sup>(3)</sup>.

وكيف لا وهو كلام الخالق - سبحانه وتعالى- المعجز بلفظه ومعناه ، بحججه وأساليبه ، فأنتى لطرق المخلوق الكلامية والاستدلالية، ومناهجه الفلسفية من أن تحاكي أو تجاري طرق القرآن؟! فلا وجه للمقارنة أبداً ، وعلى الإنسان أن يتأمل دوماً في القرآن ليستفيد ويقتبس من طرق الحجج والبيان .

(1) الألمعي : مناهج الجدل في القرآن الكريم ص 95

(2) ينظر ابن تيمية كتاب الرد على المنطقيين وعبد الغني الراجعي دراسات في علوم القرآن في الألمعي : مناهج الجدل في القرآن

الكريم ص 96

(3) ابن تيمية : الرد على المنطقيين ص 321 في الألمعي المرجع نفسه ص 96

الفصل الثالث : البلاغة و أساليبها الإقناعية في سورة يوسف



لقد أعجزت البلاغة القرآنية أرباب الفصاحة و البيان و فطاحل الشعر من بداية نزول الوحي ، حيث وقفوا أمام جمالية تعبيره ، و عبقرية أسلوبه و دقة لفظه و حسن ترتيبه مذهولين عاجزين ، فقالوا عنه: سحرا و كلام جان ، متهمين بذلك النبي - صلى الله عليه و سلم- برأ نبية من هذه الصفات بقوله : ﴿وَمَا عَلَّمْنَاهُ

الشِّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ<sup>ع</sup> إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُّبِينٌ ﴿٦٩﴾<sup>(1)</sup> ، و تحداهم

على أن يأتوا بمثله، فقال - سبحانه و تعالى- : ﴿قُلْ لِّئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ

وَالْجِنُّ عَلَيَّ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ

ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾<sup>(2)</sup> و تدرج القرآن الكريم في الآيات الدالة على التحدي و الإعجاز ،

فقال: ﴿أَمْ يَقُولُونَ أَفْتَرْنَا<sup>ط</sup> قُلْ فَاتُوا بَعْشَرَ سُورِ مِثْلِهِ مُفْتَرِينَ وَأَدْعُوا مَنْ

أَسْتَطَعْتُمْ مِّنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٢﴾<sup>(3)</sup> ، إلى أن يصل إلى ذروة

التحدي ، فيقول - عز وجل- : ﴿فَإِنْ لَّمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي

وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴿٢٤﴾<sup>(4)</sup> .

و قد اعترف بعظمة بلاغة القرآن، و جمالية تعبيره و إعجازه، أكبر و أعند رؤوس الشرك ألا و هو: (الوليد بن المغيرة) ، فقال: « ... و إن له لحلاوة و إن عليه لطلاوة و إن أعلاه لمغدق و إن أسفله لمثمر». و أمّا لغة الحوار في سورة (يوسف) فقد تعددت و تنوعت أشكالها و أغراضها البلاغية و التي تعتبر أساليب إقناعية ، فالبلاغة إقناع. و من هذه الأساليب:

(1) سورة يس : الآية 69

(2) سورة الإسراء : الآية 88

(3) سورة هود: الآية 13

(4) سورة البقرة : الآية 24

## 1- الحوار في سورة يوسف و فعاليته الإقناعية:

يعتبر الحوار بين الشخصيات إحدى طرائق السرد القصصي، يوظفه السارد في بناء حكايته. و لما كانت فنية السرد تكمن في اختيار و إتقان وسيلة توصيل القصة إلى المتلقي فإن فنية الحوار تكمن في اختيار السارد للغة المتحاورين و إتقانها ، بحيث يجعلها لغة معبرة عن أصحابها ، ذات دلالة تنطق بمواقفهم و تعبّر عن اتجاهاتهم .. ، و يكون دور القارئ الواعي هو التأمل في هذه اللغة الحوارية حتى تفكّ له شفرتها فيدخل من خلالها إلى عالم شخص القصة، و يطلع على ما تظهره الشخصية بل و ما تخفيه من رغبات و مواقف و خصال و سجايا. و قراءة لغة الشخصيات بهذه الطريقة لا تجعل اللغة وسيلة من وسائل التحليل الأدبي فقط، بل تجعل منها وسيلة من وسائل التحليل النفسي، و هذا ما أكدّه (لا كان) (1) حين أضاف اللسانيات إلى قائمة العلوم التي يجب أن تدرس في كلّ التحليل النفسي بالإضافة إلى البلاغة (2)، فهذا إن دلّ على شيء إنما يدلّ على أهمية الحوار في العملية الإبلغية و التواصلية و أهميته في العملية الإقناعية من خلال التأثيرات و الانفعالات النفسية التي يحدثها.

و الحوار هو الأساس الذي يعتمده الفن القصصي في خلق الحركة و إظهارها وتلوينها «إذ يساهم في إحياء القصة و بعث الحياة ، و بث الروح في الوقائع التي مرّت بها دهور ، و تطاولت بها الأزمنة » (3)، فيجعل القارئ ينفعل و يتأثر بأحداث القصة ، و يتفاعل معها ، و كأنه عاشها أو يعايشها فعلا.

و ليس من الضروري أن يوجد الحوار في كلّ قصة فقد تخلو منه و تمضي على أنها صورة لشخص أو رسم لحادثة ، و هذا هو الغالب في القصص القصيرة فإذا نظرنا في قصص القرآن بحسب ترتيب النزول ، لاحظنا أنه بدأنا غالبا بإشارة خاطفة خالية من الحوار فمثلا في سورة (الفجر) من الآية 6 إلى الآية 14 و في سورة (الفرقان) من الآية 35 إلى الآية 40، و ذلك لأنّ الغرض هو إثارة الوجدان و إيقاظ الفكر، ثم تدرج نحو الطول و التفصيل بتدرج أسلوب الدعوة و تهيج النفوس للإطلاع و المعرفة، و استعداد العقول للجدل و الخوض في القضايا الغيبية التي كانت محور هذا القصص، و هي : التوحيد و الرسالة و البعث (4).

(1) لا كان : هو أحد أشهر علماء النفس في العالم ، و تلميذ للفيلسوف و العالم النفساني سيجموند فرويد.

(2) ينظر أحمد جمال الدين لغة الحوار في سورة يوسف دراسة أسلوبية ص 01

(3) أحمد نوفل : سورة يوسف دراسة تحليلية ط2 دار الفرقان للنشر القاهرة 2000 ص 46

(4) ينظر : محمد أحمد خلف الله : الفن القصصي في القرآن الكريم مكتبة الأنجلو المصرية القاهرة 1965 ص: 301-302

والحوار في القرآن يرد منقولاً على ألسنة الشخصيات « حين نقف بين يدي موقف من المواقف التي أدار فيها القرآن الحوار بين شخصيات الحديث القصصي ، تجد المشهد كله حاضراً مشخّصاً ، يملأ الأسماع و الأبصار بكلّ خلجة أو خاطرة... و هو أحياناً يختصر الأحداث، و أحياناً يفصّل الأمور تفصيلاً من حيث تصوير المواقف تصويراً تاماً. ..، أو تصوير جانب منه، و يترك الجوانب الأخرى لدلالة الحالة عليها»<sup>(1)</sup>.

و اقتصر الحوار على شكلين: الحوار في القصة الطويلة و الحوار في القصة القصيرة و أمّا الشكل الأول من الحوار غني بالتفاصيل و الأهداف ، و بتنوّع الشخصيات ، و التي تشمل نماذج إنسانية مختلفة، تعرض من خلالها مختلف المشاعر و العواطف و العلاقات الإنسانية، من أبوية و أخوية و بنوية و اقتصادية و خدمة و ربّانية ... و خير مثال لهذا الشكل من الحوار : قصة (يوسف) التي تجمع ذلك كله إلى جانب الهدف الأسمى المشترك في جميع القصص القرآني و تبين شكل هذا الحوار عبر مشاهد واردة في السورة القرآنية بدايتها سرد (يوسف) لرؤياه على أبيه و جاءت مشاهد القصة معروضة عرضاً حوارياً قرآنياً.

و أمّا الشكل الثاني من الحوار هو المؤلف من مجموعة أسئلة و نصائح متتابعة ، تتخللها بعض الأجوبة أو التعليقات ، و تنصب جميع هذه الأسئلة و النصائح في مجال العمل على تحقيق الأهداف و القناعات الاعتقادية ، و المطلوب تبليغها إلى المخاطبين لحملهم على تحقيق المنهج التشريعي الربّاني، الذي يلزم عن هذه القناعات لينظموا حياتهم و علاقاتهم وفقاً لهذا المنهج الربّاني ... ثم تختتم القصة بالخاتمة المناسبة موقف المخاطبين و ردّهم. و كمثل على هذا الشكل من الحوار : هو الحوار الذي دار بين أهل مدين و رسولهم (شعيب)<sup>(2)</sup>.

و الخطاب القرآني خطاب توصيليّ يصدر عن أدبيّة تقريرية إقناعية ، لذلك كان الحوار من أبرز فعاليّته التبليغيّة ... و المواقف القرآنية تنزع بصورة عامّة إلى الإفضاء و التقارير بواسطة القول و التّحويل ، و تواتر فعل(قال) ، (قل)، (قالوا) في النّص القرآنيّ و توزيعاتها السردية الإسنادية المحليّة على المخاطبين، دليل على أهميّة هذه الوسيلة التقريرية القرآنية القائمة على الحوار (...)

(1) عبد الكريم الخطيب: " القصص القرآني في منظومة ومفهومه دار الفكر العربي القاهرة (دت) ص 125

(2) ينظر النحلوي عبد الرحمن : من أساليب التربية الإسلامية التربوية بالحوار ، دار الفكر المعاصر بيروت 2000 ، ص 35-36

والحوار وظيفة بنائية تضيء الحدث و توصله بمساره القصصي ، و تحشد فعالية السرد لاختراق وقائع جديدة ، تطورا بالحدثية إلى منتهاها السردية<sup>(1)</sup> و لهذا يساهم الحوار في القرآن الكريم على حسب وروده في السياق في تنويع الخطاب القرآني. وهذا ما يظهر جليا في قصة (يوسف) و التي جاءت مشاهدها متنوعة الحوارات. « فهي نصّ قرآنيّ اشتمل على كثير من تقنيّات السرد القصصيّ ، من الاستباق والوقفات الوصفية و المـــــــشاهد الحوارية و الحذف»، «و الشخصيات في قصة سيدنا (يوسف) لم تكن عربية و لغتهم غير عربية و هذا يقتضي أن تدرك جيّدا أنّ الأقوال المحكيّة عنهم بما فيها من فنّيّات ليست لهم و إنّما هي للسارد الأعلى- جلّ و علا- وضّعتها على ألسنتهم ممّا يعبر عن أدقّ مراداتهم.

و على هذا الأساس يعتبر الحوار الوسيلة الأساسية التي تسهم في تنامي الأحداث و تكشف عن طبيعة الشخصيات و المواقف.

و يبتدئ الحوار في القصة بين يوسف و أبيه يعقوب -عليهما السلام- حين قصّ عليه رؤياه ﴿ إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ ﴿٦١﴾ قَالَ يَبْنَئِي لَأَقْصُصَ رُءْيَاكَ عَلَىٰ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٦٢﴾ وَكَذَلِكَ نَجْتَبِيكَ رُتَبًا وَنُعَلِّمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَعَلَىٰ ءَالِ يَعْقُوبَ كَمَا أَتَمَّهَا عَلَىٰ أَبَوَيْكَ مِنْ قَبْلُ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٦٣﴾ ﴾<sup>(2)</sup>

هذا الحوار الذي دار بين (يوسف) و أبيه كان بمثابة لمحة أو تعريف بالشخصية المحورية للقصة ألا و هي شخصية يوسف -عليه السلام- ، حيث تعتبر هذه الرؤيا هي مركز القصة و أساسها ، و التي تنبأ من خلالها يعقوب - عليه السلام- بمستقبل ابنه (يوسف) و منزلته ، بأنّه سيكون له شأن عظيم و يكون نبيا مختارا مؤزرا بالعلم

(1) ينظر عشرا تي سليمان : الخطاب القرآني مقاربة توصيفية لجمالية السرد الإعجازي ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر 1998 ص 185-186

(2) سورة يوسف الآيات 04-05-06

والمال بدليل قوله: ﴿وَكَذَلِكَ نَجْتَبِيكَ رُكْبًا وَنُعَلِّمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ

نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَعَلَىٰ آلِ يَعْقُوبَ كَمَا أَتَمَّهَا عَلَىٰ أَبَوَيْكَ مِنْ قَبْلُ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ﴾

كما أنه يحذره من مغبة و خطر قص رؤياه على إخوته لأنه نبي و يعلم جيداً المخاطر التي قد تنجر على الغيرة و الحسد و البغض، و كيد الشيطان و تربصه بالإنسان إذ يزيد في تأجيج هذه الأمراض إن صح التعبير: ﴿قَالَ يَبْنِي لِي تَقْصُصَ

رُءْيَاكَ عَلَيَّ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾

و بعد هذا الحوار الأولي و التمهيدي بين (يوسف) و أبيه، تناولت المشاهد مصحوبة بشخصيات متنوعة، و من هنا تعدد الحوار في القصة و من هذه المشاهد التي ظهر فيها الحوار مفصلاً هو المشهد الذي كان بين (يوسف) و (الساقى):

﴿يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ أَفْتِنَا فِي سَبْعِ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعِ

سُنْبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ لَعَلِّي أَرْجِعُ إِلَى النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٤٦﴾ قَالَ تَزْرَعُونَ

سَبْعَ سِنِينَ دَابًّا فَمَا حَصَدْتُمْ فَذَرُوهُ فِي سُنْبُلِهِ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تَأْكُلُونَ ﴿٤٧﴾ ثُمَّ يَأْتِي

مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ هُنَّ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تَحْصِنُونَ ﴿٤٨﴾ ثُمَّ يَأْتِي

مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ وَفِيهِ يَعَصِرُونَ ﴿٤٩﴾﴾ (1)

إنّ التفصيل في هذا الحوار كان له ما يبرره حيث كان يوسف- عليه السلام- بصدد تأويل رؤيا الملك ، و التي لا يعني تأويلها الملك وحده بل يخصّ أمّة مصر برمتها و البلاد المجاورة لها، إذ يتعلّق الأمر بأحداث خمسة عشرة سنة قادمة تتعلّق بمعاشهم و حياتهم ، و لهذا السبب كان لابدّ من التفصيل في تأويل هذه الرؤيا المستقبلية المصيرية التي تنبئ عن أزمة اقتصادية و ما ينجر عنها من مشاكل و آفات اجتماعية و أخلاقية كالجوع و الفقر و انتشار الأوبئة و الانحلال الخلقي

(1) سورة يوسف: الآيات 46-47-48-49

كالسَّرقة و الفساد بصفة عامّة. بالإضافة إلى الطريفة و التّخطيط الاقتصاديّ الذي اقترحه يوسف- عليه السّلام - لتجاوزها ﴿ دَابَّأ فَمَا حَصَدْتُمْ فَذَرُوهُ فِي سُنْبُلِهِ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تَكُلُونَ ﴾ و ترك القمح في سنبله - علميًا - يحميه من التّلف و الفساد لمُدّة

زمنيّة طويلة ، و يحافظ على تركيباته و مكوناته الغذائيّة .

إنّ من أهمّ خصائص و سمات الحوار القرآنيّ الاختصار و الإيجاز في بعض المواقف و المشاهد على حسب الأهميّة « و طبيعي أن لا يسجّل القرآن الكريم كلّ مراحل الحوار تسجيلًا كاملاً كما تسجّله أدوات التّسجيل ، فذلك مالا تقبله بلاغة القرآن ، و لا يحتمله إيجازه و إعجازه و إنّما يمسك القرآن من الموقف الحواريّ بالعناصر الحيّة منه ، و بالمشاهد البارزة فيه ، ممّا من شأنه أن يجليّ الموقف و يحدّد معلمه ثم يكون للنّاظر بعد ذلك أن يملأ الفراغات و يلوّنها بما يسعفه به إدراكه، و يمدّه به خياله » (1) فهذا الحوار على قلة ألفاظه و اقتضاب عباراته يحمل عناصر القصة كاملة نظراً لعمق معناه و تشييب و اتّساع دلالاته ، و هذا ضرب من أضرب الإعجاز في القصص القرآنيّ ، و لعلّ هذا ما يبيّض جليّاً في سورة (يوسف)، حيث جاء الحوار مفصّلاً في المواقف المهمّة التي تخدم القارئ أو السّامع في حين ورد في مواقف أخرى مختصراً و موجزاً لعدم أهميّته.

و مثال هذا الحوار مشهداً للقاء بين (يوسف) و أخيه الشقيق ﴿ وَلَمَّا دَخَلُوا عَلَىٰ

يُوسُفَ ءَاوَىٰٓ إِلَيْهِ أَخَاهُ ۗ قَالَ إِنِّي أَنَا أَخُوكَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٦٩﴾

﴿ (2) حيث لم يثبت السّياق القرآنيّ كلفيّة انفراد (يوسف) بأخيه الشقيق و إخباره سرّاً بأنّه أخوه ، كما لم يثبت تفاصيل الحوار الذي دار بينهما ، وبدون شك كان حواراً طويلاً طول سنوات الفراق خاصّة بين شقيقين متحابّين ، و لم يثبت السّياق لفظة واحدة على لسان الأخ الشقيق ليوسف بالرّغم من دوره الفاعل في الأحداث ، إنّه المنهج القرآنيّ و لا شك أنّ الحذف أبلغ و أنفع من الذكر .

(1) الخطيب عبد الكريم : القصص القرآني في منطوقة و مفهومة ص: 140  
(2) سورة يوسف 69

فالحوار القرآنيّ يصوّر بالكلمات ما لا تؤدّيه الشخصيات على خشبة المسرح لأنّ في كلماته قوى كامنة ، لا تقوى الحركات المسرحية على إجلائها ، لذا فإنّ تمثيل القصص القرآنيّ - إن أريد تمثيله - يذهب بالكثير من جماليته وروعه (1) .

إذن يتميّز الحوار القرآنيّ بقصدية وتركيز وإنارة داخلية تغني عن الوصف الخارجيّ ، فالسرديّة باعتمادها المعايير الحوارية تتفاعل مع ملبسات حديثة واقعية، من خلال رصد الإفضاء القوليّ المركزيّ المعبر عن كلفة الموقف بواسطة اللمسة الحوارية الجوهرية .

﴿ وَقَالَ الْمَلِكُ أَتُؤْنِسُ بِيهِ ۖ فَلَمَّا جَاءَهُ الرَّسُولُ قَالَ أَرْجِعْ إِلَيَّ رَبِّكَ فَسَأَلُهُ مَا بِالْأَنْسُوتِ الَّتِي قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ ۚ إِنَّ رَبِّي بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ ﴿٥١﴾ قَالَ مَا خَطْبُكُمْ إِذْ رَأَوْتُنَّ يُوسُفَ عَن نَّفْسِهِ ۚ قُلْ حَشَىٰ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِن سُوءٍ ۗ قَالَتِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ الْأَنْعَنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ أَنَا رَأَوْتُهُ عَن نَّفْسِهِ ۗ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصّٰدِقِينَ ﴿٥٢﴾ ﴾ (2)

- ففي سؤال الملك للنسوة: ﴿ خَطْبُكُمْ إِذْ رَأَوْتُنَّ يُوسُفَ عَن نَّفْسِهِ ۗ ﴾ موقف استنطاق وتحرر .

- وفي إجابة النسوة: ﴿ حَشَىٰ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِن سُوءٍ ﴾ ردّ تبرئة وشهادة بالحق .

- وفي قول امرأة العزيز: ﴿ الْأَنْعَنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ أَنَا رَأَوْتُهُ عَن نَّفْسِهِ ۗ وَإِنَّهُ

لَمِنَ الصّٰدِقِينَ ﴾ موقف اعتراف وافتضاح .

فالمواقف الثلاثة بملابساتها المعقدة ، و الغنية بالوقائع و الأحوال الانفعالية احتوتها بنية حوارية مختزلة مركزة ، لتقرر حقيقة تميط اللثام عن أزمة فرعية (3) فهذه البنية الحوارية كشفت الحقيقة كاملة للملك -بعد اعتراف النسوة ثم امرأة(العزيز)- بسعة و براءة يوسف -عليه السلام- من التهمة الملقاة

(1) ينظر الخطيب عبد الكريم المرجع نفسه ص 141 .

(2) سورة يوسف الأيتان 50-51

(3) ينظر سليمان عشراي " الخطاب القرآني ، مقارنة توصيفية لجمالية السرد الإعجازي ، ص 210



على عاتقه لتكشف هذه الأزمة الأخلاقية الفرعية عن أزمة أخلاقية كلية تتمثل في دخول يوسف إلى السجن ظلماً، رغم ظهور براءته أمام زوجها و شهادة شاهد من أهلها.

" والحوار القرآني ينقل الكلمات من فم أصحابها، حية ناقلة للمشاعر والأحاسيس، مقترنة بحضور الشخص وبنبرات صوته، وملاحح وجهه (1) ومثال هذا النوع من الحوار ما عرضه التصوير القرآني في مشهد المكيدة التي نصبها يوسف لإخوته للإبقاء على أخيه الصغير معه ﴿ قَالُوا إِنْ يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَهُ مِنْ قَبْلُ فَأَسْرَهَا يُوسُفُ فِي نَفْسِهِ وَلَمْ يُبْدِهَا لَهُمْ قَالَ أَنْتُمْ شَرُّ مَكَانٍ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ ﴾ (2).

يا للعجب لهذا الاتهام الباطل الصادر من إخوة ضد أخيه! أيصدر هذا عن إخوة تربط بينهم العلامة الدموية الأسرية!؟

إنه اتهام نابع من نفس مريضة بالحق والغل والكراهة والأناية «وإنما قالوا: قد سرق أخ له من قبل بهتاناً ونفيًا للمعرة عن أنفسهم» (3) «وتبرؤا من (يوسف) وأخيه إرواء لحقدهم القديم على يوسف» «فأسرها يوسف في نفسه ولم يبدها لهم» أي: أسر هذه الفعلة وحفظها في نفسه ولم يبدها تأثره منها «وقال: أنتم شر مكانا» يعني أنكم بهذا القذف شر مكانا عند الله من المقذوف (4) وكظم الغيظ وإخفاء الغضب من طرف يوسف -عليه السلام- لا يعني عدم الشعور بحالات الاستنكار والاستياء والسخط وإنما كان الصبر من أجل تنفيذ خطته والاحتفاظ بأخيه، ولذلك كان رد فعله ذاتياً بينه وبين نفسه و الخطاب القرآني صارم قصدي موجه يخلو من الاعتباطية، فهو لا يوظف إلا ما له قدرة توصيلية وتأثيرية وإقناعية للمتلقى، ومن هنا كانت سلطته السردية واعية في الرصد، مقتصدة في المادة القولية، حصيفة من حيث قيمتها التسيديّة... و السردية المحكومة بهذه المواصفات الأدبية القائمة على الاقتصاد والسداد التعبيري، تنزع بصورة جلية إلى استثمار الأداء الحوارية،

(1) الخطيب عبد الكريم: القصص القرآني في منطوقة ومفهومه مرجع سابق ص 130

(2) سورة يوسف الآية 77

(3) ابن عاشور محمد الطاهر: " تفسير التحرير والتنوير " ج 13 دار التونسية للنشر تونس 1984 ص 34

(4) سيد قطب: " في ظلال القرآن " مج 4، ج 13، ط 15، ص 2022



و هذا يتجلى في قصة (يوسف) حيث يطغى السرد الموقفي على السرد المشهدي ؛ حيث يقوم السرد الموقفي على فاعلية الحوار و يقوم السرد المشهدي على جمالية الوصف، كقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ<sup>ج</sup> وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا<sup>ج</sup> أَنْ رَأَى<sup>ج</sup> بُرْهَانَ رَبِّهِ<sup>ج</sup>

كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ ﴿٢٥﴾

وَأَسْتَبَقَا الْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُ مِنْ دُبُرٍ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَا الْبَابِ قَالَتْ مَا جَزَاءُ مَنْ

أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا إِلَّا أَنْ يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٥﴾ (١)

ففي هاتين الآتين يلمس الدارس مشهدا حركيًا ، إذ للحركة وازع تعبير آخر في القصة القرآنية، و ذلك باعتماد الدلالة الفعلية الحركية المتمثلة في الفعل (استبق) (2)، حيث يجسد هذا الفعل أو المشهد الحركي ذروة الصراع بين موقفين متناقضين يتمثلان في رغبة شديدة و ملحة على ممارسة الفاحشة من طرف امرأة (العزیز) ، و بين ما يقابله من صد و امتناع و تعفف من طرف يوسف -عليه السلام-، كما صورّ الفعل الحركي (استبق) المشهد تصويرا فوتوغرافيًا، و جعل القارئ يتصور و كأنه مائل أمامه.

وفي الأخير يمكن للباحث في مجال فنّ الحوار وأهميته في الممارسة الكلامية والتواصلية ، و فسي مختلف الفنون التعبيرية والأدبية بما فيها الفن القصصي ، أن يخلص إلى نتيجة مفادها أنّ الحوار يعتبر وقودا للقصة ، أي هو أساس التواصل والتفاعل بين شخصياتها ، وهو الذي يحرّك أحداثها وينميها في الزمان والمكان ، ويخلق جوّ الحركة والنشاط فيها وكلّ ذلك وفق حبكة فنية . ولما كان الحوار يعتمد أساسًا على لغة الكلام نهيك عن لغة الإشارات والإيماءات والحركات والسكنات التي تعتبر علامات للتواصل .. فإنّ القصة عموما ، و القصة القرآنية خصوصا تعتمد اللغة الحوارية المنطوقة ذات الأهمية الحجاجية والإقناعية ، ولاسيما في سورة (يوسف) ، أي أنه لما كانت لغة الحوار هي الحامل الماديّ للأساليب الحجاجية والإقناعية داخل النصوص والخطابات الدينية والأدبية والاجتماعية والسياسية والفلسفية والإيديولوجية فإنّ الحوار يعتبر هو لبّ الإقناع

(١) سورة يوسف: الآية 24-25

(٢) ينظر : سليمان عشارتي: الخطاب القرآني ، المرجع نفسه، ص : 211-212

وأساسه إن لم أقل الإقناع ذاته ، وهذا ما بدا واضحا وجلّيا في قصة يوسف - عليه السلام -

## 2- الأسلوب: (السياق اللغوي)

يتميز الأسلوب في سورة (يوسف) بعدة تقنيّات و فنيّات على غرار الأسلوب القرآني بصفة عامّة ، و الذي يعتبر أرقى و أعظم أساليب البلاغة على الإطلاق ، لأنّه كلام الله الذي يعلو و لا يعلى عليه ، و هذه التقنيّات و الفنيّات -إن صحّ التعبير- هي التي تتشكّل دلائل الإعجاز اللغوي في القرآن الكريم، و أساليبه الإقناعيّة ، و من بينها:

### أ-أسلوب التوكيد

لأسلوب التوكيد أشكال متعدّدة في اللغة العربيّة ، فقد يحدث بتكرار اللفظة بعينها أو بمرادفها و هذا يسمّى عند النحاة بالتوكيد اللفظي ، و هناك نوع آخر يسمونه التوكيد المعنويّ و يقع بتوظيف ألفاظ معيّنة بعد الكلمة المراد توكيدها ، و منها : نفس، عين، ذات ، كلّ، جميع و ما كان بمعناها.

و يحدث بالحروف التي تفيد التوكيد و منها النّاسخان (إنّ) و (أنّ)، و نونا التوكيد الخفيفة و الثقيلة، و لام الابتداء، و أداة الحصر (إنّما).

و يحدث أيضا باستعمال القسم، و كل ما يضاف من كلام يثبت و يدعّم و يقوّي المعنى الذي أفاده الكلام السابق، أي: تأكيد اللاحق للسابق.

و الغرض من التوكيد هو إقناع المتلقّي بفكرة ما ، و إثبات و تقرير المعنى في ذهنه ، و لقد وظّف كثيرا في القرآن الكريم، و لعلّ ذلك ما يتضح جليّا في سورة (يوسف) سواء ما جاء في بداية السّورة أو خاتمها أو في الفواصل أو التعقيبات على أحداث القصة ، أو ما جاء على لسان الشخصيّات ، و هذا - طبعا - بغرض إقناع النّاس بالعقيدة الصّحيحة السّليمة ، و بصدق و مصداقيّة ما أنزل على محمّد- صلى الله عليه و سلّم -، و حقيقة قصة يوسف -عليه السلام- ، و نفي كل ما دار حولها من خرافات و أساطير و أباطيل.

من أمثلة ذلك:

### أ-1- التوكيد في بداية السّورة:

و هو تمهيد لبداية القصة و إقامة الحجّة على المعاندين، و تثبيت قلب النبيّ -صلى الله عليه و سلّم - بإعلامه بأحسن القصص لسدّ ذرائع الكفار و المشركين.

و يتمثل في قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ (1)

فـ"إننا" أصلها "إننا" و أدمج حرف التوكيد (إن) مع نون الجماعة التي تعود على الله -عزّ و جلّ- و تعظيما و تقديرا لذاته العليا المتسامية.

إذن أنزل الله- سبحانه و تعالى- القرآن بلسان عربيّ على نبيّه محمّد - صلى الله عليه و سلم- العربيّ حتّى لا تكون أيّ حجة لقومه أو المشركين من قومه ، فليس أمامهم إلا الإذعان لأمر الله و الإقتناع بما أنزله على نبيّه ﴿لعلكم تعقلون﴾ أي «تدركون أنّ الذي يصنع من الكلمات العادية هذا الكتاب المعجز لا يمكن أن يكون بشرا ، فلا بدّ عقلا أن يكون القرآن وحيا. و العقل هنا مدعوّ لتدبر هذه الظاهرة ودلالاتها القاهرة» (2) «و إذا كان القرآن الكريم أنزل بلسان عربيّ فتكون هذه القصص قد أضافت إلى حسنها في الاختيار و الأولوية حسن البيان العربيّ و حسن الفهم عنه وبه» (3)

و في قوله تعالى: ﴿لَحْنٌ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا

الْقُرْآنَ وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمَنِ الْغَافِلِينَ﴾ (4).

ففي هذه الآية الكريمة توكيد معنويّ ، أي : تأكيد الكلام اللاحق للكلام السابق حيث أكد لفظ (كنت) ب (من قبله) في قوله " ﴿و إن كنت من قبله لمن الغافلين﴾ ، أي: «كنت أحد الغافلين في قومك الذين لا يتوجّهون إلى هذا النحو من الموضوعات التي جاء بها القرآن و منها هذا القصص الكامل الرقيق» (5).

و يرى (أبو حمدة) أنّ المقصود من الآية الكريمة هو الوعي الجماعيّ السائد للثقافة العربيّة قبل الإسلام ، فالله -عزّ و جلّ- يخاطب نبيّه الكريم -عليه الصلّاة والسّلام- في زمرة النّاس في موقع سلبيّ و هذا في إعجاز القرآن الكريم و توكيد الحجّة للمعاصرين لمحمّد - صلى الله عليه و سلم- على سجلّ الأدب و الوعيّ الجماعيّ السابق بل و توكيد الحجّة على اللاحقين من جيوش الباحثين الذي لا يحلو

(1) سورة يوسف الآية 02

(2) سيد قطب: في ضلال القرآن ط15 دار الشروق بيروت 1988 ص 1970

(3) أبو حمدة محمد علي في التذوق الجمالي لسورة يوسف دار الهدى عين ميلة الجزائر ص 49-50

(4) سورة يوسف الآية 03

(5) سيد قطب في ضلال القرآن ص 1970

لهم مثل أن يردّوا كل حركة و سكنة إلى نصّ فرعونيّ أو أسطورة يونانية أو طوالم جاهليّة أو طقوس قديمة أو فلكلور غير مدوّن<sup>(1)</sup>، و وقع التوكيد أيضا بلام الابتداء في قوله (لمن) فالتعبير يكون أقوى و أكثر تأكيدا و حسنا بها ﴿لمن الغافلين﴾، ولو لم يذكرها السياق - لام الابتداء- لكانت أقلّ درجة من حيث التوكيد و الحسن و القوة، كأن يقول: ﴿من الغافلين﴾، و نفس الكلام يقال على ﴿من قبله﴾، فليتأمل معي القارئ لو حرّرت الآية الكريمة من هذين اللفظين - من قبله - و لا الابتداء - كيف تصير؟.

تصير (و إن كنت من الغافلين)، لا شكّ أخي القارئ أنّك تلمس أنّ شرخا أو هدماء وقع في بنية الآية ، و أنّك فقدت ذلك الإحساس الجميل و الذوق الطيب اللذين كنت تشعر بهما في الآية قبل تجريدها من المؤكدين ﴿و إن كنت من قبله لمن الغافلين﴾.

و لو أنّ التعبير «و إن كنت من الغافلين» يبقى صحيحا و له معنى مفيد إلا أنّه فقد ذلك التوكيد و القوّة و الحسن و الجماليّة ، و هنا يكمن الإعجاز اللغوي للقرآن الكريم، فيصعب على أيّ كان أن يحذف منه أو يزيد أيّ حرف و إن وقع فسر عان ما يكتشفه أيّ قارئ متذوّق للأسلوب القرآنيّ ، و لقد أكّد و تعهّد الله - عزّ و جلّ- في محكم تنزيله بحفظه فقال ﴿إنا نحن نزلنا الذكر و إنا له لحافظون﴾<sup>(2)</sup>.

و هذا التوكيد حجّة على اليهود و المشركين المكذّبين برسالة محمد - صلى الله عليه و سلم- إذ من أين له أن يعلم بقصّة (يوسف) و غيرها من القصص لولا تنزّل الوحي عليه؟

### أ-2- توكيد يوسف رؤياه لأبيه:

و في قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ

وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ﴾<sup>(3)</sup>.

<sup>1</sup> ينظر أبو حمده علي : المرجع نفسه ص 49- 50.

<sup>(2)</sup> سورة الحجر: الآية 09

<sup>(3)</sup> سورة يوسف الآية 04

فجملته رأيتهم (رأيتهم) تأكيد لفظي لجملته (رأيت) و قوله (لي) تأكيد على أن السجود كان (ليوسف)، و لم يقل سجدوا لأن ذلك قد يكون حركة سريعة، و إنما قال (ساجدين) بصيغة اسم الفاعل ليؤكد على طول الاستغراق ووضوح المقصد والتثبيت من الأمر ، والإشارة إلى الكواكب بالضمير (هم) إنزالها منزلة العقلاء (1) أي: «متمثلة في صورة العقلاء الذين يحنون رؤوسهم بالسجود تعظيماً» (2) يقول (الزمخشري) : «وقد أخرج الشمس والقمر ، ليعطفهما على الكواكب عن طريق الاختصاص بيانا لفضلهما ، وتمييزا لهما عن غيرهما» (3).

### أ-3- تأكيد يعقوب ليوسف على كيد إخوته و تربص الشيطان بالإنسان.

﴿قَالَ يَبْنَى لَا تَقْصُصْ رُءْيَاكَ عَلَىٰ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ (4).

فقوله تعالى على لسان يعقوب - عليه السلام- ﴿فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا﴾ واقع في جواب نهي لقوله : ﴿لَا تَقْصُصْ﴾ و فيه تأكيد بإرداف المصدر ﴿كَيْدًا﴾ إلى ﴿يَكِيدُوا﴾ و كيدا هنا يعرب مفعولا مطلقا .

و هذا التأكيد إنما يعكس مشاعر الخوف لدى الأب و حرصه على ابنه من بطش و كيد إخوته و حثه على وجوب أخذ الحيطة و الحذر، فيقول (أبو حمدة) : «و قول يعقوب في هذا السياق يؤكد عدوانية الإخوة و إلحاحهم في هذه العداوة بطريقة تفوق حد المؤلف» (5).

يحاول (الشعراوي) في هذا الصدد أن يوضح الفرق المعنوي بين ما ورد في السياق القرآني ﴿يَكِيدُوا لَكَ﴾ و بين (يكيدون) فيقول: «لم يقل : فيكيذك لأن هناك فارقا بين العبارتين ، فقول : (يكيذك) تعني أن الشر المستور الذي يدبرونه ضدك سوف يصيبك بأذى ، أما (فكيذكوا لك) فتعني أن كيدهم الذي أرادوا به إلحاق الشر

(1) ينظر : أبو حمدة علي ع المراجع نفسه ص 51 - 52

(2) سيد قطب : ظلال القرآن ص 1971

(3) الزمخشري : اكتشاف عن حقائق التنزيل و عيون الأقاويل في وجوه التأويل ص 303

(4) سورة يوسف الآية 05

(5) أبو حمدة محمد علي المراجع نفسه ص 53

بك ، سيكون لحسابك و يأتي بالخير لك، و لذلك نجد قوله الحق في موقع آخر من السورة ﴿...كَذَلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ ...﴾ (1) أي: كدنا لصالحه « (2) .  
و قوله: ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ لتأكيد بالناسخ ﴿إِنَّ﴾ و كذا توظيف النعت ﴿مُبِينٌ﴾ في وصف الشيطان ﴿عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ لدليل قاطع على مدى خطورة الشيطان و ترصده بالإنسان، و وسوسته له بالشر و العصيان.

#### 4- التوكيد الوارد في أقوال إخوة يوسف :

لقد كثرت و تنوعت التوكيدات في أقوال إخوة (يوسف) و هذا محاولة لتبرير مواقفهم و جرائمهم و الإقناع بأفكارهم و كيدهم ، فمنها ما وقع أثناء حديثهم مع بعضهم البعض ، و منها ما كان موجها لأبيهم و منها ما وجه لأخيهم (يوسف).

❖ التوكيد الذي وقع في حديثهم مع بعضهم البعض: و هذا أثناء اجتماعهم و تخطيطهم للتخلص من أخيهم يوسف - عليه السلام - و هذه التوكيدات كانت بقصد تبرير جريمتهم و إقناع بعضهم البعض بصحة ما يفعلونه ، قال الله - سبحانه و تعالى-: ﴿إِذْ قَالُوا لِيُوسُفُ ... ضَلَالٌ مُّبِينٌ﴾

و في قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالُوا لِيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَيْنَا مِمَّا نَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ آبَاءَنَا

لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ (3).

- التوكيد باللام في بداية الآية: ﴿ليوسف و أخوه أحب إلى أبينا... نحن عصابة﴾ يعبر عن رسوخ اعتقادهم و بدونيتهم جميعا عند أبيهم مقارنة بيوسف و أخيه، و كأنهم يسوغون لأنفسهم ما يبيئونه ليوسف من رغبة في الخلاص منه ، تلك الرغبة التي تؤكد في نفوسهم بعقد تلك المقابلة بينهم و هم الكثرة و القوة (4)  
- تأكيد بالحرف المشبه بالفعل (إن) و لام المرحقة: في قولهم ﴿إِنَّ آبَاءَنَا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ ليعبروا عن الخطأ الكبير و الجسيم الذي ارتكبه أبوهم يعقوب - عليه السلام - و في بعده عن الحق « إذ يؤثر غلام و صبي صغيران على مجموعة الرجال

(1) سورة يوسف الآية 76

(2) الشعراوي محمد متولي : " تفسير الشعراوي " قطاع الثقافة ص 6854

(3) سورة يوسف الآية 08

(4) جمال الدين أحمد : لغة الحوار في سورة يوسف ص 09

النّافعين الدّافعين»<sup>(1)</sup> «فإنّ المقدّمات المتمثلة في تفضيل أبينا (يوسف) و أخيه علينا و نحن من نحن و هما من هما ، إنّ تلك المقدّمات التي لا نشكّ فيها أدنى شكّ تسلم لنتيجة واحدة مؤكّدة هي اتّصاف أبينا بالضلال المبين»<sup>(2)</sup>

إذن هذا التّأكيد نابع من نفوس أمّارة بالسّوء مريضة بالغيرة و الحسد من (يوسف) و أخيه ، لتتولد عن ذلك مشاعر الكره و الحقد عليهما ، و خاصّة على (يوسف) ، لتصل هذه النّفس الأمّارة بالسّوء إلى حدّ إبداء مشاعر الاستنكار و الغضب من أبيهم ، حيث وصفوه بأنّه في ضلال مبين و هنا يجد الشيطان ضالته ، أي: من هذه الفتوات يعبر ليوجّج نار الغيرة و الحسد و الكره لتصل إلى درجة الأذى ، أو ليس هو الذي حسد سيّدنا آدم -عليه السّلام- و بغضه و توعدّ بالترصد لبني الإنسان وتضليلهم؟!

❖ توكيد الإخوة لأبيهم:

و الغرض منه هو إقناع والدهم و كسب ثقته و من أنواعه ما يلي:

- التوكيد بـ إنّ واللام: و في قوله تعالى: ﴿قَالُوا يَا أَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأْمَنَّا عَلَىٰ

يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُ لَنَصِحُونَ ﴿١١﴾ أَرْسَلَهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَع وَيَلْعَبُ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴿١٢﴾

(3)

و في قوله: ﴿قَالُوا لَيْنَ أَكَلَهُ الذِّئْبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّا إِذًا لَّخَسِرُونَ ﴿١٤﴾﴾<sup>(4)</sup>،

و في قوله: ﴿فَلَمَّا رَجَعُوا إِلَىٰ أَبِيهِمْ قَالُوا يَا أَبَانَا مُنِعَ مِنَّا الْكَيْلُ فَأَرْسِلْ مَعَنَا آخَانًا نَكَتَلْ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴿١٦﴾﴾<sup>(5)</sup> .

و في قوله: ﴿وَسَأَلَ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا وَالْعِيرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا وَإِنَّا

لَصَادِقُونَ ﴿١٧﴾﴾<sup>(6)</sup> .

(1) سيد قطب : في ظلال القرآن ص 1973

(2) جمال الدين أحمد : المرجع نفسه ، الصفحة نفسها.

(3) سورة يوسف الأيتان 11- 12

(4) سورة يوسف الآية 14

(5) سورة يوسف الآية 63

(6) سورة يوسف الآية 82

ففي قولهم: ﴿إِنَّا لَهُ لَنَاصِحُونَ﴾ يقول (سيد قطب): «فذكر التصح هنا و هو الصفاء والإخلاص بشيء بما كانوا يحاولون إخفاءه من الدغل المريب».

و أمّا في قولهم: ﴿وإِنَّا لَهُ لِحَافِظُونَ﴾ فيقول: «زيادة في التوكيد و تصويروا لما ينتظر (يوسف) من النشاط المسرّة و الرياضة ، ممّا ينشّط والده لإرساله معهم كما يريدون»<sup>(1)</sup>.

وعن أساليب هذه الآيات يقول (أحمد جمال الدين): «كلها أساليب متوازية حيث أكدت جميعا بأنّ و اللام، و هذا التوكيد يعبر عن شعورهم العميق بأنّ ثمة أزمة ثقة في نفس أبيهم اتّجاههم ، فهم يؤكّدون إخلاصهم ليوسف و حفظه و خسارتهم إن هلك منهم ، ففي قولهم ﴿إِنَّا لَهُ لَنَاصِحُونَ﴾ و كذا ﴿إِنَّا لَهُ لِحَافِظُونَ﴾ لم يقل لهم أبوهـم ما يستدعي توكيدهم رعايتهم ليوسف ، و لكن شعورهم بأنهم غير ذي حظوة عند أبيهم وأنهم ليسوا من أهل ثقته دفعهم إلى المبادرة بالتوكيد . أما في قولهم: ﴿إِنَّا إِذَا لَخَاسِرُونَ﴾ إشارة إلى رغبتهم في أن يقتلعوا من أبيهم جذور الشكّ و انعدام الثقة فيهم»<sup>(2)</sup> و هكذا استسلم الوالد الحريص لهذا التوكيد و لذلك الإحراج .. ليتحقّق قدر الله و تتمّ القصة كما تقتضي مشيئته»<sup>(3)</sup>.

أمّا في قوله: ﴿و اسأل القرية التي كُنّا فيها و العير التي أقبلنا فيها و إِنَّا

لصادقون﴾

اشتملت الآية الكريمة على مجاز مرسل علاقته المكانية أو المحلية في قوله: «و اسأل القرية التي كُنّا فيها»، و الحقيقة هي أن يسأل أهل القرية (سكانها)، و ليس القرية كعمران و بناء و أشجار و طرق و الغرض من استعمال الإخوة للمجاز هو التأكيد على صدقهم و إقناع والدهم بذلك ، و ما زاد كلامهم توكيدا هو استعمال حرفي التوكيد "إنّ" و اللام المزحلقة في ختام الآية ﴿و إِنَّا لصادقون﴾.

(1) سيد قطب: في ظلال القرآن: مج 4 ج 2 ص 1974

(2) جمال الدين أحمد: لغة الحور في سورة يوسف، مرجع سابق ص 10.

(3) سيد قطب: في ظلال القرآن ص 1975



- التوكيد بـ " إن " :

﴿ أَرْجِعُوا إِلَىٰ آبَائِكُمْ فَقُولُوا يَا أَبَانَا إِنَّ ابْنَكَ سَرَقَ وَمَا شَهِدْنَا إِلَّا بِمَا عَلَّمَنَا وَمَا

كُنَّا لِلْغَيْبِ حَافِظِينَ ﴿٨١﴾ (1)

طلب الأخ الأكبر من إخوته « أن يرجعوا إلى أبيهم فيخبروه صراحة بأن ابنه سرق فأخذ بما سرق، ذلك ما علموا و شهدوا به، أما إن كان بريئاً و كان هناك أمر وراء هذا الظاهر لا يعلمونه، فهم غير موكلين بالغيب » (2)

فالتأمل في قول إخوة (يوسف) ﴿إِنَّ ابْنَكَ سَرَقَ﴾ باستعمال حرف التوكيد

(إِنَّ) ، ليكشف مدى عدوانيتهم وشرورهم وأنانيتهم ، وحقدهم وكراهيتهم لأخويهم — ، إذ لو كان غير ذلك لقالوا : (إِنَّ أَخَانَا سَرَقَ) ، وكانهم يظهرون ويتظاهرون بأنهم الأفضل ، وأسمى خلقاً من أخيهم غير الشقيق ، ويترفعون عن هكذا فعل ( فعل السرقة) ، وهم الأشرار وما يدل على ذلك هو قولهم ﴿ قَالُوا إِنْ يَسْرِقْ

فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَّهُ مِنْ قَبْلٍ فَأَسْرَهَا يُوسُفُ فِي نَفْسِهِ ۚ وَلَمْ يُبَدِّهَا لَهُمْ ۚ قَالَ أَنْتُمْ شَرٌّ

مَكَانًا ۗ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ ﴿٧٧﴾ (3)

وفي هذا يقول (محمد علي أبو حمدة) : « أليس من قبيل غلظة القلب أن يقولوا في هذا الموقف الشائن (ابنك) ولا يذكرون من حيث هو أخوهم ؟»

أما حين كان الكلام عن هذه ( الأخوة) يخدم مصالحهم وينفذ مآربهم ويقضي أوطارهم فقد كانوا إليها سباقين ، أنظر إلى حديث المودة بلفظة الأخوة والاعتزاز بها حين أرادوا أن ينالوا من أبيهم موافقة ﴿ وَلَمَّا فَتَحُوا مَتَعَهُمْ

(1) سورة يوسف الآية 81

(2) سيد قطب : في ظلال القرآن مج 4 ج 13 ص 2025

(3) سورة يوسف الآية 77

(4) أبو حمدة محمد علي : في التذوق الجمالي لسورة يوسف ، مرجع سابق ص 56- 57

وَجَدُوا بِضَعَتَهُمْ رُدَّتْ إِلَيْهِمْ قَالُوا يَا أَبَانَا مَا نَبْغِي هَذِهِ بَضَعَتُنَا رُدَّتْ إِلَيْنَا وَنَمِيرُ  
أَهْلَنَا وَنَحْفَظُ أَخَانَا وَنَزِدَادُ كَيْلَ بَعِيرٍ ذَلِكَ كَيْلٌ يَسِيرٌ ﴿١٥﴾ (1)»

وهذا الاختلاف والتضارب في كلام الإخوة وطرائق تعابيرهم من ظرف لأخر  
ومن مناسبة لأخرى كشف لأبيهم يعقوب - عليه السلام - أساليبهم في المراوغة  
والالتواء والأنايية ، ومستويات الصيغ عندهم ودرجات الصدق فيها (2) ﴿ قَالَ بَلْ  
سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ۗ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُ هُوَ  
الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴾ (3)

فقوله : ﴿ بل سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا ﴾ دليل على شك يعقوب - عليه السلام -  
في صحة أقوال أبنائه ، وعدم تصديقهم ، وما يؤكد هذا الكلام هو ما قاله يعقوب  
- عليه السلام - فيما سبق بعد أن نقلوا إليه الخبر الكاذب المتمثل في افتراس الذئب  
لأخيهم (يوسف) : ﴿ وَجَاءُوا عَلَى قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ ۚ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ  
أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ۗ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴾ (4)

وفي نهاية المطاف تنكشف جرائم الإخوة بعد أن حصص الحق وظهر وزهق  
الباطل وسقط بعد سنين طوال فإن الله يمهل ولا يهمل، يعترفون بأخطائهم لوالدهم  
ويطلبون منه أن يستغفر لهم: قَالُوا ﴿ يَا أَبَانَا أَسْتَغْفِرُ لَنَا ذُنُوبَنَا إِنَّا كُنَّا خَاطِئِينَ ﴾ (5)

فهم يعترفون بأخطائهم معتمدين أسلوب التوكيد ﴿ إِنَّا كُنَّا خَاطِئِينَ ﴾ إذ لم يبق  
لهم مجال للكذب والالتواء والمراوغة بعد أن تبيّن الحق ووسطع ، وهم يعترفون  
بأن هذه الأخطاء كانت عظيمة بدليل قولهم ﴿ ذُنُوبَنَا ﴾ ، كيف لا وهي جرائم  
لم تتسبب في أذية أخيهم (يوسف) فقط ، وإنما سببت المعاناة والآلام والأحزان

(1) سورة يوسف الآية 65

(2) ينظر : أبو حمدة محمد علي : المرجع نفسه ص 57

(3) سورة يوسف الآية 83

(4) سورة يوسف الآية 18

(5) سورة يوسف الآية 97

الكبيرة لو الدهم أيضا، والتي كانوا يزيدون في حدتها ويؤججونها بسوء معاملتهم له ولما كانت هذه الذنوب عظيمة تتطلب وتستدعي العقاب الشديد طلبوا إلى والدهم أن يستغفر لهم ربهم ﴿يَتَّابَانَا آسْتَغْفِرَ لَنَا ذُنُوبَنَا﴾ .

#### - التوكيد ب ( ما ) النافية وحرف الجر الزائد:

﴿قَالُوا يَتَّابَانَا إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِنْدَ مَتَعِنَا فَأَكَلَهُ الذِّئْبُ وَمَا

أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ﴾ (1)

فرغم أن يعقوب - عليه السلام - قد حذرهم من أن يأكله الذئب إلا أنهم حاولوا أن يغطوا ويخفوا جريمتهم بما حذرهم منه أبوهم وهو خوفه من الذئب أن يأكل ولده وهذا دليل على غبائهم ، وكأنهم عجزوا على إيجاد كذبة أو خدعة أخرى يخفون بها جريمتهم إلا تلك التي حذرهم منها والدهم .

فأكدوا قولهم ب (إن) في بداية الآية : ﴿قَالُوا يَتَّابَانَا إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَا يُوسُفَ

عِنْدَ مَتَعِنَا فَأَكَلَهُ الذِّئْبُ﴾

ولما أحسوا بأن كذبتهم وجريمتهم أصبحت مكشوفة (2) وأن والدهم من غير الممكن أن يتقبلها وأن يهضمها.

كيف لا وهي فكرته أصلا ! ، فأكدوا « ما النافية العاملة عمل ليس ، وحرف

الجر الزائد ( الباء ) (3) في قولهم ﴿وما أنت بمؤمن لنا ولو كنا صادقين﴾ أي: وما كنت بمطمئن لما نقوله ولو كان هو الصدق (4)

#### - التوكيد بالقسم :

يعتبر القسم من أهم أساليب التوكيد يوظفه المتكلم عندما يشعر بأن المتلقي يكذب قوله ، أو تنتابه وتراوده شكوك قد تؤدي إلى عدم تصديقه وهذا طبعا بغرض إقناعه بصحة كلامه وجعله يصدق .

(1) سورة يوسف الآية 17

(2) ينظر سيد قطب في ظلال القرآن مج4 ، ج 12 ص 1976

(3) جمال الدين أحمد : لغة الحوار في سورة يوسف مرجع سابق ص 09

(4) سيد قطب : في ظلال القرآن : ص 1976

قال تعالى: ﴿قَالُوا تَأَلَّه تَفْتُوْا تَذَكُرُ يُوْسُفَ حَتَّى تَكُوْنَ حَرَضًا أَوْ تَكُوْنَ مِنْ

أَهْلِكِيْنَ ﴿٨٥﴾ (1).

إنّ توكيدهم بالقسم لوالدهم حين ذكره ليوسف لدليل على كرههم الشديد له إلى درجة أنهم ما عادوا يطيقون سماع اسمه حتى في حالة غيابه أو عدم وجوده « ويبلغ الحقد بقلوب بنيه ألا يرحموا ما به ، وأن يلسع قلوبهم حينه ليوسف وحرزه عليه ذلك الحزن الكامد العظيم ، فلا يسرون عنه ولا يحزنون ، ولا يعلنونه بالرّجاء ، بل يريدون ليطمسوا في قلبه الشعاع الأخير » (2) ، « ثم إنّ تفصيلهم في النتائج المترتبة على ذلك (حتى تكون حرصاً أو تكون من الهالكين) تشعر أنّ الهالك ما عاد عن يعقوب بعيداً . وما نظنه قد كان عندهم الهلاك بعد الحرص إذ لو كان كذلك لقالوا (فتكون) بالفاء فاء السببية ولكنهم قالوا (أو) التي هي احتمال آخر من احتمالات سوء العاقبة » (3)

وتبلغ بهم درجة الحقد والقسوة ذروتها بعد قول والدهم ﴿... إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ

يُوْسُفَ لَوْلَا أَن تَفْنِيْدُونَ ﴿٨٦﴾ (4) ، حيث يغلطون له القول ويجرحون مشاعره دون

مراعاة لمنزلة الأخوة ووجوب احترامها وتقديرها ، لأنّ حسدهم وغيرتهم من (يوسف) - بسبب حبّ والدهم الذي لم ينقطع ولم يفن أو ينقص بعد هذا الأمد الطويل - قد ملأ قلوبهم غلاً وأعمى أبصارهم عن رؤية نور الحقّ فأصبحوا لا يباليون ولا يأبهون بتوجيه الكلام اللاذع والجارح لوالدهم ﴿قَالُوا تَأَلَّه إِنَّكَ لَفِي

ضَلَالِكَ الْقَدِيْمِ ﴿٨٧﴾ (5)

« فهم يعجبون ويستغربون هذا التعلّق الشديد الذي لا يبلى مع طول الزّمن وتغيّر الحال فأقسموا بالنّاء (\*)»

يقول (أبو حمدة) : « أرأيت إلى أقولهم (تالله) بصيغة القسم وقولهم (إنّ) بحرف التّوكيد وكاف الخطاب وقولهم (لفي) بدلالة اللام المرحلة المؤكّدة وقولهم

(1) سورة يوسف الآية 85

(2) سيد قطب : في ظلال القرآن مج 4 ، ج 13 ص 205

(3) أبو حمدة محمد علي : في التذوق الجمالي لسورة يوسف مرجع سابق ص 58

(4) سورة يوسف الآية 94

(5) أحمد جمال الدين المرجع نفسه ص 09

(\*) الناء هي أقل أحرف القسم استعمالاً وفيها زيادة معنى وهو التعجب بنظر الكاتب ج 3 ص 509 في أحمد جمال الدين بلغه الحوار في سورة يوسف ص 11

( ضللك ) بما تفيد اللفظة وإضافتها إلى كاف الخطاب ثم قولهم ( القديم ) الذي هو من نوع التذكير بأن هذه السيرة قد طالت كثيرا بل أكثر ما يمكن احتمالها والصبر عليه « (3) ، فتعاقب المؤكّدات في قولهم هذا إنما يدلّ على محاولة إقناع والدهم بأنه على خطأ كبير لأنه مازال يذكر ( يوسف ) ، وأيضا بضرورة نسيانه لأنّ هذه الحادثة أو الجريمة قد مرّ عليها زمن طويل ، وأن الأوان لكي تنتهي ويسدل عليها الستار ولكن هيهات أن تخفى وتطمس الحقيقة ويغيب العدل لأنّها إرادة الله ومشيتته يظهر الحق ويزهق الباطل ولو بعد حين .

### ❖ - توكيدهم ليوسف :

وهذا بغرض تبرئة أنفسهم ، ومحاولة استعطافه واسترحامه بعدما خذلهم الله - سبحانه وتعالى - ، وانكشف أمرهم .

### - التوكيد بالقسم :

بعد المكيدة التي دبّرها يوسف - عيه السلام - لإخوته للإبقاء على أخيه عنده في القصر ، بإخفاء صواع الملك في رمل أخيه ، ومناداة أحد الحراس بأنه وقعت سرقة واتهامهم بها ، راح إخوته يؤكّدون براءتهم عن طريق القسم ﴿ قَالُوا تَاللّٰهِ لَقَدْ

عَلِمْتُمْ مَا جِئْنَا لِنَفْسِدَ فِي الْأَرْضِ وَمَا كُنَّا سَارِقِينَ ﴾ (2) فاقوم مستيقنون

من براءتهم ، فهم لم يأتوا ليسرقوا ويجترحوا هذا الفساد ، فحالهم ولسانهم ونسبهم يدلّ على ذلك (3) فهم متهمون بسرقة الملك وهذا أمر مستبعد جدّا ، فلقد قطعوا مسافة طويلة من بلد إلى بلد ، للتزوّد بالمؤونة والطعام ، فكيف يسرقون صواع الملك ؟ بالإضافة إلى ذلك فهم أبناء نبيّ ، ولهذا جاء قسمهم بالحرف الأقلّ شيوعا في باب القسم وهو التاء

( مقارنة بالباء والواو) للتعبير عن استغرابهم للموقف. (4)

ولمّا أفصح لهم (يوسف) عن هويّته وعرفوا أنّ الملك الذي يقفون أمامه هو أخوهم الذي ظلموه في يوم من الأيام وألقوه في غيابة الجبّ ، وظنّوا أنّهم قد ارتاحوا منه إلى الأبد ها هو أمامهم عليه تاج ملك مصر (5) حيث أصبح هو في مركز القوة وأصبحوا هم في مركز الضعف ، بعدما كانوا هم العصبة التي تمثل وهو الضعيف

(3)- أبو حمدة محمد علي : المرجع السابق ص 59

(2) سورة يوسف الآية 73

(3) ينظر سيد قطب : في ظلال القرآن مج 4 ، ج 12 ص 2019

(4) ينظر جمال الدين أحمد : لغة الحوار في سورة يوسف مرجع سابق ص 11-12

(5) ينظر المرجع نفسه الآية 91

المغلوب على أمره ، فما كان ردّ فعلهم أمام هذا الموقف المذهل والغريب إلا أن ﴿ قَالُوا تَاللّٰهِ لَقَدْ ءَاثَرَكُ اللّٰهُ عَلَيْنَا وَإِن كُنَّا لَخٰطِئِينَ ﴿٩١﴾ ﴿١﴾ .

توكيد بالقسم بالإضافة إلى حرف التوكيد (إن) المخففة، ولا المرحقة. فيه « اعتراف بالخطيئة، وإقرار بالذنب، وتقرير لما يروونه من إثارة الله له عليهم بالمكانة والحلم والتقوى والإحسان » (2)

وهذا الاعتراف المؤكّد إنّما هو - أيضا - محاولة لاستمالة قلب أخيهم واستعطافه حتّى ينالوا صفحه وعفوه، والصّفح والعفو من شيم الأنبياء والصّالحين ﴿ قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللّٰهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّحِمِينَ ﴿٩٢﴾ ﴿٣﴾

تأمل معي أخي القارئ في سماحة سيّدنا يوسف - عليه السّلام - وعفوه عن إخوته بعد كل ما فعلوه من جرائم ومعاملة قاسية وتصرفات مشينة ها هو يقول لهم « لا تثريب عليكم اليوم » ، وهو قادر في منصبه على معاقبتهم بالقـتل أو السّجن ، كيف ذلك وهو لم يعاقبهم حتّى بالكلمة الجارحة بل كان معهم حلّما كريما إنّهُ العفو عند المقدرة ، فقله : ﴿ يغفر اله لكم وهو أرحم الرّحمين ﴾ « هو أدب مع ما فيه من ردّ الأمور كلّها إلى الله كما ينبغي ، إلا أنّها في الوقت ذاته خلـو من أيّ شعور بالتحرر من عقدة الأسي والمرارة معهم » (4)

إنّها فعلا قمة مكارم الأخلاق أنعم وأكرم الله - سبحانه وتعالى - بها على سيّدنا يوسف - عليه السّلام - كما أنعم بها على سيّدنا ونبيّنا وحبينا محمد - صلى الله عليه وسلّم - من بعده ، حيث كان - عليه أفضل الصّلاة وأزكى التّسليم - خلقه القرآن الكريم وقد زكاه الله - سبحانه وتعالى - بقوله : ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٩٣﴾ ﴿٥﴾ ، وقد زكى

زكى نفسه - عليه الصّلاة والسّلام - بقوله : « بعثت لأتمّ حسن الأخلاق » (6)

فكانت من شيمه السّماحة والصّفح والعفو عند المقدرة، وخير دليل على ذلك ما فعله - صلى الله عليه وسلّم - بقريش يوم فتح مكة حيث قال : « يا معشر قريش ما ترون

(1) سورة يوسف الآية 91

(2) سيد قطب : في ظلال القرآن مج 4 ، ج 13 ص 20 27

(3) سورة يوسف الآية 92

(4) أبو حمدة محمد علي : في التدوق الجمالي لسورة يوسف ص 61

(5) سورة القلم الآية 04

(6) حديث مرسل، تفرد به الإمام مالك في موطنه

أني فاعل بكم ؟ « قالوا: « خيرا أخ كريم وابن أخ كريم »، قال: « اذهبوا فانتم الطلقاء » (1)

- التوكيد ب ( إن ) واللام:

﴿ قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ إِنَّ لَهُ أَبًا شَيْخًا كَبِيرًا فَخُذْ أَحَدَنَا مَكَانَهُ <sup>ط</sup> إِنَّا نَرْنَاكَ مِنْ الْمُحْسِنِينَ ﴾ (2)

إن محاولة الإخوة استعطاف واسترحام - العزيز يوسف - عليه السلام - يستعملون فيها التأثير النفسي العاطفي باعتماد أسلوب التوكيد ﴿ إِنَّ لَهُ أَبًا شَيْخًا

كَبِيرًا ﴾ ﴿ إِنَّا نَرْنَاكَ مِنْ الْمُحْسِنِينَ ﴾

« فراحوا يسترحمون (يوسف) باسم والد الفتى الشيخ الكبير، ويعرضون أن يأخذ بدله واحدا منهم إن لم يكن مطلقه بخاطر أبيه، ويستعينون في رجائه بتذكيره بإحسانه وصلاحه وبره لعله يلين » (3)

إن دلّ هذا على شيء إنما يدلّ على دور وأهميّة التأثير النفسي العاطفي في عمليّة الإقناع والتي لا تقلّ أهميّة عن التأثير العقلي المنطقي ولقد وردت ( إن ) في شبه التكرار (4) الذي جاء في أقوال إخوة (يوسف) مرّة خفيفة ومرّة ثقيلة .

فأمّا الخفيفة فوردت عند مخاطبتهم ليوسف ﴿ قَالُوا تَاللّٰهِ لَقَدْ ءَاثَرَكَ اللّٰهُ عَلَيْنَا وَإِنْ

كُنَّا لَخٰطِئِينَ ﴾ (5)

وأمّا الثقيلة وردت عند مخاطبتهم لأبيهم: ﴿ قَالُوا يَا أَبَانَا أَسْتَغْفِرُ لَنَا ذُنُوبَنَا إِنَّا كُنَّا

خٰطِئِينَ ﴾ (1)

(1) عماد الدين أبي الفداء إسماعيل بن كثير : البداية والنهاية " ج 4 - ط1 - 1423 هـ - 2003 م ص 249

(2) سورة يوسف الآية 78

(3) سيد قطب : في ظلال القرآن مج 4 ، ج13 ص 22

(4) يسمى شبه التكرار بسبب اختلاف توجيه الخطاب في الآيتين مرة ليوسف وأخرى لأبيهم ، ينظر جمال الدين : لغة الحوار في سورة

يوسف ص 10

(5) سورة يوسف الآية 91

فـ (إنّ) الثقيلة أكثر توكيدا للكلام من ( إن ) الخفيفة قياسا على نوني التوكيد الثقيلة والخفيفة. ففي قولهم ﴿ وَإِن كُنَّا لَخَاطِئِينَ ﴾ خَفَّفُوا التَّوَكِيدَ رَغْمَ أَنَّهُمْ يَخَاطَبُونَ فِيهَا مِنْ أَسَاءُوا إِلَيْهِ مَبَاشَرَةً ، نَظَرًا لِمَا رَأَوْهُ مِنْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَنْعَمَ عَلَيْهِ وَعَوَّضَهُ خَيْرًا ، وَكَأَنَّ مَا فَعَلُوهُ بِهِ كَانَ سَبَبًا لِإِيثَارِ اللَّهِ لَهُ وَنَصْرَتِهِ عَلَيْهِمْ حَتَّى صَيَّرَهُ مَلَكًا وَهُمْ يَمْدُونُ أَيْدِيَهُمْ إِلَيْهِ ، كَمَا أَنَّهُمْ يَعْلَمُونَ أَنَّهُمْ يَكْلُمُونَ أَخَاهُمْ الصَّغِيرَ فَمَنْعَهُمْ كِبَرِيَاؤُهُمْ مِنَ التَّأَكِيدِ الشَّدِيدِ عَلَى وَقُوعِهِمْ فِي الْخَطَا . وَفِي قَوْلِهِمْ ﴿ إِنَّا كُنَّا خَاطِئِينَ ﴾ شَدَّدُوا التَّوَكِيدَ بِأَنَّ التَّحْقِيلَةَ لِأَنَّهُمْ يَخَاطَبُونَ وَالدَّهْمَ الَّذِي أَسَاءُوا إِلَيْهِ بِحَرَمَانِهِ مِنْ وَلَدِهِ وَحَرَقَةَ قَلْبِهِ وَذَهَابَ نُورَ عَيْنِهِ (2) .

### ب- التكرار في سورة يوسف:

لقد تكررت في سورة (يوسف) بعض الكلمات و العبارات - كما في بعض سور القرآن و قصصه - و ذلك لأهميّة المعاني و الدلالات و الوظائف اللغوية التي تؤدّيها - في إطار سياقها اللغوي كتوكيد المعاني التي تدلّ عليها و الإقناع بها. و من فوائد التكرار إدراك المتلقي فحوى الرّسالة التي سيقنت من أجلها هذه القصّة ، و تذكيره بالغاية منها و التي تتمثل في الدّعوة إلى الله و تنزيهه عن الشرك، و ترسيخ العقيدة و تقوية الإيمان و تربية النفوس على الأخلاق الحميدة كالصّبر و السّماحة و العفو و العفة و الطّهارة و التّقوى و الصّدق و المحبّة و الإحسان و الاتّعاض و الاعتبار... و غيرها ، و بالمقابل تجنيبها الشرك و الغدر و الخيانة و السّـزنا و المكائد و المؤامرات و الكذب و الافتراء و الحقد و الحسد و الغيرة و الكره... و هلمّ جرّاً.

و من هذه التكرارات ما يلي:

- (العلم) : تكررت في العديد من الآيات في سورة (يوسف) للتأكيد على أهميّة العلم ، و على أنّه نعمة من الله - سبحانه و تعالى - يهبها لمن يشاء من عباده و أنّه - عزّ و جلّ- هو العليم ، يعلم السرّ و أخفى و يعلم الغيب و ما في الأرحام.
- و الآيات التي تشمل أو تحتوي لفظة العلم في سورة (يوسف) هي كالتالي:

(1) سورة يوسف الآية 97

(2) ينظر : جمال الدين أحمد : المرجع نفسه ص 11



قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ تَجْتَبِيكَ رُبُّكَ **وَيُعَلِّمُكَ** مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَعَلَىٰ آءَالٍ يَعْقُوبُ كَمَا أَنَّمَا عَلَيَّ أَبُويَكَ مِنْ قَبْلُ **إِبْرَاهِيمَ** وَإِسْحَاقَ إِنَّ رُبُّكَ **عَلِيمٌ حَكِيمٌ** ﴿١﴾

﴿وَجَاءَتْ سَيَّارَةٌ فَأَرْسَلُوا وَارِدَهُمْ فَأَدْلَىٰ دَلْوَهُ قَالَ يَبُشْرَىٰ هَذَا غُلْمٌ وَأَسْرُوهُ **بِضْعَةَ** وَاللَّهُ **عَلِيمٌ** بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿٢﴾

﴿وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِنْ مِصْرَ لَا مِرَّةَ أَكْرِمِي مَثْوَاهُ عَسَىٰ أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ **وَلِنُعَلِّمَهُ** مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰ أَمْرِهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣﴾

﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿٤﴾

﴿فَاسْتَجَابَ لَهُ رَبُّهُ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ **الْعَلِيمُ** ﴿٥﴾

﴿قَالَ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِ إِلَّا نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَكُمَا ذَٰلِكُمَا مِمَّا

**عَلَّمَنِي** رَبِّي إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ ﴿٦﴾

(1) سورة يوسف الآية 6

(2) سورة يوسف ، الآية 19

(3) سورة يوسف ، الآية 21

(4) سورة يوسف ، الآية 22

(5) سورة يوسف ، الآية 34

(6) سورة يوسف ، الآية 37

﴿ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءَ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَءَابَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنْ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٤﴾ (1) ﴾

﴿ قَالُوا أَضْغَتْ أَحْلَمٍ وَمَا خُنُّنَا بِتَأْوِيلِ الْأَحْلَمِ بِعَلَمِينَ ﴿٤٤﴾ (2) ﴾

﴿ يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ أَفْتِنَا فِي سَبْعِ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعُ عِجَافٍ وَسَبْعِ سُنبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ لَعَلِّي أَرْجِعُ إِلَى النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٤٦﴾ (3) ﴾

﴿ وَقَالَ الْمَلِكُ أَتْتُونِي بِهِ ۖ فَلَمَّا جَاءَهُ الرَّسُولُ قَالَ أَرْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ فَسَأَلَهُ مَا بَالَ الْإِنْسَانِ الَّذِي قَطَعَنَ أَيْدِيَّ إِنَّ رَبِّي بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ ﴿٤٧﴾ (4) ﴾

﴿ ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِبِينَ ﴿٥٠﴾ (5) ﴾

﴿ قَالَ أَجْعَلْنِي عَلَىٰ خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ ﴿٥٥﴾ (6) ﴾

﴿ وَلَمَّا دَخَلُوا مِنْ حَيْثُ أَمَرَهُمْ أَبُوهُم مَّا كَانَ يُغْنِي عَنْهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا حَاجَةٌ فِي نَفْسِ يَعْقُوبَ قَضْنَهَا وَإِنَّهُ لَذُو عِلْمٍ لَمَّا عَلَّمْنَاهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦٩﴾ (7) ﴾

﴿ قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ عَلَّمْتُمْ مَا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِي الْأَرْضِ وَمَا كُنَّا سَارِقِينَ ﴿٧٣﴾ (8) ﴾

(1) سورة يوسف ، الآية 40

(2) سورة يوسف ، الآية 44

(3) سورة يوسف ، الآية 46

(4) سورة يوسف ، الآية 50

(5) سورة يوسف ، الآية 52

(6) سورة يوسف ، الآية 55

(7) سورة يوسف ، الآية 69

(8) سورة يوسف ، الآية 73

﴿فَبَدَأَ بِأَوْعِيَّتِهِمْ قَبْلَ وِعَاءِ أَخِيهِ ثُمَّ اسْتَخْرَجَهَا مِنْ وِعَاءِ أَخِيهِ كَذَلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَن نَّشَاءُ<sup>ط</sup> وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ ﴿٧٦﴾<sup>(1)</sup>﴾

﴿قَالُوا إِنْ يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَهُ مِنْ قَبْلُ فَأَسْرَهَا يُوسُفُ فِي نَفْسِهِ وَلَمْ يُبْدِهَا لَهُمْ<sup>ط</sup> قَالَ أَنْتُمْ شَرُّ مَكَانًا<sup>ط</sup> وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ ﴿٧٧﴾<sup>(2)</sup>﴾

﴿فَلَمَّا اسْتَيْسَسُوا مِنْهُ خَلَصُوا نَجِيًّا<sup>ط</sup> قَالَ كَبِيرُهُمْ أَلَمْ تَعْلَمُوا أَنَّ أَبَاكُمْ قَدْ أَخَذَ عَلَيْكُمْ مَوْثِقًا مِنَ اللَّهِ وَمَنْ قَبْلُ مَا فَرَّطْتُمْ فِي يُوسُفَ فَلَنْ أَبْرَحَ الْأَرْضَ حَتَّى يَأْذَنَ لِي أَبِي أَوْ يَحْكُمَ اللَّهُ لِي<sup>ط</sup> وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ ﴿٧٨﴾<sup>(3)</sup>﴾

﴿أَرْجِعُوا إِلَىٰ آبَائِكُمْ فَقُولُوا يَتَّابَانَا إِنْ أَبْنَاكَ سَرَقَ وَمَا شَهِدْنَا إِلَّا بِمَا عَلَّمَنَا وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حَافِظِينَ ﴿٧٩﴾<sup>(4)</sup>﴾

﴿قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا<sup>ط</sup> فَصَبْرٌ جَمِيلٌ<sup>ط</sup> عَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴿٨٠﴾<sup>(5)</sup>﴾

﴿قَالَ إِنَّمَا أَشْكُوا بَنِي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨١﴾<sup>(6)</sup>﴾

﴿قَالَ هَلْ عَلِمْتُمْ مَا فَعَلْتُمْ بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنْتُمْ جَاهِلُونَ ﴿٨٢﴾<sup>(7)</sup>﴾

(1) سورة يوسف ، الآية 76  
 (2) سورة يوسف ، الآية 77  
 (3) سورة يوسف ، الآية 80  
 (4) سورة يوسف ، الآية 81  
 (5) سورة يوسف ، الآية 83  
 (6) سورة يوسف ، الآية 86  
 (7) سورة يوسف ، الآية 89

﴿وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا ۖ وَقَالَ يَا أَبَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُءْيَايَ مِنْ قَبْلُ  
 قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاءَ بِكُمْ مِنَ الْبَدْوِ مِنْ  
 بَعْدِ أَنْ نَزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي ۚ إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِمَا يَشَاءُ ۚ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ  
 الْحَكِيمُ﴾<sup>(1)</sup>

﴿رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ ۚ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ  
 وَالْأَرْضِ أَنْتَ وَلِيِّ الْإِنْسَانِ فِي الْأُولَى ۚ وَفِي الْآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحَقْنِي بِالصَّالِحِينَ﴾<sup>(2)</sup>

- و تكررت في السورة كلمات أخرى منها : تأويل - الضلال - و إنا له لحافظون -  
 إن الحكم إلا لله - الاستباق - راود - معاذ الله - حاش لله - الكيد - المحسنين - القميص -  
 صادقون ، و غيرها يمكن إحصاؤها في الجدول الآتي: <sup>(3)</sup>

المجموع	رقم الآيات التي وردت بها	الكلمة أو العبارة
08	101 - 100 - 45 - 44 - 37-36 - 21 - 06	تأويل
02	95 - 08	الضلال
02	63 - 12	و إنا له لحافظون
02	67 - 40	إن الحكم إلا لله
02	25 - 17	الاستباق
07	61 - (51-51) - 32 - 30 - 26 - 23	راود
02	79 - 23	معاذ الله
02	51 - 31	حاش لله
08	76 - 52 - 50 - 34 - 33 - 28 - (05 - 05)	الكيد
04	90 - 78 - 36 - 22	المحسنين
02	78 - 36	إنا نراك من المحسنين
06	93 - 28 - 27 - 26 - 25 - 18	القميص
02	82 - 17	صادقون

<sup>(1)</sup> سورة يوسف ، الآية 100

<sup>(2)</sup> سورة يوسف ، الآية 101

<sup>(3)</sup> ينظر ، أحمد نوفل : سورة يوسف دراسة تحليلية ص 112 - 117 ، عن مريم سعود : البعد التصويري في القرآن الكريم ، سورة يوسف نموذجاً ، مذكرة ماجستير 2005-2006 جامعة الجزائر ص 101 - 103

02	87 - 37	كافرون
02	83 - 18	بل سؤلت لكم أنفسكم أمرا فصبر جميل
03	80 - (66-66)	موثقا
03	97 - 91 - 29	خاطئين
06	100 - 42 - 41 - 39 - 36 - 33	السجن
03	(76 - 76 - 76)	وعاء
02	38 - 37	ملة
07	88 - (65-65) - (63 - 63) - 60 - 59	كيل
04	(75 - 75) - 74 - 25	جزاء
02	75 - 70	رحل

- يستنتج من هذا الجدول ما يلي:

**1- تكرار اللفظين (تأويل و كيد) ثماني مرات لأهمية دلالتها في القصة :**  
فأما لفظ (تأويل) فالمقصود به تفسير الرؤى <sup>(1)</sup> ، و هو علم قائم بذاته و هبه الله - سبحانه و تعالى- لأنبيائه و رسله و عباده الصالحين . و يبدو أن تأويل الرؤى قد شاع و انتشر في عهد و عصر يوسف -عليه السلام- مما ساعده في الدعوة إلى الله و نشر كلمة التوحيد . قال الله - سبحانه و تعالى-: ﴿وَكَذَلِكَ تَجْتَبِيكَ رَبُّكَ

وَيُعَلِّمُكَ مِنَ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَعَلَىٰ آلِ يَعْقُوبَ كَمَا أَتَمَّهَا عَلَىٰ أَبَوَيْكَ مِنْ قَبْلِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٢﴾

﴿... وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِنْ مِصْرَ لِامْرَأَتِهِ أَكْرِمِي مَثْوَاهُ عَسَىٰ أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ

(1) ينظر الزمخشري : الكشاف ، ص 303

(2) سورة يوسف ، الآية 06

وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰ أَمْرِهِ ۖ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦٦﴾ ۖ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ رَزَقْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا ۖ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿٦٧﴾<sup>(1)</sup>

﴿قَالَ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِ إِلَّا نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَكُمَا ۚ ذَٰلِكُمْ مِمَّا

عَلَّمَنِي رَبِّي ۚ إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ ﴿٦٨﴾<sup>(2)</sup>

و أما لفظ (كيد) فاختلفت دلالاته و معانيه في قصة يوسف - عليه السلام - على حسب اختلاف المواقف، لأنه «يطلق على التدبير في الخفاء للخير أو الشر سواء<sup>(3)</sup>». فمما كيد الشر فيكون الشيطان فيه و عليه سببا و عوناً، و هو كالاتي:

أ - كيد إخوة (يوسف) ليوسف - عليه السلام - بهدف التخلص منه حتى يستأثروا بحبّ والدهم .

قال تعالى على لسان يعقوب - عليه السلام-: ﴿قَالَ يَبْنَئِي لَا تَقْضُصْ رُءْيَاكَ عَلَيَّ

إِخْوَتَكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٦٩﴾<sup>(4)</sup>

و قال تعالى على لسان إخوة (يوسف): ﴿إِذْ قَالُوا لِيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَيْنَا مِمَّنَّا

وَخُنُّ عَصَبَةً إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٧٠﴾ أَقْتُلُوا يُوسُفَ أَوْ اطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ

وَجْهٌ أَبِيكُمْ وَتَكُونُوا مِنْ بَعْدِهِ قَوْمًا صَالِحِينَ ﴿٧١﴾ قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ لَا تَقْتُلُوا يُوسُفَ

وَأَلْقُوهُ فِي الْوُحُوشِ فَيَأْكُلُوهُ حَرْشٌ مِمَّنْ يَبْغُونَ ۗ وَالْقَوْمُ لِئَابَائِهِمْ كَارِهُونَ ﴿٧٢﴾<sup>(5)</sup>

و رغم أنهم نفذوا جريمتهم في إبعاد يوسف - عليه السلام - عن والده حتى يخلو لهم وجه أبيهم ، إلا أنه خاب ظلهم و سعيهم ، و لم يتحقق غرضهم ؛ حيث لم ينس يعقوب - عليه السلام - (يوسف) و لم ينطفئ حبه في قلبه ، بل تملكته الأحزان

(1) سورة يوسف ، الآية 21-22

(2) سورة يوسف ، الآية 37

(3) سيد قطب ، في ظلال القرآن ، مج 4 ، ص 2020

(4) سورة يوسف ، الآية 05

(5) سورة يوسف ، الآيات 8 - 9 - 10

والآلام لفراقه ، و عاش على أمل و رجاء أن يحقق الله - عزّ وجلّ - ملاقاتهما و يجمع شملهما.

و هياً الله - سبحانه و تعالى - ليوسف - في بعده عن والده و عائلته - عيشة رغدا في بيت (العزیز) بمصر ليصير فيما بعد - بعد الابتلاء بمحنة المرادة و دخول السجن - عزيز مصر و بهذا يتمّ عليه الله- سبحانه و تعالى- نعمة الملك بعد أن أتاح نعمة العلم.

وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِنْ مِصْرَ لِمَرْأَتِهِ أَكْرِمِي مَثْوَاهُ عَسَىٰ أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَوَلَدًا ۚ وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُ ۖ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ ۚ وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰ أَمْرِهِ ۚ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١١﴾ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ ۖ آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١٢﴾<sup>(1)</sup>

وَقَالَ الْمَلِكُ أَتُؤْتِنِي بِهِ ۖ اسْتَخْلَصَهُ لِنَفْسِي ۗ فَلَمَّا كَلَّمَهُ ۖ قَالَ إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ ﴿١٣﴾ قَالَ اجْعَلْنِي عَلَىٰ خَزَائِنِ الْأَرْضِ ۗ إِنِّي حَفِيظٌ عَلَيْمُ ﴿١٤﴾ وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ يَتَّبِعُونَ مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ ۚ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَن نَّشَاءُ ۗ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٥﴾<sup>(2)</sup>

و أصبح إخوته على ما فعلوه نادمين معترفين على خطئهم ، و مقرين بنصرة و تفضيل الله - سبحانه و تعالى- ليوسف - عليه السلام - راجين العفو و الصّح من أخيه ﴿قَالُوا تَاللّٰهِ لَقَدْ ءَاثَرَكَ اللّٰهُ عَلَيْنَا وَإِن كُنَّا لَخٰطِئِينَ﴾<sup>(3)</sup>

و تحقق حلم و رجاء والدهم بقاء يوسف - عليه السلام- ﴿وَلَمَّا فَصَلَتِ الْعِيرُ قَالَ أَبُوهُمْ إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلَا أَن تَفْنَدُونِ﴾ ﴿١٦﴾ قَالُوا تَاللّٰهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلٰلِكَ

(1) سورة يوسف ، الآيتين ، 21- 22

(2) سورة يوسف ، الآيات ، 54 - 55 - 56

(3) سورة يوسف ، الآية 91

الْقَدِيمِ ﴿٩٥﴾ فَلَمَّا أَنْ جَاءَ الْبَشِيرُ أَلْقَاهُ عَلَىٰ وَجْهِهِ فَارْتَدَّ بَصِيرًا ۗ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ

لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٩٦﴾ (1)

و قال تعالى: ﴿فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَىٰ يُونُسَ أَوَىٰ إِلَيْهِ أَبُوَيْهِ وَقَالَ ادْخُلُوا مِصْرَ إِن شَاءَ

اللَّهُ ءَامِنِينَ ﴿٩٧﴾ وَرَفَعَ أَبُوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا وَقَالَ يَتَأْتِبَ هَذَا تَأْوِيلُ

رُءْيَايَ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاءَ بِكُمْ

مِّنَ الْبَدْوِ مِنْ بَعْدِ أَنْ نَزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي ۗ إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِّمَا يَشَاءُ ۗ إِنَّهُ

هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴿٩٨﴾ (2)

ب - كيد امرأة (العزیز) ليوسف - عليه السلام- بعد فشلها في مرادتها إياه للمواقعة ، و اصطدامها بوجود زوجها أمام الباب أثناء مطاردتها ليوسف ، حيث حاولت تبرئة ساحتها بإلقاء تهمة الاعتداء على (يوسف) مقترحة له عقوبة السجن أو العذاب الأليم.

قال -عز و جل-: ﴿وَأَسْتَبَقَا الْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُ مِنْ دُبُرٍ وَأَلْفَيَا

سَيِّدَهَا لَدَا الْبَابِ ۗ قَالَتْ مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا إِلَّا أَنْ يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ

أَلِيمٌ ﴿٩٩﴾ قَالَ هِيَ رَاوَدْتَنِي عَنْ نَفْسِي ۗ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَا إِنْ كَانَ قَمِيصُهُ

قُدِّمَ مِنْ قَبْلِ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿١٠٠﴾ وَإِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدِّمَ مِنْ دُبُرٍ فَكَذَبَتْ

وَهُوَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿١٠١﴾ فَلَمَّا رَأَىٰ قَمِيصَهُ قُدِّمَ مِنْ دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُ مِنْ كَيْدِكُنَّ ۗ إِنَّ

كَيْدُكُنَّ عَظِيمٌ ﴿١٠٢﴾ (3) و بعد أن انفضح أمرها و انكشف كيدها و مكرها قال

(1) سورة يوسف ، الآية 94-95-96

(2) سورة يوسف ، الآية 99-100

(3) سورة يوسف ، الآية 25-28



زوجها(العزیز) مخاطبا و معاتبا إياها بصيغة جمع المؤنث : ﴿ إِنَّهُ مِنْ

كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ ﴿٧٨﴾ و المقصود بالكيد هنا الاحتيال الخفي المستور الذي يصعب و يتعذر على المرء مقاومته و محاربتة (1) ، كيف لا ؟ و قد كان كيدهن عظيما " إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ " أعظم من كيد الشيطان بدليل قوله تعالى ﴿ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا ﴾ (2) .

و لهذا دعا يوسف - عليه السلام- ربّه أن يصرف عنه كيد النسوة اللاتي راودنه عن نفسه: ﴿ قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْنَّ وَأَكُنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴾ (3) و استجاب الله له دعاءه فنجاه من كيدهن:

﴿ فَاسْتَجَابَ لَهُ رَبُّهُ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ (4) .

و أمّا الكيد الذي أريد به الخير في قصة (يوسف) ، هو كيد يوسف - عليه السلام- لإخوته ، قال تعالى: ﴿ فَلَمَّا جَهَّزَهُمْ بِجَهَّازِهِمْ جَعَلَ السَّقَايَةَ فِي رَحْلِ أَخِيهِ ثُمَّ أَذَّنَ

مُؤَدِّنُ أَيْتِهَا الْعَيْرُ إِنَّكُمْ لَسَّرِقُونَ ﴿٧٩﴾ قَالُوا وَأَقْبَلُوا عَلَيْهِمْ مَاذَا تَفْقَدُونَ ﴿٨٠﴾

قَالُوا نَفَقْدُ صُوعَ الْمَلِكِ وَلِمَنْ جَاءَ بِهِ حِمْلُ بَعِيرٍ وَأَنَا بِهِ زَعِيمٌ ﴿٨١﴾ قَالُوا تَاللَّهِ

لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِي الْأَرْضِ وَمَا كُنَّا سَرِقِينَ ﴿٨٢﴾ قَالُوا فَمَا جَزَاؤُهُ إِنْ

كُنْتُمْ كَاذِبِينَ ﴿٨٣﴾ قَالُوا جَزَاؤُهُ مَنْ وُجِدَ فِي رَحْلِهِ فَهُوَ جَزَاؤُهُ كَذَلِكَ نَجْزِي

الظَّالِمِينَ ﴿٨٤﴾ فَبَدَأَ بِأَوْعِيَّتِهِمْ قَبْلَ وِعَاءِ أَخِيهِ ثُمَّ اسْتَخْرَجَهَا مِنْ وِعَاءِ أَخِيهِ

كَذَلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ نَرْفَعُ

(1) محمد متولي الشعراوي، تفسير الشعراوي، ص 6870

(2) سورة النساء الآية، 76

(3) سورة يوسف ، الآية 33

(4) سورة يوسف ، الآية 34

دَرَجَتٍ مِّنْ نَّشَأٍ<sup>٦٦</sup> وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ<sup>(١)</sup> ﴿٦٦﴾ ، فالمراد من الكيد في قوله

تعالى: ﴿كَذَلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ﴾ هو التدبير المحكم في الخفاء للخير و الذي نفدّه

و طبّقه يوسف - عليه السّلام- بوحى من الله لإبقاء أخيه عنده<sup>(٢)</sup> .

**2- تكرر اللفظان ( راود ) و ( كيل ) سبع مرات لأهمية كلّ منهما في بناء هيكل القصة.**

فلفظ ( راود ) «من راد يرود إذا جاء و ذهب»<sup>(٣)</sup> ، و هو يدلّ على تكرار المحاولة لإدراك أمر معيّن ، و تحقيق الهدف المراد ، و «المرادة مطالبة برفق و لين بستر ما تريد ممن تريد<sup>(٤)</sup>» .

و يظهر فعل المرادة في ( يوسف ) في ثلاثة مواقف:

**الموقف الأول:** يتجلّى في مرادة امرأة (العزیز) ليوسف - عليه السّلام- بغية

الموافقة: ﴿وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِ وَاغْلَقَتِ الْاَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ

لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللّٰهِ اِنَّهُ رَبِّيْ اَحْسَنُ مَثْوَاىِ اِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظّٰلِمُوْنَ ﴿٦٣﴾<sup>(٥)</sup> .

و تحوّلت المرادة هاهنا إلى نقيض ما قاله (الشعراوي) عنها بأنّها تتطلب الرّفق و اللين ، حيث أنّه لما فشلت امرأة (العزیز) في تحقيق رغبتها بالطريقة السلمية غير الصّريحة ، طريقة الإغراءات كالحركات و التّمايلات و الابتسامات ...

وغيرها لجذب يوسف - عليه السّلام- لفعل الفاحشة ، انتقلت إلى الدّعوة الصّريحة

العنيفة قولا و فعلا حيث ﴿اغْلَقَتِ الْاَبْوَابَ و قالت هيت لك﴾ و قدّت قميصه من دبر﴿

ضاربة بذلك عرض الحائط عفة المرأة و حيائها و كبرياءها ناسية أو متناسية

مكانتها و منزلتها الاجتماعية غير مبالية و غير آبهة بأنّها زوجة العزیز

و أنّ من تراوده عن نفسه هو غلامها.

**الموقف الثاني:** يتمثل في مرادة النسوة ليوسف - عليه السّلام- و هو لا يظهر جلياً

و لكن يفهم ضمن السياق من خلال أقوال و تصرفات النسوة عندما رأينه:

﴿...فَأَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَاشَ لِلّٰهِ مَا هَذَا بَشَرًا اِنْ هَذَا اِلَّا مَلَكٌ

(١) سورة يوسف ، الآيات 70-76

(٢) ينظر أحمد نوفل ، سورة يوسف ، دراسة تحليلية ، ص 115

(٣) الزمخشري، الكشاف، ص 310

(٤) الشعراوي ، تفسير الشعراوي، ج 1 ص 6854

(٥) سورة يوسف ، الآية 23

كَرِيمٌ ﴿١٨﴾<sup>(1)</sup> و من خلال دعاء يوسف - عليه السّلام- لربّه بأنّ ينجّيه من كيدهنّ :

﴿قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ

إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ الْجَاهِلِينَ﴾<sup>(2)</sup>.

**الموقف الثالث:** يبرز في مرادة إخوة (يوسف) لو الدهم من أجل اصطحاب أخيهم الصّغير شقيق يوسف- عليه السّلام- معهم إلى قصر العزيز بمصر، و هذا تتفصيلاً و استجابة لشرط و طلب يوسف- عليه السّلام -حتى يكيل لهم.

﴿قَالُوا سَتَرُوا عَنْهُ أَبَاهُ وَإِنَّا لَفَاعِلُونَ﴾<sup>(3)</sup>.

إنّ لفظ (تراود) هاهنا في هذه الآية «يصوّر الجهد الذي يعلمون أنّهم باذلوه<sup>(3)</sup>» و إقرانه بحرف السين الذي يفيد المستقبل القريب يدلّ على تعجيلهم و إسراعهم في عمليّة المرادة أو بمعنى آخر سرعة تنفيذهم لها في القريب العاجل.

**3- تكرار اللفظان (القميص) و (السّجن) ستة مرّات لأهميّة ودور كلّ منهما في القصة أيضاً.**

فأمّا (القميص) فكان له دور فعّال في بناء هيكل القصة و تحريك أحداثها من بدايتها إلى نهايتها ، كونه يعود إلى الشخصيّة المحورية فيها، و هو يوسف -عليه السّلام- و تجلّى دوره في ثلاثة مواقف هي:

**أ - موقف المؤامرة:** حاول إخوة (يوسف) - بعد أن نفّذوا جريمتهم بإلقاء يوسف -عليه السّلام- في الجبّ - أن يجعلوا من القميص دليلاً مادياً لإقناع والدهم تصديق ما يدّعون و يزعمونه بأنّ الذنب أكل يوسف -عليه السّلام- إلاّ أنّه انقلب إلى دليل

اتّهام ضدّهم ، و افتضح جريمتهم ، قال تعالى: ﴿وَجَاءُوا عَلَيَّ قَمِيصَهُ بِدَمٍ كَذِبٍ

قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ

﴿١٨﴾<sup>(4)</sup>

(1) سورة يوسف ، الآية 31

(2) سورة يوسف ، الآية 33

(3) سيد قطب ، في ظلال القرآن ، مج 4 ج 13 ص 2016

(4) سورة يوسف ، الآية 18

وظف السياق القرآني لفظة (كذب) و هي مصدر للمبالغة في وصف الدّم الذي لطّخ به إخوة (يوسف) قميص يوسف - عليه السّلام-،<sup>(1)</sup> بغرض التأكيد على أنّ أمر الدّم كان مفتعلا و مكشوبا و ظاهرا للعيان بأنّه ليس دم يوسف - عليه السّلام- فالوصف بالمصدر - إذن - أقوى من الوصف بغيره من المشتقات الأخرى ، لأنّ فيه مبالغة و تأكيدا و تعظيما و في هذا يقول (الشعراوي) : «يقال للكذاب هو الكذب عينه ، أو تصف شخصا شريرا فتقول هو الشرّ عينه، أي؛ أنّ الشر تجسد فيهِ، و الكذب في القميص يكاد يصرخ و يقول : أنا كذب ، لأنّه ليس بدم (يوسف)<sup>(2)</sup>». يفهم من قول (الشعراوي) أنّ علامات الكذب كانت متجلية و واضحة على القميص كأن يكون إخوة (يوسف) نسوا تمزيق القميص ، أو لم يمزقوه جيّدا أو أن يكونوا «قد أخذوا القميص الخارجي و بقي قميصه الداخلي لاصقا بجسده فلما أن رأى يعقوب القميص الخارجي هو الذي عليه الدّم لم يصدّق أنّ (يوسف) قد أكله الذئب إذ كيف يأكل الذئب يوسف بالكامل و لا يكون تقطيعه لجسده و ملابسه بالكامل؟<sup>(3)</sup>» أو ادعّاهم الكاذب الذي جاء بالحجّة ذاتها التي كان يمانع بسببها أبوه - على السّماح لهم بأخذ أخيهم ، ألا و هي تخوفه من أن يأكله الذئب و هم عنه غافلون . و كأنّهم عجزوا عن إيجاد فكرة أخرى لتبرير جريمتهم غير تلك التي أخذوها جاهزة عن والدهم و هذا أمر - بطبيعة الحال - يستدعي تكذيبهم و الشكّ فيهم !. أو ربّما يكون يعقوب - عليه السّلام- قد ميّز و تبيّن و اكتشف بأنّ الدّم الذي على القميص ليس دما آدميا و إنّما دم حيوان !. فكلّ هذه العلامات أو بعضها أو غيرها جعلت والدهم لا يصدّقهم بل يّتهمهم بضياع يوسف - عليه السّلام- و يفوض أمره إلى الله - سبحانه و تعالى- : ﴿ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْراً فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ

الْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴿١٦﴾ .

**ب - موقف المراودة:** و حضور القميص في هذا الموقف كان دليلا ماديا على براءة يوسف - عليه السّلام- من تهمة الاعتداء الملقاة على عاتقه من طرف امرأة (العزیز) . قال تعالى: ﴿وَأَسْتَبَقَا الْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُ مِنْ دُبُرٍ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَا الْبَابِ

قَالَتْ مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا إِلَّا أَنْ يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٤٠﴾<sup>(4)</sup>.

(1) ينظر الزمخشري، الكشاف، ص307

(2) الشعراوي، تفسير الشعراوي ، ص 6893

(3) محمد علي أبو حمدة، في التذوق الجمالي لسورة يوسف، ص37

(4) سورة يوسف ، الآية 25

لَمَّا فَشَلَّتْ كُلِّ مَحَاوَلَاتِ امْرَأَةِ (العزیز) فِي إِغْرَاءِ يَوْسُفَ - عَلَيْهِ السَّلَامُ- عَلَى الْمَوَاقِعَةِ حَيْثُ اعْتَصَمَ وَ امْتَنَعَ مِنْهَا أَرَادَتْ إِرْغَامَهُ وَ إِجْبَارَهُ عَلَى ذَلِكَ فَفَرَّ هَارِبًا بِاتِّجَاهِ الْبَابِ يَرِيدُ الْخُرُوجَ ، وَ رَكَضَتْ وَرَاءَهُ وَ قَدَّتْ قَمِيصَهُ مِنْ دُبُرٍ ، وَ فِي هَذِهِ اللَّحْظَاتِ وَجَدَا (العزیز) أَمَامَ الْبَابِ فَرَاخَتْ مَبَاشِرَةً تَتَّهَمُ (يوسف) بِالْبَاطِلِ بِالْاِعْتِدَاءِ عَلَيْهَا ، وَ تَقْتَرِحُ عَلَى زَوْجِهَا الْعِقَابَ الْمُنَاسِبَ لَهُ ، وَ رَاحَ يَوْسُفَ - عَلَيْهِ السَّلَامُ- يَدْفَعُ عَنِ نَفْسِهِ هَذِهِ التَّهْمَةَ الْبَاطِلَةَ الظَّالِمَةَ ، ثُمَّ يَتَدَخَّلُ الشَّاهِدَ لِيُفَصِّلَ بَيْنَهُمَا : ﴿ قَالَ

هِيَ رَاوَدَتْنِي عَنْ نَفْسِي ۖ وَ شَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَا إِن كَانَ قَمِيصُهُ قُدِّمَ مِن قَبْلِ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ الْكَذِبِينَ ﴿٣٨﴾ وَ إِن كَانَ قَمِيصُهُ قُدِّمَ مِن دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ

الصَّادِقِينَ ﴿٣٩﴾ ۖ وَ بَعْدَ هَذَا الِاسْتِدْلَالِ ظَهَرَ لِلْعَزِيزِ أَنَّ الْقَمِيصَ مَمْرُوقٌ

مِنَ الْخَلْفِ فَأَدْرَكَ بِأَنَّ زَوْجَتَهُ هِيَ الْكَاذِبَةُ وَ الْمَتَوَرِّطَةُ فِي هَذَا الْجَرْمِ ، وَ أَنَّ (يوسف) بَرِيءٌ مِنْهُ ، فَطَلَبَ مِنْ يَوْسُفَ - عَلَيْهِ السَّلَامُ- بِأَن يَتَجَنَّبَ الْحَدِيثَ فِي هَذَا الْأَمْرِ وَ لَا يُولِيَهُ أَهْمِيَّةً ، وَ أَن يَحَاوِلَ نَسْيَانَهُ وَ خَاطَبَ زَوْجَتَهُ بِضَمِيرِ الْجَمْعِ الْمُؤَنَّثِ مَعَاتِبًا إِيَّاهَا طَالِبًا مِنْهَا الِاسْتِغْفَارَ لَذَنْبِهَا ، قَالَ تَعَالَى: ﴿ فَلَمَّا رَأَى قَمِيصَهُ قُدِّمَ مِن دُبُرٍ قَالَ

إِنَّهُ مِن كَيْدِكُنَّ ۖ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ ﴿٣٨﴾ يَوْسُفُ أَعْرَضَ عَن هَذَا ۖ وَاسْتَغْفِرُ لِدُنْبِكَ إِنَّكَ أَنْتَ مِنَ الْخَاطِئِينَ ﴿٣٩﴾ .

إِنَّ تَكَرُّرَ لَفْظَةِ الْقَمِيصِ أَرْبَعٌ مَرَّاتٍ فِي هَذِهِ الْآيَاتِ لِدَلِيلٍ عَلَى أَهْمِيَّتِهِ فِي سِيَاقِ هَذَا الْمَوْقِفِ. إِذْ خَرَجَ مِنْ هَذِهِ الْمَعْرَكَةِ - مَعْرَكَةِ الْمَرَاوِدَةِ وَ الْاِتِّهَامِ الْمَتَبَادِلِ وَ الصَّرَاحِ بَيْنَ الْحَقِّ وَ الْبَاطِلِ - مُنْتَصِرًا لِلْحَقِّ هَاذِمًا الْبَاطِلَ (3) ، حَيْثُ كَانَ دَلِيلَ بَرَاءَةِ يَوْسُفَ - عَلَيْهِ السَّلَامُ- .

**ج - مَوْقِفُ الْبَشَرِي:** لَقَدْ عَانَى يَعْقُوبَ - عَلَيْهِ السَّلَامُ- مَرَارَةَ الْأَحْزَانِ وَ الْآلَامِ نَتِيجَةَ اِفْتِقَادِهِ لِيَوْسُفَ - عَلَيْهِ السَّلَامُ- ، كَلَّفَهُ فَقْدَانُ بَصْرِهِ ، إِلَّا أَنَّهُ لَمْ يَبْأَسْ مِنْ رُؤْيَا (يوسف) مَرَّةً أُخْرَى بَلْ ظَلَّ رَجَاؤُهُ وَ أَمَلُهُ فِي اللِّقَاءِ بِهِ قَائِمًا وَ يَنْتَظِرُ اللَّحْظَةَ الَّتِي يَحَقِّقُ فِيهَا اللَّهُ - سُبْحَانَهُ وَ تَعَالَى- ، ذَلِكَ بِدَلِيلِ قَوْلِهِ لَمَّا بَلَغَهُ نَبَأُ احْتِجَازِ ابْنِهِ الصَّغِيرِ

(1) سورة يوسف ، الآية ، 25-26

(2) سورة يوسف ، الآية 28-29

(3) ينظر محمد علي أبو حمدة، في التذوق الجمالي لسورة يوسف ، مرجع سابق، ص 38-39

لدى (عزيز) مصر بتهمة السرقة: ﴿قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ<sup>ط</sup> عَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴿٨٧﴾ وَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَأْسَفِي عَلَى يَوْسُفَ وَأَبْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزَنِ فَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٨٨﴾ قَالُوا تَاللَّهِ تَفْتَأُ تَذْكُرُ يَوْسُفَ حَتَّى تَكُونَ حَرَضًا أَوْ تَكُونَ مِنَ الْهَالِكِينَ ﴿٨٩﴾ قَالَ إِنَّمَا أَشْكُوا بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٩٠﴾ يَبْنِي أَذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِنْ يَوْسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَأْيَسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَأْيَسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ ﴿٩١﴾﴾<sup>(1)</sup>

و فعلا حقق الله أمله في اللقاء بابنه بعد طول سنوات الفراق و الأحزان و الهموم ، و الصبر على الابتلاء ، فبعد أن كشف يوسف - عليه السلام- لإخوته عن نفسه و عاتبهم على صنيعهم ضدّ أخيه، و اعترفوا بخطئهم أمامه، و عفا عنهم و دعا لهم بالمغفرة طلب منهم أخذ قميصه و إلقائه على وجه أبيه ليعود بصيرا، و على أن يأتوه بأهلهم جميعا: ﴿أَذْهَبُوا بِقَمِيصِي هَذَا فَالْقُوهُ عَلَى وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيرًا وَأْتُونِي

بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٢﴾ وَلَمَّا فَصَلَتِ الْعِيرُ قَالَ أَبُوهُمْ إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يَوْسُفَ<sup>ط</sup> لَوْلَا أَنْ تُفَنِّدُونِ ﴿٩٣﴾ قَالُوا تَاللَّهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلَالِكَ الْقَدِيمِ ﴿٩٤﴾ فَلَمَّا أَنْ جَاءَ الْبَشِيرُ أَلْقَنَهُ عَلَى وَجْهِهِ فَارْتَدَّ بَصِيرًا<sup>ط</sup> قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٩٥﴾﴾<sup>(2)</sup>

يقول (سيد قطب): «كيف عرف يوسف أن رائحته ستردّ على أبيه بصره الكليل؟ ذلك ممّا علّمه الله، و المفاجأة تصنع في كثير من الحالات فعل الخارقة.. و ما لها لا تكون خارقة و (يوسف) نبيّ رسول و (يعقوب) نبيّ و رسول؟<sup>(3)</sup>».

(1) سورة يوسف، الآية 83-87

(2) سورة يوسف، الآية 93-96

(3) سيد قطب ، في ظلال القرآن ، مج 4 ج 13 ص 2027

و كيف اشتتم يعقوب رائحة ابنه يوسف- عليهما السّلام- من هذه المسافة البعيدة  
 ﴿وَلَمَّا فَصَلَتِ الْعِيرُ قَالَ أَبُوهُمْ إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلَا أَن تَفَنِّدُونَ ﴿٤٤﴾﴾ إيتها  
 معجزة أو نعمة الله - سبحانه و تعالى- مستعجلة لجعل نبيّه يعقوب - عليه السّلام-  
 يستعدّ و يتهيأ للبشرى و الفرحة الكبرى بقاء ابنه يوسف - عليه السّلام- بعد كل  
 هذه السنوات الطوال و تتمّ و تكتمل البشرى بمجيء البشير و إلقائه قميص  
 (يوسف) على وجه أبيه فيعود إليه بصره.  
 فما علاقة القميص بعودة البصر؟ لاشكّ أنّ يعقوب - عليه السّلام- اشتتم رائحة  
 (يوسف) في القميص وأدرك أنّ يوسف - عليه السّلام- مازال حيّاً يرزق و غمرته  
 فرحة شديدة أعادت إليه بصره.  
 إنّ أسباب إصابة يعقوب - عليه السّلام- بالعمى لم تكن عضويّة و إنّما كانت نفسيّة ،  
 تمثلت في شدّة الأحزان و الهموم جرّاء فقدّه ليوسف - عليه السّلام- ثم أخيه فيما بعد ،  
 و لهذا كان علاجه من مرضه نفسيّاً أيضاً تمثل في الفرح الشديد ، فكان القميص  
 - إذن - دليلاً مادياً على أنّ (يوسف) ما زال حيّاً و سبباً في شفاء (يعقوب) من مرضه  
 «إِنَّهَا آيَةٌ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ أَجْرَاهَا ... بَيْنَ يَدَيْ نَبِيِّنَ كَرِيمِينَ يَعْقُوبَ وَ يُوسُفَ - عَلَيْهِمَا  
 السَّلَامُ- وَ أَنَّ ذَلِكَ لَمْ يَكُنْ أَمْرًا مُعْجَزًا..و أنّه جاء على سنن الطّبيعة، و مألوف الحياة،  
 وأنّ الذي ذهب ببصر يعقوب هو شدّة الحزن و أنّ الذي يعيد له بصره الذاهب هو  
 شدّة الفرح(1)».

و نظراً لأهميّة القميص البالغة في قصة يوسف - عليه السّلام- حيث تكرر عدّة مرّات  
 و أدّى أدواراً أساسيّة ، و شكّل أدلّة مادّيّة كانت كلّها في صالح يوسف و يعقوب  
 -عليهما السّلام- حتّى نعت بعض العلماء قصة يوسف - عليه السّلام- بقصة  
 القميص(2).

و أمّا لفظة (السّجن) فنكررت لأسباب هي كالآتي:

أ- السّجن هو العقاب الذي اقترحتّه امرأة (العزیز) على زوجها ضدّ يوسف - عليه  
 السّلام- لمّا امتنع عنها و استعصم، و فاجأها (العزیز) أمام الباب، ﴿...قَالَتْ مَا جَزَاءُ

مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا إِلَّا أَنْ يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٥٥﴾﴾(3)

ب- هو المكان الذي فضّله يوسف - عليه السّلام- على ارتكاب الفاحشة إثر مرادة  
 امرأة (العزیز) ، و النسوة له، و هو يتضرّع و يناجي ربّه كي ينجّيه منهن ،

(1) عبد الكريم الخطيب، القصص القرآني في مفهومه و منطوقه ، ص484

(2) ينظر الشعراوي، تفسير الشعراوي، ص6888

(3) سورة يوسف ، الآية 25



و يصرف عنه كيدهن: ﴿قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ الْجَاهِلِينَ ﴿١﴾﴾.

ج - هو المكان الذي ابتلى به يوسف - عليه السلام- بعد أن تجلّت لهم أدلة براءته و أمارات طهارته و عفاfe ﴿ثُمَّ بَدَأَ لَهُمْ مِّنْ بَعْدِ مَا رَأَوُا الْآيَاتِ لَيْسَجْنُهُ حَتَّى

حِينَ ﴿٢﴾﴾

د - هو المكان الذي دعا فيه السّجينين إلى توحيد الله و عبادته و تنزيهه عن الشرك: ﴿يُنصَحِي السِّجْنَءَ رَبَّابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴿٣﴾ مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءَ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَءَابَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ إِنْ أَحْكَمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤﴾﴾.

هـ - و هو المكان الذي أبى أن يخرج منه حتى يثبت براءته مرّة أخرى للملك و من طرفه ، أي على يد الملك و تظهر الحقيقة جليّة أمامه و أمام الجميع ، فيخرج منه مرفوع الرأس محترماً : ﴿وَقَالَ الْمَلِكُ أَتُؤْنِنِي بِهِ فَلَمَّا جَاءَهُ الرَّسُولُ قَالَ أَرْجِعْ

إِلَى رَبِّكَ فَسْأَلُهُ مَا بِالْأُنثَى الَّتِي قَطَّعَ أَيْدِيَهُنَّ إِنَّ رَبِّي بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ ﴿٤﴾﴾ .

و لما أجرى الملك تحقيقاً مع النسوة و شهدن بحسن خلق يوسف - عليه السلام- و طهارته و عقته اعترفت امرأة (العزیز) بالحقيقة كاملة، بأنّها هي الظالمة و المتورّطة في مراودة (يوسف) عن نفسه و أنّه بريء من هذه التهمة و صادق في اتهامه لها و تبرئة نفسه: ﴿قَالَ مَا خَطْبُكُنَّ إِذْ رَاوَدْتَنِّي يُوسُفَ عَن نَّفْسِهِ قُلْ

(1) سورة يوسف ، الآية 33

(2) سورة يوسف ، الآية 35

(3) سورة يوسف، الآية 39-40

(4) سورة يوسف ، الآية 50



حَسَّ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِنْ سُوءٍ ۚ قَالَتِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ الْأَعْنَنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ أَنَا رَاوِدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ ﴿١﴾

فلما ظهرت براءة يوسف - عليه السلام - و أدرك الحقيقة أرسل في طلب (يوسف) ليقرّبه منه ليصبح عزيز مصر، و ينتقل من موضع الإذلال و الانكسار (السجن) إلى موضع الجاه و السلطان (السلطة، الحكم) : ﴿ وَقَالَ أَلَمَلِكُ أَلْتَوْنِي بِهِ أَمْ أَتَّخِذُ لِنَفْسِي ۖ فَلَمَّا كَلَّمَهُ قَالَ إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ ﴿٥٥﴾ قَالَ أَجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ ﴿٥٦﴾ ﴾ (2)

و - و تكررت عبارة (يا صاحبي السجن) (3) في موضعين :

الأول منهما: ذكره يوسف حين عدل عن جوابهما إلى دعائهما إلى الإيمان.

الثاني: حين دعيه إلى تعبير الرؤيا لهما ، تنبيها على أن الكلام الأول قد تم (4).

- تكرار عبارة (و إنا له لحافظون) : كرر إخوة (يوسف) هذه العبارة

في موقفين متباعدين ، و إن كانا متشابهين و هما:

أ - موقف استمالتهم لأبيهم حتى يسمح لهم بأن يأخذوا يوسف ( أرسله معننا

غداً يترتع ويلعب وإننا له لحافظون) (5).

ب- ﴿ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ

هَؤُلَاءِ شَفَعْتُنَا عِنْدَ اللَّهِ ۚ قُلْ أَتُنَبِّئُونَ اللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا

فِي الْأَرْضِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١٨﴾ - و الموقف الآخر هو موقف

استمالتهم له حتى يأخذوا أخا (يوسف) ﴿ فَلَمَّا رَجَعُوا إِلَى أَبِيهِمْ قَالُوا يَا أَبَانَا مُنِعَ مِنَّا

(1) سورة يوسف ، الآية 51

(2) سورة يوسف، الآية ، 54-55

(3) سورة يوسف ، الأيتان ، 39-40

(4) محمود بن حمزة الكرمانى، أسرار التكرار في القرآن ، المسمى : البرهان في توجيه القرآن لما فيه من الحجة و البيان ، ص 149

(5) سورة يوسف، الآية 12

الْكَيْلُ فَأَرْسِلْ مَعَنَا آخَانًا نَكْتَلُ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴿٦٣﴾<sup>(1)</sup>

و دلالة هذا التكرار استبطان الحالة النفسية ليعقوب - عليه السلام- و هو يستمع لنفس الادعاء الذي سمعه منذ سنوات وقت ضياع (يوسف) ، هو نفس الادعاء بنفس الألفاظ، و كأن لسان حاله يقول و هو يستمع إلى دعواهم بحفظ أخ (يوسف): «مازلتم كذبة ، كيف أنق بكم؟!»<sup>(2)</sup>.

- تكرر القول ﴿ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَنِي

بِهِمْ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴾ ﴿٦٤﴾ على لسان يعقوب - عليه السلام- « في موضعين ليس بالتكرار ، لأنه ذكر الأول حين نعى إليه (يوسف) و الثاني لما رفع إليه ما جرى على بنيامين»<sup>(3)</sup> و عبارة (معاذ الله) تكررت مرتين في سورة (يوسف) على لسان يوسف - عليه السلام- :

فالأولى: ﴿ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ

الظالمون ﴾ ﴿٦٥﴾<sup>(4)</sup>

و الثانية: ﴿ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ أَنْ نَأْخُذَ إِلَّا مَنْ وَجَدْنَا مَتَّعْنَا عِنْدَهُ إِذَا

لَظَلِمُونَ ﴾ ﴿٦٦﴾<sup>(5)</sup> الاعتصام بالله عن الظلم و فعل الحرام<sup>(6)</sup>

و يرى (الكرماني) أن ورودها في هاتين الآتين ليست تكرارا لأن الأولى قالها يوسف - عليه السلام- رداً على امرأة (العزیز) حين دعته إلى المواقعة ، و الثانية حين دعوه إخوته إلى تغيير حكم السرقة ؛ بأن يأخذ أحدهم بدل أخي (بنيامين).

- عبارة (حاش لله) ذكرت مرتين في سورة (يوسف) على لسان النسوة:

(1) سورة يوسف، الآية 63

(2) أحمد جمال الدين، لغة الحوار في سورة يوسف ، دراسة أسلوبية ص10

(3) الكرماني ، أسرار التكرار في القرآن ، ص148

(4) سورة يوسف، الآية 23

(5) سورة يوسف، الآية 79

(6) ينظر ابن عاشور، تفسير التحرير و التنوير، ج12، ص251 و ج13 ص37

**فالأولى:** عندما انبهرن بجم — ال يوسف - عليه السلام: ﴿ فَأَمَّا

رَأْيَنَهُرَ أَكْبَرْنَهُرَ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ

كَرِيمٌ ﴿٣١﴾ (1)

**و الثانية:** كانت جوابهن عن سؤال الملك: ﴿ قَالَ مَا حَطَبُكُنَّ إِذْ رَاوَدْتُنَّ

يُوسُفَ عَن نَّفْسِهِ قُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِنْ سُوءٍ ﴾ (2)

و يراد بهما :إبطال شيء عن شيء و براءته منه .. و فيها مبالغة في النفي و التنزيه. « (3)

و يرى (الكرماني) أيضا بأن ورود العبارة في هذين الموضعين ليس بتكرار لأن :  
الأولى :قالتها النسوة في حضرة يوسف -عليه السلام- حين نفيين البشرية .  
الثانية: بظهر الغيب حين نفيين عنه السوء (4).

عبارة (إنا نراك من المحسنين) تكررت مرتين في سورة (يوسف):

المرة الأولى: كانت من وصف صاحبي السجن ليوسف - عليه السلام- لما

طلبا منه تأويل رؤياهما، قال تعالى: ﴿وَدَخَلَ مَعَهُ السِّجْنَ فَتَيَانٍ قَالَ أَحَدُهُمَا إِنِّي

أَرْنِي أَعَصِرُ خَمْراً وَقَالَ الْآخَرُ إِنِّي أَرْنِي أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِي خُبْزًا تَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْهُ

نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٣٦﴾ (5)

المرة الثانية :من نعت إخوة (يوسف) ليوسف - عليه السلام - بغية استعطافه

ليأخذ أحدهم بدل أخيهم الصغير : ﴿قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ إِنَّ لَهُ أَبًا شَيْخًا كَبِيرًا فَخُذْ

أَحَدَنَا مَكَانَهُ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٧٨﴾ (6).

(1) سورة يوسف ، الآية 31

(2) سورة يوسف ، الآية 51

(3) ينظر ابن عاشور ، تفسير التحرر و التتوير ج 12 ص 263 و ص 290

(4) ينظر الكرماني : أسرار التكرار في القرآن ، ص 148

(5) سورة يوسف، الآية 36

(6) سورة يوسف، الآية 78

و دلالة هذه العبارة و وظيفتها اللغوية في كلا القولين هي المدح و الإطراء بغرض التأثير في نفسية المتلقي و إقناعه؛ حيث يجعله هذا الوصف يلين و يطيب و يرضى فيستجيب لطلبهم.

و لا يعتبر **(الكرماني)** ذكرها في هذين الموضوعين تكرارا « لأنّ الأوّل من كلام صاحبي السّجن ليوسف - عليه السّلام- و الثاني من كلام إخوة(يوسف) ليوسف - عليه السّلام- (1)».

إذن رفض **(الكرماني)** تكرارها لاختلاف مصدرها أو مرسلها ، رغم أنّ لها نفس اللفظ و نفس الدلالة و نفس المتلقي.

- عبارة **(إنّ الحكم إلاّ الله) : تكرّرت مرتّين في سورة(يوسف) :**

الأولى : جاءت على لسان يوسف - عليه السّلام- في دعوته السّجينين إلى الله ﴿<sup>(2)</sup>﴾.

و الثانية : على لسان يعقوب - عليه السّلام- في أثناء نصحه لأبنائه بعدم الدّخول من باب واحد عندما يدخلون إلى القصر خوفا عليهم من العين و الحسد أو شرّ يمكن أن يلحقهم : ﴿وَقَالَ يَبْنَى لَّا تَدْخُلُوا مِنْ بَابٍ وَاحِدٍ وَادْخُلُوا مِنْ أَبْوَابٍ مُتَفَرِّقَةٍ وَمَا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ إِنَّ الْحُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ

الْمُتَوَكِّلُونَ﴾<sup>(3)</sup>.

و توحى العبارة **(إنّ الحكم إلاّ الله)** بقوة إيمان يوسف و يعقوب -عليهما السّلام- بالله -عزّ و جلّ- ، و الإقرار بالوحدانية و الحاكمية و الملك و القدرة و تفويض الأمر إليه - سبحانه و تعالى-.

و قياسا على رأي **(الكرماني)** فإنّ تكرار هذه العبارة ليس تكرارا لأنّها لم تصدر عن نفس الشخص.

- شبه التكرار : بين العبارتين ﴿إنّ كنا لخاطنين﴾ و ﴿إنا كنا خاطين﴾ ، و دلالة الفرق بينهما تتضح في التوكيد بـ (إنّ) المخففة ، و (إنّ) الثقيلة.

فأمّا العبارة الأولى : فوردت على لسان إخوة يوسف أمام أخيهم يوسف العزيز

(1) الكرماني ، المصدر نفسه ص 149

(2) سورة يوسف، الآية 40

(3) سورة يوسف ، الآية 67

-عليه السلام-، ﴿قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ ءَاثَرَكَ اللَّهُ عَلَيْنَا وَإِنْ كُنَّا لَخَطِئِينَ﴾<sup>(1)</sup>.

و رغم أنهم يخاطبون فيها من أساءوا إليه مباشرة ، يوسف -عليه السلام -إلا أنهم خففوا التوكيد بـ (إن) بدل (أن) نظرا لما رأوه من أن الله قد أنعم عليه و عوضه خيرا فصار عزيز مصر بسببهم ، و أصبحوا يمدون أيديهم إليه مستعطفين متذللين لكي يكتالوا كما منعهم كبرياؤهم باعتبار أن (يوسف) أصغر منهم سناً.

و أما الثانية: فوردت على لسانهم أمام أبيهم ﴿قَالُوا يَا أَبَانَا اسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا إِنَّا كُنَّا

خَطِئِينَ﴾<sup>(2)</sup> الذي أساءوا إليه بحرمانه من ولده و حرقة قلبه و ذهاب نور عينيه

و هو شيخ طاعن في السنّ تؤثر في النفوس حاله و يمزق القلوب مرآه؛ و لهذا لانت قلوبهم و اعترفوا أمامه اعترافا صريحا مؤكدا بـ (إن) الثقيلة لا كبرياء فيه<sup>(3)</sup> . و بالإضافة إلى إحساسهم بالندم على خطئهم ، شعروا بالخجل من أبيهم الذي كانوا يغضون له في القول كلما ذكر اسم (يوسف) أمامهم ، أو تأسف لفراقه أو انتابه شعور بالأمل في لقائه ، و هو متجمل بالصبر لا ينقطع رجاؤه في الله بأن يجمع بينه و بين يوسف و أخيه ، و فعلا حقق الله له رجاءه و نصره على كيدهم و شرهم. و لهذا كله أكدوا على خطئهم بـ ( إن) الثقيلة ، ندما و أسفا على أفعالهم ، و طمعا في صفح والدهم عنهم.

### ج-أسلوب الاستفهام:

يعتبر الاستفهام من بين الأساليب البلاغية الإنشائية ذات الأهمية البالغة في عمليتي الحوار والإقناع، إذ لا يمكن للمرسل أو القائم بالاتصال بأيّ حال من الأحوال الاستغناء عنه باعتباره أداة ووسيلة أساسية في العملية التواصلية والحوارية .

فهو يعتبر وقودا للحوار، وبه تتسع رقعة بين الطرفين المتحاورين، أو الأطراف المتحاوره، وكلما زادت رقعة الحوار اتساعا، زاد اتسعت مساحة الحجاج، وارتفعت نسبة الإقناع فيها .

ولعلّ الاستفهام في سورة (يوسف) كان حاضرا بنوعيه الحقيقي وغير الحقيقي فأما الحقيقي فهو ما كان بغرض الاستفسار فقط ، أي طلب الفهم أو العلم بالشيء

(1) سورة يوسف، الآية 91

(2) سورة يوسف، الآية 97

(3) ينظر جمال الدين : لغة الحوار في سورة يوسف ، دراسة أسلوبية، ص 10-11

لقوله تعالى على لسان الملك : ﴿ أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ

تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٥١﴾ (1)

فالاستفهام هنا في قوله: ﴿ ما خطبكن ؟ ﴾ حقيقي غرضه الاستفسار وطلب فهم ومعرفة تفاصيل القضية المتمثلة في حادثة المراودة. وكقوله تعالى أيضا على لسان إخوة(يوسف) إثر اتّهامهم بالسرقة : ﴿ قَالُوا وَقَبِلُوا عَلَيْهِمْ مَاذَا تَفْقَدُونَ ﴾ (2)

ففي قولهم : ﴿ مَاذَا تَفْقَدُونَ ﴾ ؟ استفهام حقيقي أريد به الاستفسار

عن الشيء المفقود أو المسروق.

وأما غير الحقيقي على (3) اختلاف أغراضه هو الأهم في دراستي كونه يشكل بيت القصيد في بناء العملية الحوارية الإقناعية ، وهذا ما سأحاول الخوض فيه بالشرح والتحليل والاستدلال قصد إثباته وتوضيحه.

### ج-1- استفهام إخوة يوسف لوادهم:

قال الله - سبحانه تعالى- : ﴿ يَا أَبَانَا قَالُوا مَا لَكَ لَا تَأْمَنَّا عَلَى يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُ

لَنَصِحُونَ ﴿٥١﴾ (4) فصيغة السؤال ﴿ مَا لَكَ لَا تَأْمَنَّا عَلَى يُوسُفَ ﴾ ؟ إنما تدلّ

على تكرار وتعدّد محاولاتهم الرامية إلى أخذ أخيهم معهم ، وتنفيذ مؤامرتهم ضده ، والتي يبدو أنها قد باءت كلها بالفشل نتيجة رفض يعقوب - عليه السلام - لطلبهم ، ولكنهم لم يتوانوا عن تنفيذ خطّتهم فظلّوا حريصين على ذلك بإلحاحهم على والدم وتوكيداتهم له بحفظ أخيهم ورعايته ﴿ وَإِنَّا لَهُ لَنَصِحُونَ ﴾ و﴿ إِنَّا لَهُ لِحَافِظُونَ ﴾ قصد التأثير عليه ليتراجع عن رأيه المتمثل في الامتناع ، وإقناعه بفكرتهم وطلبهم . وقولهم : ﴿ يَا أَبَانَا ﴾ « بهذا اللفظ الموحى المذكّر بما بينه وبينهم من أسرة » (5)

(1) سورة يوسف الآية 51

(2) سورة يوسف الآية: 71

(3) ينظر : الفصل الثاني من هذه الرسالة " الإقناع إستراتيجية وأساليبه

(4) سورة يوسف الآية 11

(5) سيد قطب : في ظلال القرآن مج 4 ، ج 12 ، ط 15 ، ص 1974

له تأثير نفسي وسلوكي على شخصيّة والدهم ، فنداؤهم له بصيغة الجماعة فيه نوع من الاستمالة العاطفيّة من خلال دغدغة مشاعر الأبوة لديه قبل توجيه السّؤال ﴿مالك لا تأمنا على يوسف﴾؟

« سؤال فيه عتب وفيه استنكار خفيّ ، وفيه استجاشة لنفي مدلوله من أبيهم ، والتّسليم لهم بعكسه وهو تسليمهم(يوسف) ، فهو كان يستبقي(يوسف) معه ولا يرسله مع إخوته إلى المراعي والجهات الخلوية التي يرتادونها لأثّه يحبّه ويخشى عليه ألاّ يحتمل الجوّ والجهد الذي يحتملونه وهم كبار ، لا لأثّه لا يأمنهم عليه ، فمبادرتهم له بأنّـه لا يأتمنهم على أخيهم وهو أبوهم ، مقصود بها استجاشته لنفي هذا الخاطر ، ومن ثمّ يفقد إصراره على احتجاز يوسف ، فهي مبادرة ماكرة منهم خبيثة !» (1)

و« صيغة السّؤال تشي بما يمكن أن يبيّنوه ، وهي ظاهرة تتحدّث عن نفسها في سياق آخر ، سياق المنافقين الذين كانوا يأتون إلى رسوله - صلى الله عليه وسلم - ويشهدون الله على ما في قلوبهم وهم كاذبون « (2) ، قال تعالى : ﴿ إِذَا جَاءَكَ

الْمُنْفِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ

الْمُنْفِقِينَ لَكَذِبُونَ ﴿١﴾ (3)

يقول (ابن عاشور) : « ولعلّ يعقوب - عليه السّلام - كان لا يأذن ليوسف - عليه السّلام - بالخروج مع إخوته للرّعي أو للسّيّاق خوفاً عليه من أن يصيبه سوء من كيدهم أو من غيرهم ، ولم يكن يصرّح لهم بأنّه لا يأمنهم عليه ولكنّ حاله في منعه من الخروج كحال من لا يأمنهم عليه فأنزلوه منزلة من لا يأمنهم ، وأتوا بالاستفهام المستعمل في الإنكار على نفي الائتمان « (4)

إذا فالغرض من استعمال الاستفهام هو الإنكار على نفي الائتمان للائتمان ، أي: أنّ الغاية من توظيف إخوة (يوسف) لهذا الاستفهام (...)-والذي غرضه عتاب أبيهم ، واستنكار عدم وثوقه بهم ، وعدم ائتمانهم على يوسف - هي التأثير على أبيهم ليتراجع عن فكرة امتناعه بترك (يوسف) يذهب برفقتهم ، فكان النّداء يلفظ ﴿يا أبانا﴾ والاستفهام الإنكاري ، والجملة الاعتراضية المؤكّدة ﴿إنّ له

(1) سيد قطب المصدر نفسه الصفحة نفسها

(2) أبو حمدة محمد علي : في التذوق الجمالي لسورة يوسف مرجع سابق ص 64

(3) سورة المنافقون الآية 01

(4) ابن عاشور محمد الطاهر : " تفسير التحرير والتنوير " ص 227

لناصحون ﴿ بمثابة مقدّمة تأثيرية إقناعية لتحقيق الردّ الايجابي عن طلبهم المتمثل في قولهم: ﴿ أَرْسَلُهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَع وَيَلْعَبُ وَإِنَّا لَهُ لَحَفِظُونَ ﴾ (1) ﴿

### ج-2- استفهام امرأة العزيز لزوجها:

وقال- سبحانه وتعالى -: ﴿ وَأَسْتَبَقَا الْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُ مِنْ دُبُرٍ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَا

الْبَابِ قَالَتْ مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا إِلَّا أَنْ يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ (2) ﴿

على اثر مرادة زوجة العزيز ليوسف -عليه السلام- و امتناعه عنها و فرّ جريا نحو الباب قاصدا الفرار و الهروب من هذه المحنة الخطيرة و المأزق الكبير المتمثل في إغواء و إغراء المرأة للرجل بجمالها و جسدها و إثارته جنسياً لممارسة الفاحشة و تعقبها له محاولة منعه ، تتفاجأ بزوجها أمام الباب ، فتبادره بقولها ما ﴿: جَزَاءُ مَنْ

أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا إِلَّا أَنْ يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ ﴿ قبل أن يسألها هو دفعاً

أو درءاً للثمة و الشبهة و الشكّ . و لكنّها امرأة تعشق فهي تخشى عليه ، فتشير

بالعقاب المأمون ﴿ إِلَّا أَنْ يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ (3) ﴿ فالعقاب بالسّجن

أو الضرب لا يودي بحياة (يوسف)، فهي إنّما تريد باقتراحها هذا العقاب أن تبعد شكّ زوجها فيها ، و أن تقنعه ببراءتها ، و عقبتها و طهارتها و إخلاصها في حبّها له، هذا من جهة ، و من جهة أخرى تريد أن تردع (يوسف) حتى يقبل بحبّها و يستجيب لرغبتها.

(1) سورة يوسف الآية 12

(2) سورة يوسف الآية 25

(3) سيد قطب، في ظلال القرآن مج4، ج12 ص1982



لو أرادت أن تدفع الشبهة و تبرئ نفسها أمام زوجها فقط، لاكتفت في اتهامها ليوسف بالاستفهام ﴿ مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا ﴾ ؟ دون أن تقترح أو تشير إلى نوع العقوبة.

و يكون هذا الغرض من هذا الاستفهام حينئذ الاستفسار، أي طلب معرفة العقوبة التي يحددها زوجها.

و لكن لما أشارت إلى زوجها بنوع العقوبة خرج استفهامها إلى غرض **التقرير** و **التنبيه**، أي : تقرير نوع العقوبة و تنبيه زوجها عليها. فيكون المعنى المتضمن في استفهامها على هذا النحو : ﴿ مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا إِلَّا أَنْ يُسَجَّنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾.

يقول (ابن عاشور): « و ابتدئته بالكلام إمعانا في البهتان بحيث لم تتلعثم ، تخيل له أنها على حق، وأفرغت الكلام في قالب كلي ليأخذ صيغة القانون، و ليكون قاعدة لا يعرف المقصود منها فلا يسع المخاطب الإقرار لها، و لعلها كانت تخشى أن تكون محبة العزيز ليوسف - عليه السلام - مانعة له من عقابه فأفرغت له كلامها في قالب كلي ، و كانت تريد بذلك أن لا يشعر زوجها بأنها تهوى غير سيدها و أن تخيف (يوسف) من كيدها لئلا يمتنع منها مرة أخرى (1)»

يفهم من قول (ابن عاشور) أن زوجة (العزيز) كانت سبّاقة في اتهام يوسف - عليه السلام- زورا و بهتانا و بطلانا دون تلعثم حتى تبرئ ساحتها ، و تثبت التهمة عليه ، كما أنها لم تخصصه في اتهامها له، أي لم تذكر اسمه إنما استعملت الاسم الموصول العام (2) أو المشترك (من) حتى يأخذ الحكم طابع الكليّة و الشموليّة و حدّدت نوع

العقوبة و الجزاء. ﴿ مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا إِلَّا أَنْ يُسَجَّنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾

أي: أنه أي إنسان مهما كان يتجرأ على زوجتك أو يتعرض لها بسوء لا بد أن يكون جزاءه السجن أو العذاب الأليم. و بهذا أخذ الكلام صبغة قانونية و قاعدة تضليلية تجعل المتلقي يقتنع به و لا يراوده فيه الشك.

إذ أنّ اتهام (زليخة) ليوسف في الإطار العام و الشامل باستعمال الاسم الموصول العام (من)، و تحديدها للجزاء أو العقوبة التي يستحقها ، محاولة منها لإقناع زوجها بصدقها و براءتها و إثبات التهمة على يوسف - عليه السلام- ، كما أنها

(1) محمد طاهر بن عاشور: تفسير التحرير و التنوير، ج 12 ص 256.  
(2) و يسمى بالعام لأنه يشترك فيه المفرد و المثنى و الجمع ، و المذكر و المؤنث.

محاولة لإخافة (يوسف) من كيدها حتى يقتنع بأنها ذات سلطة و كلمها مسموعة، فلا يحاول أن يتملص أو يمتنع منها مرة أخرى. و هذا ما يؤكد (أحمد جمال الدين) بقوله : « و(ما) في كلامها يحتمل أن يكون نفيًا لمعنى : ليس جزاء من أراد بأهلك سوء إلا السّجن أو العذاب و حينئذ يخرج الكلام مخرج التقرير و الإخبار . » و يحتمل أن يكون (ما) استفهامية : بمعنى أي لشيء جزاءه إلا السّجن كما تقول : من في الدّار إلا زيد؟ . و حينئذ يخرج الكلام مخرج تجاهل العارف . و تجاهل العارف هو سؤال المتكلم عما يعلمه حقيقة تجاهلا منه لنكته.

ثم يقول : « و مهما يكن من أمر هذا الأسلوب - إخبارا كان أو استفهاما - فإن امرأة (العزیز) لم تصرح باسم (يوسف) و إنما استخدمت الموصول العام(من) و لذلك لأنها تريد تخويف (يوسف) تخويفا بثنيه عن ثباته في موقفه الرافض للانصياع لإرادتها<sup>(1)</sup>»، و فعلا كان لها ما أرادت بدليل قوله تعالى : ﴿ثُمَّ بَدَأَ هُمْ مِنْ بَعْدِ

مَا رَأَوْا آيَاتِ لَيْسَ جُنَّتْهُرُ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٣٥﴾<sup>(2)</sup> ، و المقصود بالآيات هاهنا هي الأدلة التي تبرئ ساحة يوسف - عليه السّلام - من التهمة الباطلة الملقاة على عاتقه.

### ج-3-استفهام يوسف - عليه السّلام- للسّجينين:

قال تعالى: ﴿يَصْصِحِّي السِّجْنِ ءَأَرْبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمْ اللَّهُ

أَلَّوْحِدُ الْقَهَّارُ ﴿٣٦﴾<sup>(3)</sup>

استهلّ يوسف - عليه السّلام - قوله بالنداء على السّجينين للفت انتباههما واسترعاء اهتمامهما لما سيأتي من القول، و نداؤه لهما (يا صاحبي السّجن) يعود إمّا لجهله اسميهما و إمّا للإشارة إلى الصّلة أو العلاقة التي أصبحت تربط بينهما في السّجن، فهي صلة المماثلة في الضراء و التي أصبحت تضاهي صلة القرابة<sup>(4)</sup> إذن فنداؤه بهذا التسمية (يا صاحبي السّجن) تذكير لهما بالصّلة أو العلاقة التي تربطهما ببعضهما البعض، و في هذا استمالة عاطفية تمهّد و تهبّي الجو النفسي لتقبل الفكرة و الاقتناع بالرسالة التي ستوجه لهما من خلال الاستفهام

(1) أحمد جمال الدين : لغة الحوار في سورة يوسف، دراسة أسلوبية ، أقوال يوسف و إخوته و امرأة العزیز نموذجًا، ص 16

(2) سورة يوسف ، الآية 35

(3) سورة يوسف ، الآية 39

(4) ينظر محمد طاهر بن عاشور: التحرير و التنوير ، ج 12 ص 274

﴿أَرْبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمْ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾؟ كما سبقت الإشارة إلى النداء

الوارد في لفظ (يا أبانا) من الآية 11 من سورة (يوسف) ﴿أَرْبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ

أَمْ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾؟، يقول (سيد قطب) : « هو سؤال يهجم على الفطرة

في أعماقها و يهزّها هزّاً شديداً ، إنّ الفطرة تعرف لها إلها واحداً ، فقيم إذن تعدّد الأرباب؟ .. إنّ الذي يستحق أن يكون ربّاً يعبد و يطاع أمره ، و يتبع شرعه هو الله

الواحد القهار (1) و في ذلك ردّ لمعتقدهما و تقرير بإبطال دينهما و بناء على هذا

فالاستفهام تقريرى (2) ، و في هذا الاستفهام مخاطبة للعقل إذ لو كان هناك تعدّد

للآلهة و الأرباب لتفرّقوا و اختلفوا و تنازعوا فيما بينهما في تسيير نظام الكون و شؤون الخلق ، و لسادت - بعد ذلك - الفوضى و اختل نظام الكون و الوجود ، بدليل

قوله - سبحانه و تعالى - : ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آَاهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا<sup>٤</sup> فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ

الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٣١﴾ (3) ، و يقول - عزّ و جلّ - في آية أخرى ﴿مَا أَخَذَ اللَّهُ

مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذًا لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَّ بَعْضُهُمْ عَلَى

بَعْضٍ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُصِفُونَ ﴿٣١﴾ (4) .»

إذن، فالغاية من توظيف سيّدنا يوسف - عليه السّلام- لهذا الاستفهام ﴿أَرْبَابٌ

مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمْ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾ هي تقرير و إثبات حقيقة تتمثل في وحدانيّة

الله ، و نفي التعدّد - تعدّد الآلهة - بغرض الإقناع \* بها ، و الإقناع بها - أي بهذه

الحقيقة - يقتضي ويستوجب إخلاص العبادة لله وحده دون سواه .

(1) سيد قطب ، في ظلال القرآن ، ج 12 ص 1989

(2) ينظر محمد طاهر بن عاشور، المصدر نفسه و الصفحة نفسها.

(3) سورة الأنبياء ، الآية 22

(4) سورة المؤمنون الآية 91

(5) \* الغرض من توظيف الاستفهام التقريرى هو الإقناع ، و للمزيد من التفصيل ينظر أسلوب الاستفهام ، في الفصل الثاني من هذه الأطروحة (الإقناع استراتيجاته و أساليبه).

## ج-4- استفهام يوسف لإخوته:

قال تعالى ﴿ وَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَّازِهِمْ قَالَ أَتْتُونِي بِأَخٍ لَّكُمْ مِّنْ أَبِيكُمْ أَلَا تَرَوْنَ أَنِّي  
أُوفِي الْكَيْلَ وَأَنَا خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ ﴾ (1)

فالاستفهام في قول يوسف - عليه السلام - : ﴿ ألا ترون أني أوفي الكيل وأنا خير المنزليين ﴾ غرضه الترغيب: يرغب إخوته وتحقّزهم على الإتيان بأخيهم الصّغير للاستفادة من عطائه وجوده عليهم بالقمح.

وهذا ما يراه (ابن عاشور) حيث يقول : « ترغيب لهم في العود إليه ، وقد علم أنهم مضطرون إلى العود إليه لعدم كفاية الميزة التي امتازوه لعائلة ذات عدد من الناس مثلهم ، كما دلّ عليه قولهم بعد ذلك " ذلك كيل يسير " ودلّ قوله " خير المنزليين على أنه كان ينزل الممتازين في ضيافته لكثرة الوافدين على مصر للميزة والمنزل : المضيف ، وهذه الجملة كناية من الوعد بأن يوفي لهم الكيل ويكرم ضيافتهم إن أتوا بأخيهم » (2)

ويقصد (ابن عاشور) بالجملة الاستفهام الوارد في قول (يوسف) (أَلَا تَرَوْنَ

أَنِّي أُوفِي الْكَيْلَ وَأَنَا خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ ﴾ (يوسف) يرون جميل

صنيع يوسف - عليه السلام - مع ضيوفه الوافدين عليه من مختلف البلدان، ويتمثل هذا الصّنيع في حسن ضيافتهم ، وإغداقهم كرما وسخاء . وهذا ما سينالونه ويتحصّلون عليه هم أيضا إن استجابوا لطلبه وأحضرُوا أخاهم .

ويفهم ذلك عن طريق التلميح و الإشارة بواسطة الكناية المتضمنة في الاستفهام . إذا سيّدنا (يوسف) حاول من خلال هذا الاستفهام إقناع إخوته بإحضار أخيهم الصّغير وإغرائهم وتحفيزهم بالكيل والإكرام وحسن الضيافة .

(1) سورة يوسف الآية 59

(2) محمد الطاهر بن عاشور : تفسير التحرير والتنوير ج 13 ص 13

ج-5- استفهام يعقوب - عليه السلام- لأبنائه:

قال- سبحانه تعالى-: ﴿قَالَ هَلْ ءَامَنْتُمْ عَلَيَّ إِلَّا كَمَا ءَامَنْتُمْ عَلَىٰ أَخِيهِ مِنْ

قَبْلُ ۗ فَأَلَّهٖ خَيْرٌ حَافِظًا ۗ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّحِيمِينَ ﴿٦٦﴾ (1)

جاء جواب يعقوب - عليه السلام - على طلب أبنائه - المتمثل في إرسال أخيهم الصَّغِير غير الشقيق معهم ليكتالوا - في شكل استفهام ﴿ هَلْ ءَامَنْتُمْ عَلَيَّ إِلَّا كَمَا ءَامَنْتُمْ عَلَىٰ أَخِيهِ مِنْ قَبْلُ ۗ ؟﴾

فهو استفهام تَضَمَّن معنى السَّخْرِيَّة و الإنكار من طلبهم المؤكِّد بحفظ أخيهم بقولهم : ﴿...فَأَرْسَلْ مَعَنَا أَخَانًا نَكْتَلْ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴿٦٦﴾ (2) حيث ذكر هذا الكلام

يعقوب - عليه السلام - بالماضي الأليم ، بما فعلوه بيوسف - عليه السلام - ، ذكره بخيانتهم ومكرهم بعد وعدهم له بحفظ أخيهم ورعايته ، إذ قالوا : ﴿ أَرْسَلَهُ مَعَنَا غَدًا

يَرْتَع وَيَلْعَبُ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴿٦٦﴾ (3)

نفس العبارة تتكرَّر ، ونفس التأكيد ، ونفس السناريو ، فهل يمكن أن يثق بهم يعقوب - عليه السلام - ويصدِّقهم بعد الذي الحدث؟! وكأنَّ لسان حاله يقول :- من خلال الاستفهام السَّابِق - : ألم يكفكم ما فعلتموه بيوسف بعدما أكدتم حفظكم له؟! ألا تستحون بالعودة إلى مثل هذا الطُّلب من جديد بعد خيانتكم ومكركم؟! يرى (ابن عاشور) : « أن جواب - يعقوب - عليه السلام - يحتمل معنيين : المعنى الأوَّل هو (إني آمنكم عليه كما آمنتم على أخيه). » والمعنى الثاني هو ( ماذا أفاد انتمانكم على أخيه من قبل حتى آمنكم عليه؟ ). والاستفهام إنكاري فيه معنى النفي ، فهو يستفهم عن وجه التأكيد في قولهم ﴿ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ ، والمقصود من الجملة على احتمالها هو التفرُّيع الذي في قوله ﴿ فَأَلَّهٗ خَيْرٌ حَافِظًا ﴾

(1) سورة يوسف الآية 64

(2) سورة يوسف الآية 63

(3) سورة يوسف الآية 12

خير حفظاً ﴿١﴾ أي : خير حفظاً منكم فإن حفظه الله سلم وإن لم يحفظه لم يسلم كما لم يسلم أخوه من قبل حين أمنتكم عليه ﴿٢﴾

يبدو أن المعنى الثاني الذي احتمله (ابن عاشور) - ماذا أفاد ائتمانكم على أخيك من قبل حتى أمنتكم عليه؟ - من استفهام يعقوب - عليه السلام - هل أمنتكم عليه إلا كما أمنتكم على أخيه من قبل؟ - هو الأقرب إلى الصّحة من المعنى الذي احتمله أولاً: - إني أمنتكم عليه كما أمنتكم على أخيه - كون هذا الاستفهام تضمن معاني الإنكار و النفي و العتاب و السخرية و التهكم.

و لكنّ توكل يعقوب - عليه السلام- و ثقته به و إيمانه بقدره جعلوه يستجيب لطلب أبنائه المتمثل في إيذانه لهم باصطحاب أخيه معهم إلى مصر ليكتالوا رغم استنكاره و غضبه و عتابه... بدليل تعقيبته على الاستفهام و استننافه للكلام بقوله: ﴿٣﴾ فالله خير حافظاً و هو أرحم الراحمين ﴿٤﴾.

إلا أنّ هذا التوكل لم يمنعه من الأخذ بالأسباب ، فليس التوكل أن تضع ثقّتك بالله و تنتظر قدره و تبقى قابلاً في مكانك مكتوف الأيدي لا تحرك ساكناً فهذا يسمّى تواكلاً - و أمّا التوكل إنّما يكون بعد السعي و الأخذ بأسباب التوفيق و النصر مصداقاً لقوله- سبحانه و تعالى:- ﴿٥﴾ و ما توفيقى إلا بالله عليه توكلت و إليه أنيب ﴿٦﴾

و لعلّ هذا الاستفهام الإنكاري في جواب يعقوب - عليه السلام- لأبنائه ﴿٧﴾ هل أمنتكم عليه إلا كما أمنتكم على أخيه من قبل؟ ﴿٨﴾ - باب من أبواب الأخذ بالأسباب ، و كذا

في قوله ﴿٩﴾ قَالَ لَنْ أُرْسِلَهُ مَعَكُمْ حَتَّى تُؤْتُوا مَوْثِقًا مِنَ اللَّهِ لَتَأْتُنِي بِهِ إِلَّا أَنْ

سُحِطَ بِكُمْ فَلَمَّا آتَوْهُ مَوْثِقَهُمْ قَالَ اللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ ﴿١٠﴾

إذا جعل يعقوب - عليه السلام- أمر موافقته على طلب أبنائه مشروطاً بإتيانهم موثقاً من الله ﴿١١﴾ قَالَ لَنْ أُرْسِلَهُ مَعَكُمْ حَتَّى تُؤْتُوا مَوْثِقًا مِنَ اللَّهِ لَتَأْتُنِي بِهِ إِلَّا أَنْ

سُحِطَ بِكُمْ ﴿١٢﴾ .

(١) " حفظاً " مصدر منصوب على التمييز في قراءة الجمهور - وقرأه حمزة والكسائي وحفص " حافظان " على أنه حال من اسم الجلالة وهي حال لازمة في ابن عاشور : تفسير التحرير والتنوير ج 13 ص 16

(٢) ابن عاشور : المصدر نفسه ، الصفحة نفسها

(٣) سورة هود، الآية 88

(٤) سورة هود ، الآية 66

\* أي، لتقسمن لي بالله قسما يربطكم أن تردوا عليّ ولدي إلا إذا أغلبتم على أمركم غلبا لا حيلة لكم فيه، و لا تجدي مدافعتكم عنه (2)، ﴿فَلَمَّا ءَاتَوْهُ مَوْثِقَهُمْ قَالَ اللَّهُ عَلَىٰ

مَا نَقُولُ وَكَيْلٌ﴾ ففوله تذكير لهم بأن الله رقيب على ما وقع بينهم و هذا توكيد

للحلف (3)

- و بهذا يكون يعقوب - عليه السلام - قد أخذ بأسباب تحقيق الحماية و الأمن و السلامة لابنه ، إذ أقام عليهم الحجة بقسمهم و إشهاد الله- سبحانه و تعالى- عليهم.

قال- سبحانه و تعالى :- ﴿قَالُوا فَمَا جَزَاؤُهُ إِنْ كُنْتُمْ كَاذِبِينَ﴾ (4).

يرى (ابن عاشور) : أنّ الغرض من هذا الاستفهام هو التحكيم لأنهم لا يسعهم إلا أن يعينون جزاء يؤخذون به ، فمن هذا تحكيم المرء بذنبه. و معنى ﴿ما جزاؤه؟﴾ : « ما عقابه؟ » و ضمير « جزاؤه » عائد إلى الصّواع بتقدير مضاف دلّ عليه المقام ، أي جزاء سارقه أو سرقة ؟ ﴿قَالُوا جَزَاؤُهُ مَنْ وَجَدَ فِي

رَحْلِهِ فَهُوَ جَزَاؤُهُ كَذَلِكَ جَزَى الظَّالِمِينَ﴾ (5).

و المعنى أنّ من وجد في رحله الصّواع هو جزاء السرقة ، أي تكون ذاته عوضا عن هذه الجريمة ، فيصير رقيقا لصاحب الصّواع لينمّ معنى الجزاء بذات أخرى و ليس المراد قتله. و جملة ( فهو جزاؤه) توكيد لفظي لجملة (جزاؤه من وجد في رحله) لتقرير الحكم و عدم الإفلات منه.

إذا الغرض من هذا الاستفهام هو إقامة (يوسف) للحجة على إخوته بجعلهم ينطقون هم بالحكم الذي يتقاضون به و يتحاكمون إليه في شريعتهم و قضائهم و نظام حياتهم ألا و هو أخذ السارق أسيرا أو عبدا لدى المسروق له "و هنا ينكشف طرف التدبير الذي ألهمه الله ليوسف ، فقد كان المتبّع في دين يعقوب - عليه السلام- أن يؤخذ السارق رهينة أو أسيرا أو رقيقا في مقابل ما يسرق . و لما كان إخوة (يوسف) موقنين بالبراءة فقد ارتضوا تحكيم شريعتهم فيمن يظهر أنّه سارق (6)" ، و بهذا الكيد و التدبير الإلهيين

\* مجازا في الحالة التي لا يستطيع التغلب عليها " في محمد الطاهر بن عاشور " المصدر نفسه. الصفحة نفسها.

(2) سيد قطب : في ظلال القرآن ج 13 ص 2017

(3) محمد الطاهر بن عاشور، تفسير التنوير ، ج 13 ص 20

(4) سورة يوسف ، الآية 74

(5) سورة يوسف الآية 75

(6) سيد قطب، في ظلال القرآن ج 13 مج 4 ص 2019

استطاع (يوسف) أن يبقي أخاه معه دون إثارة أي شبهة أو شك في الأمر لدى إخوته، بل جعلهم يظنون بأخيهم ظنّ السوء و يتهمونهم بالسرقة بدل الدفاع عنه ، و الأدهى و الأمر أنهم يتهمونهم بالسرقة هو و أخوه يوسف زورا و بهتانا و ظلما و هم أمامه ي حضرتته و مجلسه - عليه السلام - ( ﴿ قَالُوا إِن يَسْرِقَ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَّهُ مِنْ قَبْلُ فَأَسْرَهَا يُوسُفُ فِي نَفْسِهِ وَلَمْ يُبْدِهَا لَهُمْ قَالَ أَنْتُمْ شَرُّ مَكَانًا ۗ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ ﴾ (1)

ج-6- استفهام كبير إخوة يوسف لإخوته: قال -عز من قائل- : ﴿ فَلَمَّا اسْتَيْسَسُوا مِنْهُ خَلَصُوا نَجِيًّا قَالَ كَبِيرُهُمْ أَلَمْ تَعْلَمُوا أَنَّ أَبَاكُمْ قَدْ أَخَذَ عَلَيْكُمْ مَوْثِقًا مِنَ اللَّهِ وَمِنْ قَبْلُ مَا فَرَّطْتُمْ فِي يُوسُفَ فَلَنْ أَبْرَحَ الْأَرْضَ حَتَّى يَأْذَنَ لِي أَبِي أَوْ يَحْكُمَ اللَّهُ لِي ۗ وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ ﴾ (2)

بعد أن يئس إخوة يوسف من محاولة استعادة أخيهم الصغير و انتزاعه من قبضة يوسف عن طريق استعطافه بأن له أبا شيخا كبيرا و عرضهم بأن يأخذ أحدهم بدله : ﴿ قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ إِنَّ لَهُ أَبًا شَيْخًا كَبِيرًا فَخُذْ أَحَدَنَا مَكَانَهُ ۗ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ (3) قال معاذ الله أن نأخذ إلا من وجدنا متبعنا عنده إنا إذا لظلمون

في الحفاظ على أخيهم الصغير و رده إليه ﴿ ألم تعلموا أن أباكم قد أخذ عليكم موثقا من الله ؟ كما ذكرهم بجريمتهم السابقة ضدّ (يوسف) ﴿ ومن قبل ما فرطتم في يوسف ﴿ و لهذا السبب قرّر البقاء في مصر و عدم الرجوع مع إخوته.

(1) سورة يوسف الآية 77

(2) سورة يوسف الآية 80

(3) سورة يوسف الآية 79/87



يقول (ابن عاشور): « والاستفهام في ﴿ ألم تعلموا ﴾ تقرير مستعمل في التذكير بعدم اطمئنان أبيهم بحفظه لابنه. »

وجملة ﴿ ومن قبل ما فرطتم ﴾ جملة معترضة ، و(ما) مصدرية ، أي تفريطكم في يوسف - عليه السلام - كان من قبل الموثق ، أي فهو غير مصدقكم فيما تخبرون به من أخذ (بنيامين) ، إذ لا يرضى لنفسه أن يبقى غريباً لولا خوفه من أبيه - ولا يرضى بقيّة أشقائه أن يكيدوا له كما يكيدون لغير الشقيق (1)

وتذكر الأخ الأكبر لإخوته بالميثاق وبما فعلوه بيوسف دون سواه يحتمل أمرين :  
الأول : أن يكون يعقوب - عليه السلام - قد أوصاه وكلفه هو باعتباره الأكبر سنّاً ، وربّما المسؤولية يتحمّلها - عادة - كبير إخوته ، فاستحى أن يعود دون أخيه الصّغير ، بعد الميثاق أو القسم الذي أخذه عليهم والدهم ، خاصّة وأنّ هذه ليست الأولى ، فلقد فرطوا في (يوسف) من قبل ، بعد وعدهم برعايته وحمايته والحفاظ عليه.

الثاني : ربّما كان له أبناء فشعر بعاطفة الأبوة ، و عرف قيمة أبنائه ومنزلتهم في قلبه ، فأحسّ بتأنيب الضّمير ، وأدركته شفقة على والده الذي أصبح لا يطيق ولا يحتمل المآسي بتأنيب الضّمير ، بعد كلّ ما عاناه من أحزان أنهكت قواه ، وهموم هدّت بدنه نتيجة فقدّه ليوسف - عليه السلام - .

وربّما تكون هذه الأسباب المجتمعة هي التي منعت من العودة مع إخوته إلى الديار ، فيكون بقاءه في مصر كما يقول (ابن عاشور) علامة دالة على صدق قولهم في سبب عدم رجوع أخيه معهم أي أن يعقوب - عليه السلام - سيؤوّل علامة بقاء ابنه في مصر بخوفه منه ، إذ لا يمكن لإخوته الأشقاء أن يكيدوا له مثل كيدهم لأخيه غير الشقيق وهذه علامة دالة على صدقهم .

إذاً بقاء (روبين) في مصر محاولة لإقناع أبيه بصدقهم هذه المرة وبالتالي فعلمة البقاء هي أسلوب إقناعي.

والسؤال الذي يطرح هنا هو ما الذي كان يقصده (ابن عاشور) بخوف الأخ الأكبر ليوسف من أبيه ؟

هل هو الخوف من العقوبة النفسية - بعد عدم التصديق - كالتأنيب ، العتاب واللوم ؟ أم الخوف من العقوبة المادية كالضرب والسجن مثلاً ؟

وأظنّ أنّ هذا الأخير مستبعد لأنّه لو كان كذلك لعاقبهم به إثر تفريطهم - أو تضييعهم ليوسف - عليه السلام -

(1) محمد الطاهر بن عاشور : تفسير التحرير والتنوير ج 13 ص 39-40

## ج-7- استفهام يوسف لإخوته عن جريمتهم:

وقال -جلّ جلاله- : ﴿ قَالَ هَلْ عَلِمْتُمْ مَا فَعَلْتُمْ بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنْتُمْ

جَاهِلُونَ ﴾ (1)

جاء استفهام يوسف - عليه السلام - بقوله : ﴿ هل علمتم ما فعلتم بيوسف وأخيه إذ أنتم جاهلون؟ ﴾ - ردًا على طلب إخوته المقرون بتوسّلهم واستعطافهم له بأن يقبل استبدال بضاعتهم بالقمح ، وإيفاء الكيل لهم والتصّدق عليهم. ﴿ فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَيْهِ قَالُوا

يَتَأَيُّهَا الْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَا الضُّرُّ وَجِئْنَا بِبِضْعَةٍ مُزَجَّلَةٍ فَأَوْفِ لَنَا الْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا

﴿ إِنَّ اللَّهَ تَجْزِي الْمُتَصَدِّقِينَ ﴾ (2)

فالداء في قولهم : ﴿ يَتَأَيُّهَا الْعَزِيزُ ﴾ للفت انتباهه إلى الحالة المأسوية المزريّة

التي آلوا إليها وهي معاناة الفقر والجوع ، ولفظة ( الْعَزِيزُ ) في التي هي لقب التعظيم

تحمل طياتها استعطافا وتوسّلا ثمّ التصريح بحالة ﴿ مَسَّنَا وَأَهْلَنَا الضُّرُّ ﴾ ، أي : ألم

الفقر والجوع، محاولة لاستعطاف واسترحام يوسف والتأثير فيه ليستجيب لهم ،

وهذا الاستعطاف ﴿ مَسَّنَا وَأَهْلَنَا الضُّرُّ ﴾ ، تمهيد مؤثر نفسيًا وعاطفيًا يسهم

ويدعّم في عمليّة الاستجابة لطلبهم ﴿ فَأَوْفِ لَنَا الْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا ﴾

ثم التذكير بثواب الله - عزّ وجل- الذي يمنحه للمتصدّقين ﴿ إِنَّ اللَّهَ تَجْزِي

الْمُتَصَدِّقِينَ ﴾ جاء تدعيما لطلبهم ومحاولة منهم لإقناع (يوسف) به .

(1) سورة يوسف الآية 89

(2) سورة يوسف الآية 88

يرى (الزركشي) أن الغرض من الاستفهام ﴿قَالَ هَلْ عَلِمْتُمْ مَا فَعَلْتُمْ بِيُوسُفَ﴾

وَأَخِيهِ إِذْ أَنْتُمْ جَاهِلُونَ ﴿١﴾ ؟ هو تذكير (1) (يوسف) لإخوته بالجرائم التي

ارتكبوها في حقه ، إذ رموه في الجب وهو صبي صغير ، وباعوه بأبخس الأثمان ، وأبعدوه عن والده وعشيرته وأرضه ، وما فعلوه أيضا بأخيه الصغير ، بعد المكيدة التي نصبها له، إذ أنه بدل أن يدافعوا عنه راحوا يثبتون عليه التهمة ويقذفون

(يوسف) بالسرقة ظلما وبهتانا حيث ﴿قَالُوا إِن يَسْرِقَ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَّهُ مِنْ قَبْلُ﴾

(2) وهذا التذكير مقرون بالعتاب والاستنكار والدليل هو وصفه لهم بالجهل ﴿إِذْ أَنْتُمْ

جَاهِلُونَ﴾.

وأما (ابن عاشور) فيرى أن هذا « الاستفهام مستعمل في التوبيخ و (هل) مفيدة للتحقيق لأنها بمعنى (قد) في الاستفهام ، فهو توبيخ على ما يعلمونه محققا من أفعالهم مع يوسف - عليه السلام - وأخيه أي أفعالهم الذميمة بقريئة التوبيخ (3)»

وما دام أن (هل) هنا بمعنى (قد) التي تفيد التحقيق فإن الاستفهام تقريري

في قوله : ﴿هَلْ عَلِمْتُمْ مَا فَعَلْتُمْ بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ﴾ ؟ بمعنى : قد علمتم ما فعلتم

بيوسف وأخيه ، و الغرض من التقرير هو التذكير على رأي (الزركشي) ، والتوبيخ على رأي (ابن عاشور) .

إذ الغاية من هذا الاستفهام التقريري هو تذكير وتوبيخ إخوته على جرائمهم التي ارتكبوها في حقه وفي حق أخيه ، و كأن لسان حاله يقول : أبعد كل الذي فعلتموه بيوسف ، جنتم الآن تتوسلون إليه وتستعطفونه بأن يوفي لكم الكيل ويتصدق عليكم؟! أفلا تستحيون؟!

استفهام إخوة (يوسف) ليوسف - عليه السلام- وتجدر الإشارة إلى أن استفهام يوسف - عليه السلام - كان علامة توصل بها إخوته إلى التعرف عليه فجاء ردّهم

على استفهامه في شكل استفهام : ﴿قَالُوا أَيْنَكَ لَأَنْتَ يُوسُفُ قَالَ أَنَا يُوسُفُ وَهَذَا

(1) الزركشي : البرهان في علوم القرآن ج 2 ، ط1 دار إحياء الكتب العربية القاهرة 1958 ص 340

(2) سورة يوسف الآية 77

(3) ابن عاشور : تفسير التحرير والتنوير ج 13 ص 47

أَخِي قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا إِنَّهُ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ

الْمُحْسِنِينَ ﴿١﴾

والاستفهام في قولهم ﴿أَيْنَكَ لَأَنْتَ يُوسُفُ﴾ ؟ تقرير ي كونهم أدركوا

من استفهامه - هل علمتم ما فعلتم بيوسف وأخيه إذ أنتم جاهلون؟ - بأنه (يوسف) أخوهم. والغاية من استفهامهم هي تأكيد التقرير ، إذ المعنى المراد منه هو (إنك لأنت يوسف) إثبات وتأكيد بحرف التوكيد (إن) ولام الابتداء التي تفيد التوكيد ، وضمير الرفع المنفصل (أنت)، الذي أفاد التوكيد أيضا هنا باعتباره بدلا من الضمير المتصل (الكاف) في (إنك) والاستفهام بالهمزة ﴿أَيْنَكَ لَأَنْتَ يُوسُفُ﴾ زيادة في التأكيد والتقرير يقول (ابن عاشور) في تفسيره « بأن قولهم : ﴿أَيْنَكَ لَأَنْتَ يُوسُفُ﴾ يدل

على أنهم استشعروا من كلامه ثم من ملامحه ثم من فهم قول أبيهم لهم : ﴿وأعلم من الله ما لا تعلمون﴾ إذ قد اتضح لهم المعنى التعريضي من كلامه فعرفوا أنه يتكلم مريدا نفسه، وتأكيد الجملة بـ (إن) ولام الابتداء وضمير الفصل لشدة تحققهم أنه يوسف - عليه السلام - ، وأدخل الاستفهام التقريري على الجملة المؤكدة لأنهم تطلبوا تأييده لعلمهم به « (2) يفهم من قول (ابن عاشور) بأن إخوة يوسف تعرفوا على أخيه (يوسف) من خلال كلامه المتمثل في الاستفهام " هل علمتم ما فعلتم بيوسف وأخيه إذ أنتم جاهلون؟ " ثم من ملامحه أي التغيرات الفيزيولوجية التي تطرأ على الوجه والجسد مصاحبة للحالات النفسية والانفعالية، كتقلص عضلات الوجه واحمرار الوجنتين وجحوظ العينين واقتران الحاجبين ، والارتعاش وما شابه ذلك .

ولابد أن يوسف - عليه السلام - انتابته مثل هذه الحالات النفسية أثناء استفهامه لإخوته الذي أراد به تذكيرهم بجرائمهم وتوبيخهم عليها فشعر بنوع من الغضب والحزن والأسف والحسرة ، ولاشك أن هذه الحالات النفسية الانفعالية قد انعكست وارتسمت على ملامح وجهه وجسده - عليه السلام - كشخوص البصر، وهز الرأس وحركة اليدين، ونبرات الصوت، والآهات ، و التنهيدات وغيرها .

(1) سورة يوسف الآية 90

(2) محمد الطاهر بن عاشور : تفسير التحرير والتنوير ج 13 ص 48 - 49

وربما تظهر هذه الملامح ضعيفة وقليلة نوعا ما كون يوسف - عليه السلام - نبي يتسم بالحكمة، ويتحکم في أعصابه ويكيح جماح نفسه وانفعالاتها لأنه يتصف بالصبر والتسامح والعفو، ودليل ذلك في الصبر هو قوله ﴿... إِنَّهُ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ

فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ (1).

أما التسامح والعفو ففي قول الله تعالى على لسان يوسف - عليه السلام - ﴿قَالَ لَا

تَثْرِبَ عَلَيْكُمْ أَيُّومَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ (2)

فقول (يوسف) المتمثل في الاستفهام واللامح المصاحبة له أمارتان تذكر من خلالهما إخوة يوسف قول أبيه: الذي لم ينتهبوا إليه ساعتها ولم يتدبروا معناه ﴿... وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ (3) تذكر بأن والدهم يعقوب - عليه

السلام - نبي يوحى إليه ولذلك هو أعلم منهم. فهو يعلم بأن الله رحيم بعباده يأبى الظلم ويظهر الحق ويزهق الباطل ولو بعد حين ولذلك كان إيمانه بالله كبير وثقته بالله قوية ورجاءه فيه لا ينقطع، بدليل قوله - عز وجل - على لسانه: ﴿يَبْنِي أَذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا

مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَأْيَسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَأْيَسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ

الْكَافِرُونَ﴾ (4).

إذا كلام يوسف - عليه السلام - و الملامح الفيزيولوجية مصاحبة له، وتذكر إخوة (يوسف) قول أبيهم - الذي ذكرها (ابن عاشور) على الترتيب في قوله - علامات وأمارات استدلوا بها على أخيه يوسف - عليه السلام -

قال - سبحانه وتعالى -: ﴿فَلَمَّا أَن جَاءَ الْبَشِيرُ أَلْقَاهُ عَلَى وَجْهِهِ فَارْتَدَّ بَصِيرًا قَالَ

أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ (5).

(1) سورة يوسف الآية 90

(2) سورة يوسف الآية 92

(3) سورة يوسف الآية 86

(4) سورة يوسف الآية 87

(5) سورة يوسف الآية 96

لقد جاء استنفهام يعقوب - عليه السّلام - في قوله : ﴿ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ ؟ جوابا وردّا على قول أبنائه ﴿ قَالُوا تَأَلَّهَ إِنَّكَ لَفِي ضَلَالِكَ الْقَدِيمِ ﴾ (1).

يقول (ابن عاشور) : « جواب للبشارة لأنها تضمنت القول ، ولذلك جاء فعل ( قال ) مفصولا غير معطوف لأنه على طريقة المحاورات » (2).

والغرض من استنفهام يعقوب - عليه السّلام - هو عتاب أبنائه على عدم تصديقه في أمله وتفاؤله بإيجاد يوسف - عيه السّلام - حيا ، حيث أنّ ذكره ليوسف كان يغضبهم ويفقدهم صوابهم إلى درجة إغلاظهم له في القول : " تأله إنك لفي ضلالك القديم " هذا من جهة ، ومن جهة أخرى تذكيرهم بأنّ الله - سبحانه وتعالى - وهبه العلم كونه نبيا ينتزل عليه الوحي فيعرف به أموراً وأسراراً لا يمكن لأبنائه أن يدركوها بدليل قوله : " إني أعلم من الله ما لا تعلمون " ولذلك كان رجاءه في الله لا ينقطع .  
وفعلا يتحقق رجاء يعقوب وتأتي البشرية بسماع الخبر السعيد ، (يوسف) على قيد الحياة ، ويرتدّ له بصره .

كلّ هذه الأمور جعلت إخوة (يوسف) يقتنعون بنصرة الله للحقّ على الباطل

فيعترفون بذنوبهم وأخطائهم، ويطلبون من والدهم أن يستغفر لهم ﴿ قَالُوا يَا أَبَانَا

أَسْتَغْفِرُ لَنَا ذُنُوبَنَا إِنَّا كُنَّا خَاطِئِينَ ﴾ (3).

ولكنّ أباهم مازال متألماً وجريحا، ولم يلن قلبه بعد من ناحيتهم - رغم فرحته الغامرة وسعادته التي لا توصف بعد معرفته بأنّ يوسف ما زال حيا يرزق - بدليل قوله تعالى على لسان يعقوب - عليه السّلام - ﴿ قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ

الرَّحِيمُ ﴾ (4).

يقول (سيد قطب) : « وحكاية عبارته بكلمة (سوف) لا تخلو من إشارة إلى قلب إنسانيّ مكلوم "5، أي أنّ يعقوب - عليه السّلام - كونه مازال جريحا ومتألماً ممّا سببه

(1) سورة يوسف الآية 95

(2) محمد الطاهر بن عاشور - تفسير التحرير والتنوير ج 13 ص 54

(3) سورة يوسف الآية 97

(4) سورة يوسف الآية 98

(5) سيد قطب في ظلال القرآن ص 2028

له أبنائه من معاناة وأحزان ، وظف لفظة ( سوف ) التي تفيد المستقبل البعيد ليرجى بذلك طلب أبنائه المتمثل في الاستغفار لهم إلى حين تطيب نفسه ، ويصفو قلبه ، وتلتئم جراحه وتخفّ آلامه وأحزانه .»

- و خلاصة القول أنّ الاستفهام غير الحقيقي في سورة (يوسف) على اختلاف أغراضه وغاياته - سواء أكان تقريراً أو إنكاراً، عتاباً أو توبيخاً ، تنبيهاً أو تذكيراً - شكل لبنة أساسية في تأسيس وبناء العملية الإقناعية داخل إطار حلقة الحوار سواء ما دار بين إخوة يوسف وأبيهم يعقوب - عليه السلام - أو ما دار بينهم وبين أخيه يوسف - عليه السلام - أو ما دار فيما بينهم ، أي : إخوة يوسف مع بعضهم البعض وعلى هذا الأساس فإن أسلوب الاستفهام أسلوب إقناعي لا يقل أهمية عن الأساليب الإقناعية الأخرى.

#### د- الإضمار (أو الإيجاز بالحذف):

إنّ أهم ما يميّز البلاغة العربية هو اعتمادها فنيّة أو تقنيّة الإضمار أو الإيجاز بالحذف حيث أنّه من بين التعاريف الكثيرة للبلاغة هو ذلك التعريف الموجز لها : « البلاغة إيجاز ».

ونجد هذه التقنية معتمدة أكثر في الخطاب القرآني وبخاصّة في القصّة القرآنيّة ، ولا سيما سورة (يوسف) التي نجد فيها هذه التقنيّة منتهجة كثيراً ، وهذا بغرض عرض أحداث ومشاهد ، وطّيّ وحذف أخرى ، حيث تتم الإشارة والتلميح إلى بعض أحداث أو مشاهد القصّة دون التعمق والتفصيل فيها ، وقد يحذفها السياق تماماً ، مما يجعل المتلقّي - قارئاً كان أو سامعاً - يعمل قدراته العقلية ، ومخيّلته محاولاً استنتاجها والاستدلال عليها ، ولا يمكن للقارئ أن يكتشف هذا الإضمار أو الإيجاز للوهلة الأولى دون تفحص وتعمق وتحليل حيث أنّ قوة الترابط بين أحداث القصّة ، والنسج المحكم لمشاهدها يجعل منها بنية واحدة لا خلل فيها ، وهذا ما يعكس جماليّة التصوير وعبقرية النظم في قصّة يوسف - عليه السلام - .

#### - مواطن الإضمار والإيجاز:

أولاً: قوله تعالى : ﴿ فَلَمَّا ذَهَبُوا بِهِ وَأَجْمَعُوا أَنْ يَجْعَلُوهُ فِي غَيْبَتِ الْجُبِّ وَأَوْحَيْنَا

إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُمْ بِأَمْرِهِمْ هَذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٥﴾ (1)

(1) سورة يوسف الآية 15

إضمار لمراحل تنفيذ المؤامرة، وتقول الروايات : « أنهم لما برزوا به إلى البرية أظهروا له العداوة وأخذوا يضربونه ويهينونه وكلما استغاث بواحد منهم لم يغيثه إلا بالإهانة والضرب حتى كادوا يقتلونه ، فجعل يصيح ... فقال (يهودا) - وهو أكبرهم - : أما أعطيتموني موثقا ألا تقتلوه ؟ .... فربطوا يديه ونزعوا قميصه ، فقال : يا إخوتاه ردوا علي قميصي أنوارى به ، وإنما نزعه ليلطخوه بالدم ويحتالوا به على أبيهم ... ودلوه في البئر ، فلما بلغ نصفها ألقوه ليموت وكان في البئر ماء فسقط فيه. ثم أوى إلى صخرة فقام عليها وهو يبكي ، فنادوه فظن أنها رحمة أدركتهم فأرادوا أن يرضخوه ليقتلوه فمنعهم (يهودا) » (1).

ثانيا : قال تعالى : ﴿ وَجَاءَتْ سَيَّارَةٌ فَأَرْسَلُوا وَارِدَهُمْ فَأَدْلَى دَلْوَهُ قَالَ يَبُشْرَىٰ هَذَا

عَلَّمٌ غَلْمٌ وَأَسْرُوهُ بَضْعَةٌ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾ وَشَرُّهُ بِثَمَنِ بَخْسٍ دَرَاهِمٍ

مَعْدُودَةٍ وَكَانُوا فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ ﴿٢٠﴾ (2).

ففي هاتين الآيتين الكريمتين أضمر السياق الحوار الذي دار بين يوسف والوارد ، وبين إخوة يوسف والقافلة ، تقول الروايات : «أن الواردين قد أسروه من بقية السيارة مخافة أن يشاركوهم فيه إذا علموا أنه قد عثر عليه ، فادعوا أنهم اشتروه من أصحاب الماء، وقيل إن إخوة يوسف هم من أسروا شأنه ، فكتموا أن يكون أخاهم وكتم هو الآخر شأنه مخافة أن يقتله إخوته وأختار البيع ، فعرضه إخوته على وارد الماء ، وشروه بثمن بخس أي : باعوه ، والضمير في شروه ... إنما هو لإخوته ، ذلك أن السيارة استبشروا به» (3).

ثالثا: قال تعالى : ﴿ وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِنْ مِصْرَ لِمَرْأَتِهِ أَكْرِمِي مَثْوَاهُ عَسَىٰ أَنْ

يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُ مِن تَأْوِيلِ

الْأَحَادِيثِ وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰ أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢١﴾ وَلَمَّا بَلَغَ

أَشُدَّهُ ءَاتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ نُجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿٢٢﴾ (4).

(1) الزمخشري : الكشاف ج 21 ص 306 - 307

(2) سورة يوسف الأيتان 19 - 20

(3) ينظر محمد علي الصابوني : مختصر تفسير ابن كثير ط 2 ، مج 2 دار القرآن بيروت 1981 ص 244

(4) سورة يوسف الأيتان : 19 - 20



أضمر السياق تفاصيل ترعرع يوسف - عليه السلام - في بيت (العزیز) وظروف إقامته هناك ، منذ أن كان غلاماً إلى أن بلغ أشده .<sup>(1)</sup>  
ومن هنا يمكن للقارئ أن يتصور العيش الرغيد والحياة السعيدة التي حظي بها سيدنا (يوسف) في بيت (العزیز) ، وطريقه معاملة زوجة (العزیز) له من الصغر إلى البلوغ .

رابعاً: قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ ۖ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنَّ رَأَىٰ بُرْهَانَ رَبِّهِ ۗ كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ ۗ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ ۗ ﴾<sup>(2)</sup> .

لم يثبت السياق القرآني طبيعة « الهم » ولا طبيعة « البرهان » فأما عن الهم يذهب المفسرون إلى أنه هم نفس من يوسف - عليه السلام - في مقابل هم الفعل من امرأة (العزیز) ، فالتصوير واقعي وصادق لحالة النفس البشرية في حال مقاومتها وضعفها ، والسياق القرآني لم يفصل في تلك المشاعر البشرية المتداخلة والمتعارضة " نعم إن (يوسف) بشر مختار ، ومن ثمّة لم يتجاوز همّه الميل النفسي في لحظة من اللحظات فلما رأى برهان ربّه .... بعد لحظة الضعف الطارئة ، عاد إلى الاعتصام والتأني " <sup>(3)</sup> وللقائل أن يقول : لماذا لم يقل الحقّ : لقد همّمت به ولم يهمّ بها ، حتى نخرج من تلك القضية الصعبة ؟ ونقول لو قال الحقّ ذلك لما أعطانا هذا القول اللفظة المطلوبة ... إذ لو قال الحقّ سبحانه (إنّه لم يهم بها) لكان المانع من الهمّ إمّا أمر طبيعي فيه (عضوي) ، أو أمر طارئ ، لأنّها سيّدتها ، فقد يمنعه الحياء عن الهمّ بها ، ولكن الحقّ - سبحانه وتعالى - يريد أن يوضّح لنا أنّ يوسف كان طبيعياً وهو قد بلغ أشده ونضجه ولولا أن رأى برهان ربّه لهمّ بها <sup>(4)</sup> .

وأما البرهان فقد تضاربت حوله الروايات، فقيل إنّه رأى صورة يعقوب - عليه السلام - وقيل إنّ جبريل حضر لتحذيره، وقيل إنّه إشارة كان يشار بها عند مجيء العزیز لبيته بمثابة الجرس للبيت..... غير أنّ الأكيد أنّ هذا البرهان هو التثبيت من عند الله والتّجاة من السوء <sup>(5)</sup> .

(1) قيل إن سنه حين باعته السيارة حوالي الرابعة عشر تنقص ولا تزيد بدليل لفظ غلام، وحين راودته امرأة العزیز كان فتى ربما في الخامسة والعشرين وكانت هي في الأربعين ، ينظر سيد قطب : في ظلال القرآن مج 4 ص 1979 ويرى الزمخشري أن سن يوسف حين اشتراه العزیز كان سبعة عشر سنة ، وأقام عنده ثلاث عشر سنة ، واستوزره الريان وهو ابن الثلاثين وتوفي وهو ابن مائة وعشرين سنة ، ينظر الكشاف : ج 2 ص 309 .

(2) سورة يوسف 24

(3) سيد قطب : في ظلال القرآن ج 12 ص 1981

(4) ينظر محمد متولي الشعراوي : تفسير الشعراوي ج 11 ص 6911- 6912

(5) ينظر : الزمخشري : الكشاف ص 309 ، وعبد الكريم الخطيب القصص القرآني ص 41

وفي قوله تعالى : ﴿قَالَ هِيَ رَاوَدَتْنِي عَنْ نَفْسِي<sup>ج</sup> وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَا إِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدًّا مِنْ قَبْلِ فَصَدَقْتَ وَهُوَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿٢٦﴾ وَإِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدًّا مِنْ دُبُرٍ فَكَذَبْتَ وَهُوَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٢٧﴾ فَلَمَّا رَأَى قَمِيصَهُ قُدًّا مِنْ دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُ مِنْ كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ ﴿٢٨﴾﴾<sup>(١)</sup>.

لم يثبت السياق كيفية حضور الشاهد هل كان مع (العزیز) حين عودته وشهد الحدث ؟ أم أن العزیز استدعاه وعرض عليه الأمر .

كما يقع في مثل هذه الأحوال عندما يستدعي الرجل كبيراً من أسرة المرأة ويطلعه على ما رأى " (2) وربما يكون الأمر مصادفة أي : زيارة مفاجئة للشاهد ، وتبقى كل هذه الاحتمالات واردة .

خامساً : قال تعالى : ﴿فَأَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكًا وَآتَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتِ اخْرُجْ عَلَيْهِنَّ<sup>ط</sup> فَأَمَّا رَأَيْتَهُنَّ أَكْبَرْتَهُنَّ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَسْبُ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ﴿٢٩﴾ قَالَتْ فَذَلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ<sup>ط</sup> وَلَقَدْ رَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ<sup>ط</sup> وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَا آَمُرُهُ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا مِّنَ الصَّاغِرِينَ ﴿٣٠﴾ قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ الْجَاهِلِينَ ﴿٣١﴾ فَاسْتَجَابَ لَهُ رَبُّهُ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ<sup>ج</sup> إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٣٢﴾﴾<sup>(3)</sup>.

حذف السياق تفاصيل كيد النسوة ليوسف - عليه السلام - ويمكن للمتلق أن يتصور كيفية إغرائهن ليوسف بإبراز المفاتن والمحاسن ، أو عن طريق

(1) سورة يوسف الآيات : 26 - 27 - 28

(2) سيد قطب : في ظلال القرآن ص 1982

(3) سورة يوسف الآيات : 31 إلى 34

النظريات والابتسامات واللمسات و التمايلات ، وكل ما من شأنه أن يجذب الرّجل (ويثير لديه الرّغبة الجنسيّة ) ويثيره جنسيّاً لارتكاب الفاحشة .

كما حذف تفاصيل صرف كيد النّسوة بعد أن دعا (يوسف) ربّه و استجاب له ﴿ وَالْأَلَّا

تَصْرَفَ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصَبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ الْجَاهِلِينَ ﴿٣٢﴾ فَاسْتَجَابَ لَهُ

رَبُّهُ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٣٣﴾ (1)

قيل « أن هذا الصّرف قد يكون بإدخال اليأس في نفوسهنّ من استجابته لهنّ... أو بزيادة انصرافه عن الإغراء حتى لا يحسّ في نفسه أثرا منه , أو بهما جميعا » (2) ويمكن للمتلقّي أن يصرّو طرقا و أساليباً أخرى لصرف كيد النّسوة.

سادسا: دخول يوسف - عليه السّلام - السّجن ، قال تعالى: ﴿ ثُمَّ بَدَأَ هُمْ مِن بَعْدِ مَا

رَأَوْا الْآيَاتِ لَيْسَجْنَهُ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٣٥﴾ (3)، لم يشر السياق في هذه الآية

الكريمة إلى ملابسات دخول يوسف - عليه السّلام - إلى السّجن ، و كيف تمّ اتّخاذ هذا القرار الجائر في حقّه ، تقول الروايات «أنّ من سجنه هو (العزیز) و أهله نزولا عند رغبة زوجته التي كان يعمل برأيها ، لعلها أمرت بذلك انتقاما لكبريائها من يوسف - عليه السّلام- و طمعا في أن يذلّله السّجن لها، و ربّما كان ذلك انتقام (العزیز) من زوجته — في شخص يوسف - عليه السّلام- بسبب جماله و افتتان زوجته و غرامها به كما حذف السياق ما يثبت هويّة الفتيين كاسميها ، و أسباب سجنهما

و طبيعة عملهما في قوله: ﴿ وَدَخَلَ مَعَهُ السِّجْنَ فَتَيَانٍ قَالَ أَحَدُهُمَا إِنِّي

أَرْنِي أَعَصِرُ خَمْراً وَقَالَ الْآخَرُ إِنِّي أَرْنِي أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِي خُبْزاً تَأْكُلُ

الطَّيْرُ مِنْهُ نَبِئْنَا بِتَأْوِيلِهِ إِنَّا نُرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٣٦﴾ (4) ، يقال أنّهما

(1) الآية 34 من سورة يوسف

(2) سيد قطب: "في ظلال القرآن" ص1985

(3) الآية 35 من سورة يوسف

(4) الآية 36 من سورة يوسف

خبّاز و ساقى الملك أتهما بمحاولة سمّ الملك فأدخلا السّجن ساعة دخله يوسف - عليه السلام-»<sup>(1)</sup>، و أضمر السياق أيضا ردّة فعل الفتيين بعد تأويل (يوسف) لرؤيتهما. كما حذف السياق تفاصيل السّنوات التي قضاها يوسف - عليه السلام- في السّجن و هي سنوات طوال بأيّامها و لياليها ، و يمكن تصوّره "يعود المرضى و يداوي الضعفاء و ينصح الأشقياء و ينشر عليهم مع كل صباح فيضا من علمه و قبسا من فصله حتى أحبّه المسجونون ... و اطمأنت نفوسهم إليه" <sup>(2)</sup>، فدعاهم إلى كلمة التوحيد و عبادة الله - سبحانه و تعالى - و التقوى و الابتعاد عن الشرك و عبادة الأوثان.

سابعا: قال تعالى : ﴿ وَقَالَ الَّذِي نَجَا مِنْهُمَا وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ أَنَا أُنْتَبِئُكُمْ بِتَأْوِيلِهِ

فَأَرْسَلُونِ ﴿٤٥﴾ يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ أَفْتِنَا فِي سَبْعِ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعُ

عِجَافٍ وَسَبْعِ سُنبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ لَعَلِّي أَرْجِعُ إِلَى النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ

﴿٤٦﴾ قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَابًّا فَمَا حَصَدْتُمْ فَذَرُوهُ فِي سُنْبُلِهِ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا

تَأْكُلُونَ ﴿٤٧﴾ ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا

تُحْصِنُونَ ﴿٤٨﴾ ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ وَفِيهِ يَعْرِضُونَ ﴿٤٩﴾ <sup>(3)</sup> ﴿٤٩﴾

أضمر السياق تفاصيل رجوع الرّسول بتأويل الرؤيا و إعادتها على الملك حتى أعجب بيوسف و رغب في إحضاره و يمكن أن يتصوّر القارئ شهادة السّاقى ليوسف بمكارم الأخلاق و حسن السّيرة لدى الملك ممّا شوّقه إلى التّعرف عليه و ملاقاته.

﴿ وَقَالَ الْمَلِكُ أَتُتُونِي بِهِ ۖ فَلَمَّا جَاءَهُ الرَّسُولُ قَالَ أَرْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ فَسَأَلْهُ مَا بَالُ

النِّسْوَةِ الَّتِي قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ ۚ إِنَّ رَبِّي بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ ﴿٥٠﴾ قَالَ مَا خَطْبُكُنَّ إِذْ رَاوَدْتُنَّ

يُوسُفَ عَنِ نَفْسِهِ ۚ قُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِنْ سُوءٍ ۚ قَالَتِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ

(1) ينظر الزمخشري، الكشاف ص9/3

(2) محمد أحمد جاد المولى، قصص القرآن ، ص100

(3) سورة يوسف من الآية 48/45

أَلَكُنْ حَصْحَصَ الْحَقِّ أَنَا رَاوِدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٥١﴾ ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِبِينَ ﴿٥٢﴾ وَمَا أُبْرِئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٥٣﴾ (1)

حذف السياق في هذه الآيات إرسال الملك رجاله في طلب النسوة و ما يكسبون قد انتابهن من مشاعر الخوف و الفزع و الذعر إثر ذلك.

ثامنا: قال تعالى: ﴿وَقَالَ الْمَلِكُ أَتُتُونِي بِهِ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِي ط فَلَمَّا كَلَّمَهُ قَالَ إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ ﴿٥٤﴾ قَالَ أَجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ ﴿٥٥﴾ وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ يَتَّبِعُونَ مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَنْ نَشَاءُ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾ (2)

لم يثبت السياق الحوار الذي دار بين يوسف - عليه السلام - و الملك كاملا ، ويمكن للمتلقي أو القارئ أن يتصور أن (يوسف) قد قصّ على الملك قصته ، فأشفق عليه ، وأعجب به .

تاسعا: قال تعالى: ﴿وَجَاءَ إِخْوَةُ يُوسُفَ فَدَخَلُوا عَلَيْهِ فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُ مُنْكَرُونَ ﴿٥٨﴾ وَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَّازِهِمْ قَالَ أَتُّونِي بِأَخٍ لَكُمْ مِنَ أَبِيكُمْ أَلَا تَرَوْنَ أَنِّي أُوفِي الْكَيْلَ وَأَنَا خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ ﴿٥٩﴾ فَإِنْ لَمْ تَأْتُونِي بِهِ فَلَا كَيْلَ لَكُمْ عِنْدِي وَلَا تَقْرَبُونِ ﴿٦٠﴾ قَالُوا سُرُودٌ عَنهُ أَبَاهُ وَإِنَّا لَفَاعِلُونَ ﴿٦١﴾ وَقَالَ لِفَتْيَانِهِ اجْعَلُوا بَضْعَتَهُمْ فِي رِحَالِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَعْرِفُونَهَا إِذَا انْقَلَبُوا إِلَى أَهْلِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٦٢﴾ (3)

حذف السياق تفاصيل الحديث بين (يوسف) وإخوته إلى أن طلب منهم إحضار أخيه قيل : « إنه ادّعى الشكّ بأمرهم، فربما كانوا عيوناً على بلاده، فكان

(1) سورة يوسف الآية 50/53

(2) سورة يوسف الآيات : 45- 55- 56

(3) سورة يوسف الآيات : من 58 إلى 62

ردّهم : معاذ الله ، نحن إخوة بنو أبٍ واحد ، وهو الشيخ .... نبيّ اسمه (يعقوب) ، قال : كم أنتم ؟ قالوا : اثني عشر ، فهلك مئاً واحد، فقال : فكم أنتم ههنا؟ قالوا : عشرة ، قال: فأين الأخ الحادي عشر ؟ قالوا: عند أبيه يتسلى به عن الهالك، قال: فمن يشهد لكم أنكم لستم بعيون و أنّ الذي تقولون حقّ؟ قالوا: إنّنا في بلاد لا يعرفنا أحد فيشهد لنا، قال: انتوني بأخيكم حتى أصدّقكم « (1).

عاشراً: قال تعالى: ﴿وَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ ءَاوَىٰ إِلَيْهِ أَخَاهُ ۗ قَالَ إِنِّي أَنَا أَخُوكَ

فَلَا تَبْتَسِسْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٦٩﴾ (2)

أوجز السياق تفاصيل انفراد يوسف بأخيه و التعاون فيما بينهما، و يمكن للمتلقّي أن يتصوّر لقاء كهذا بعد فرقة سنين و انقطاع الأخبار، إته الفرح و الدموع ، و كلّ واحد يفرغ ما في جعبته من حديث لأخيه ، « و لا بدّ أنّ (يوسف) قد أخبر أخاه و أخذ موافقته في أمر المكيدة و الفخّ الذي يريد أن ينصبه لإخوته ، لذا لم يثبت السياق أيّ قول أو حركة للأخ حين انهم بالسرقة(3)».

أحد عشر: قال تعالى: ﴿فَلَمَّا أَن جَاءَ الْبَشِيرُ أَلْقَاهُ عَلَىٰ وَجْهِهِ فَارْتَدَّ بَصِيرًا ۗ قَالَ أَلَمْ

أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٦﴾ (4)

في هذه الآية الكريمة إضمار و حذف للحوار الذي يمكن أنه دار بين البشير و يعقوب -عليه السلام -، قيل: « أنّه سأله : كيف يوسف؟ فقال: هو ملك مصر... على أيّ دين تركته؟ قال: على دين الإسلام. قال : الآن تمت النعمة(5)».

أيضا هناك بعض الإضمارات بين أحداث القصة و مشاهدتها منها:

1- في قوله تعالى: ﴿قَالُوا يَا أَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأْمَنَّا عَلَىٰ يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُ لَنَصِحُونَ

أَرْسَلَهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَعُ وَيَلْعَبُ وَإِنَّا لَهُ لَحَفِظُونَ ﴿٦٢﴾ قَالَ إِنِّي لَيَحْزُنُنِي أَنَّ

(1) الزمخشري، الكشاف، ص330

(2) سورة يوسف ، الآية 69

(3) ينظر ، الزمخشري ، الكشاف، ج2، ص333

(4) سورة يوسف ، الآية 96

(5) الزمخشري، الكشاف ج2 ص343

تَذْهَبُوا بِهِ وَأَخَافُ أَنْ يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ وَأَنْتُمْ عَنْهُ غَافِلُونَ ﴿١٣﴾ قَالُوا لَيْنَ أَكَلَهُ

الذِّئْبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّا إِذًا لَخَسِرُونَ ﴿١٤﴾ (1)

أضمر السياق أمر موافقة و إذن من يعقوب - عليه السلام - على طلب أبنائه باصطحاب (يوسف) ، فما كان له أمام إلحاح و إصرار أبنائه على طلبهم - بعد أخذ و ردّ في الكلام ، و تأكيد على حمايته و الحفاظ عليه - إلا أن وافق و سمح لهم بأخذه على غير رضا و قناعة و اطمئنان ، و يفهم ذلك من خلال قوله تعالى:

﴿فَلَمَّا ذَهَبُوا بِهِ وَأَجْمَعُوا أَنْ يَجْعَلُوهُ فِي غَيَابَتِ الْجُبِّ وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُمْ بِأَمْرِهِمْ

هَذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٥﴾ (2)

هناك فراغ و إيجاز و حذف بين مشهد طلب الإذن باصطحاب (يوسف) ، و مشهد تنفيذ المؤامرة ، و العجب في الأمور هو ذلك التناسق و البناء الجيد بين هذه المشاهد فلا يوجد أي خلل في بنية النص ، حتى أنه لا يكاد يشعر القارئ بهذا الإيجاز أو الإضمار ، و هذا نوع من الإعجاز اللغوي و البلاغي في القرآن الكريم في القصص القرآني و يعجز أي مخلوق مهما كان عن مجاراته و محاكاته.

2- قال تعالى ﴿وَجَاءَ وَ آبَاهُمْ عِشَاءً يَبْكُونَ ﴿١٦﴾ قَالُوا يَا أَبَانَا إِنَّا ذَهَبْنَا

نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِنْدَ مَتَعِنَا فَأَكَلَهُ الذِّئْبُ وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَنَا وَلَوْ كُنَّا

صَادِقِينَ ﴿١٧﴾ وَجَاءَ وَعَلَى قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ ﴿١٨﴾ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا

فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ﴿١٩﴾ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ ﴿٢٠﴾ وَجَاءَتْ سَيَّارَةٌ فَأَرْسَلُوا وَارِدَهُمْ

فَادَلُّوا دَلْوَهُ قَالَ يَبُشْرَىٰ هَذَا غُلْمٌ وَأَسْرُوهُ بَضْعَةَ ﴿٢١﴾ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿٢٢﴾

وَشَرُّهُ بِشْمَنِ نَحْسٍ دَرَاهِمٍ مَعْدُودَةٍ وَكَانُوا فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ ﴿٢٣﴾ (3)

(1) سورة يوسف ، الآية 11-14

(2) سورة يوسف الآية 15

(3) سورة يوسف ، الآية 16/20



لم يفصل السياق في المدّة الزمّنيّة التي لبثها يوسف- عليه السّلام- في البئر ، قيل أنّه مكث به ثلاثة أيام (1) و على القارئ أن يتصوّر الحالة التّفسيّة و الجسديّة لصبيّ صغير داخل جبّ مظلم موحش ( الوحدة ، الحزن ، الجوع ، العراء ، البرد ، الألم... ) بعدما كان في حضن والده آمنة مطمئنًا .. و لكنّها العناية الإلهيّة و ابتلاء الله لأنبيائه و أصفائه.

3- ما بين المرادة و انتشار الخبر: من قوله تعالى: ﴿ وَرَاودَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا

عَنْ نَفْسِهِ ۖ وَعَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ ۚ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ

مَثْوَايَ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ ﴿٢٢﴾ ۖ وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ ۖ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ

رَبِّهِ ۚ كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ ۚ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ ﴿٢٣﴾

وَأَسْتَبَقَا الْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُ مِنْ دُبُرٍ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَا الْبَابِ ۚ قَالَتْ مَا جَزَاءُ مَنْ

أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا إِلَّا أَنْ يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٤﴾ ۖ قَالَ هِيَ رَاودَتْنِي عَنْ نَفْسِي ۚ

وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَا إِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ الْكَاذِبِينَ

﴿٢٥﴾ ۖ وَإِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٢٦﴾ ۖ فَلَمَّا رَأَى

قَمِيصَهُ قُدَّ مِنْ دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُ مِنْ كَيْدِكُنَّ ۖ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ ﴿٢٧﴾ ۖ يُوسُفُ أَعْرَضَ

عَنْ هَذَا ۚ وَأَسْتَغْفِرِي لِدُنْبِكِ ۖ إِنَّكَ كُنْتَ مِنَ الْخَاطِئِينَ ﴿٢٨﴾ ۖ وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي

الْمَدِينَةِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَنْ نَفْسِهِ ۖ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا ۗ إِنَّا لَنَرَاهَا فِي ضَلَالٍ

مُبِينٍ ﴿٢٩﴾ (2)

حذف السياق كفيّة انتشار خبر مرادة (يوسف) عن نفسه خارج البيت و وصوله إلى النّسوة في المدينة و من هنّ هؤلاء النّسوة ؟ « قيل: إنّ النّسوة كنّ خمسا و هنّ

(1) ينظر محمد علي الصابوني، مختصر تفسير ابن كثير، ص 244  
(2) سورة يوسف ، الآية 23-30



زوجات السّاقى و الخبّاز و صاحب الدّواب و صاحب السّجن و الحاجب، قيل: إنّها استكنتمهنّ سرّها فأفشينه عليها، و فضحنها بقولهنّ: إنّها عشقت عبداً (1) و ربّما يكون الخبر قد شاع من طرف الخدم و الجوارى في بيت العزيز.

4- ما بين تحسّس و إحساس يعقوب - عليه السّلام - و لقاء (يوسف)، من قوله

تعالى: ﴿يَبْنِيْ اٰذْهَبُوْا فَتَحَسَّسُوْا مِنْ يُوسُفَ وَاٰخِيْهِ وَاَلَّا تَاِيَّسُوْا مِنْ رَّوْحِ اللّٰهِ اِنَّهٗ لَا

يَاِيَّسُ مِنْ رَّوْحِ اللّٰهِ اِلَّا الْقَوْمُ الْكٰفِرُوْنَ ﴿٤٧﴾ فَلَمَّا دَخَلُوْا عَلَيْهِ قَالُوْا يَا اَيُّهَا الْعَزِيْزُ

مَسَّنَا وَاَهْلَنَا الضُّرُّ وَجِئْنَا بِبِضْعَةٍ مُّزَجَّةٍ فَاَوْفِ لَنَا الْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا اِنَّ اللّٰهَ

جَبْرِ الْمُتَصَدِّقِيْنَ ﴿٤٨﴾ قَالَ هَلْ عَلِمْتُمْ مَّا فَعَلْتُمْ بِيُوسُفَ وَاٰخِيْهِ اِذْ اَنْتُمْ

جَاهِلُوْنَ ﴿٤٩﴾ قَالُوْا اَءَنْتَ يُوسُفُ قَالَ اَنَا يُوسُفُ وَهٰذَا اٰخِيْ قَدْ مَنَّ اللّٰهُ

عَلَيْنَا اِنَّهٗ مَنْ يَّتَّقِ وَيَصْبِرْ فَاِنَّ اللّٰهَ لَا يُضِيعُ اَجْرَ الْمُحْسِنِيْنَ ﴿٥٠﴾ قَالُوْا تَاللّٰهِ

لَقَدْ اَثَرَكَ اللّٰهُ عَلَيْنَا وَاِنْ كُنَّا لَخٰطِيْئِيْنَ ﴿٥١﴾ قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ

اللّٰهُ لَكُمْ وَهُوَ اَرْحَمُ الرَّاحِمِيْنَ ﴿٥٢﴾ اَذْهَبُوْا بِقَمِيصِيْ هٰذَا فَاَلْقُوْهُ عَلٰى وَجْهِ اَبِيْ

يَاْتِ بِصِيْرًا وَاْتُوْنِيْ بِاَهْلِكُمْ اَجْمَعِيْنَ ﴿٥٣﴾ وَلَمَّا فَصَلَتِ الْعَيْرُ قَالَا اَبُوْهُمَّ اِنِّيْ

لَا جِدُّ رِيْحِ يُوسُفَ لَوْلَا اَنْ تُفْنِدُوْنَ ﴿٥٤﴾ قَالُوْا تَاللّٰهِ اِنَّكَ لَفِيْ ضَلٰلِكَ الْقَدِيْمِ ﴿٥٥﴾

فَلَمَّا اَنْ جَاءَ الْبَشِيْرُ الْقَدُّهُ عَلٰى وَجْهِهٖ فَارْتَدَّتْ بِصِيْرًا قَالَ اَلَمْ اَقُلْ لَكُمْ اِنِّيْ اَعْلَمُ مِنْ

اللّٰهِ مَا لَا تَعْلَمُوْنَ ﴿٥٦﴾ قَالُوْا يَا اَبَانَا اَسْتَغْفِرُ لَنَا ذُنُوْبَنَا اِنَّا كُنَّا خٰطِيْئِيْنَ ﴿٥٧﴾ قَالَ

سَوْفَ اَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّيْ اِنَّهٗ هُوَ الْغَفُوْرُ الرَّحِيْمُ ﴿٥٨﴾ فَلَمَّا دَخَلُوْا عَلٰى يُوسُفَ

ءَاوٰى اِلَيْهِ اَبُوْيَهٗ وَقَالَ اَدْخُلُوْا مِصْرًا اِنْ شَاءَ اللّٰهُ ءَاْمِنِيْنَ ﴿٥٩﴾ وَرَفَعَ اَبُوْيَهٗ عَلٰى الْعَرْشِ

(1) الزمخشري، الكشاف، ج 2 ص 316

وَحَرُّوْا لَهُ سُجْدًا ۖ وَقَالَ يَتَّابِتْ هَذَا تَأْوِيلُ رُءْيَايَ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاءَ بِكُمْ مِنَ الْبَدْوِ مِنْ بَعْدِ أَنْ نَزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي ۚ إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِمَا يَشَاءُ ۚ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴿١٠٧﴾

حذف السياق تفاصيل رحلة (يعقوب) و أبنائه من البادية إلى مصر ، و هناك يتصور أيضا القارئ حالة يعقوب - عليه السلام- بعد أن أتاه البشير ( السعادة و الفرح الشديديان ) و لهفة اللقاء و الشوق إلى (يوسف) ربّما تدفعه إلى استعجال القافلة و عدم الاستراحة في الطريق / طلب السير ليلا و نهارا .

و خلاصة القول أنّ الإضمار أو الإيجاز بالحذف من الأساليب البلاغية و الإعجازية التي يختصّ بها القصص القرآنيّ و لا سيما قصة يوسف - عليه السلام- ، حيث لا يجد القارئ أو السامع أيّ تفكّك أو تصدّع في بنية القصة و تسلسل أحداثها أو خلل في معانيها ، حتّى أنّه لا يمكن للمتلقّي أن يكتشف هذا الإضمار أو الحذف الوهلة الأولى ، إلا بعد التدبّر و التأمل و التعمّق في أحداثها و معانيها . و رغم الإضمّارات التي أشرت إليها أنفاً إلا أنّ سورة (يوسف) بقيت محافظة على وحدتها الموضوعية و هي « أن يكون العمل الفنيّ متماسكا إلى أبعد درجات التماسك بحيث أنّ كل جزئية تفضي إلى التي تليها ، و لا يمكن حذف جزئية واحدة لأنّ العمل الفنيّ يستغني عنها، أو إضافة جزئية أخرى يفتقر إليها(2)» إذن ففي سورة (يوسف) تمّ التركيز على أهمّ الأحداث أو الأمور البارزة و المهمة التي تخدم الغاية من القصة المتمثلة في القيم السامية التي تخدم البشرية ك:

- توطيد العقيدة.
- الصبر على الابتلاء و المحن.
- التضرّع إلى الله- سبحانه و تعالى- بالدعاء.
- التوجيه الاقتصاديّ و كيفية النّفقة و الاتّخار لوقت الحاجة.
- العفة و الشرف.
- العدل و الأمانة.
- التسامح و العفو عند المقدرة.

(1) سورة يوسف ، الآية 100/87

(2) أحمد نول، سورة يوسف، درسه تحليلية ص 97

- التوجّه إلى الله بالحمد و الثناء، و شكره على نعمه .  
 أمّا التفاصيل التي أضمرها السياق فهي مجال خصب للقارئ كي يعمل عقله  
 و مخيلته في تصوّرها و اكتشافها.

### ه-النّظم اللغويّ و التّناسق الفنّي

و يتمثل في توظيف اللّغة و حسن صياغتها و جودة وجزالة ألفاظها و عبقرية  
 تراكيبها.  
 و يظهر في ذلك الانسجام و التوافق و التآلف بين ألفاظ و عبارات و آيات سورة  
 (يوسف).  
 انطلاقاً من هذا التمهيد المشوّق قبل البدء في القصّة ، و الأحرف المقطّعة في بداية  
 السّورة ، و في ذلك البناء القصصيّ المحكم حيث الترابط بين أحداثها و التي يتولّد  
 بعضها عن بعض في إطار تسلسلها الزمنيّ ، يتشكّل نصّاً متكاملًا تسوده الوحدة  
 الموضوعية فلا يشعر المتلقي بأيّ خلل أو نقص فيه، رغم الإيجاز بالحذف ، و رغم  
 وجود آيات لا تشكّل أحداثاً للقصّة ، إلاّ أنّها تبدو جزءاً لا يتجزأ منها ، لأنّها تكملها  
 و تبين الغرض منها، و تتمثل في الفواصل و التّعقيبات التي يتخللها كما يظهر  
 الانسجام بين فواصل الآيات بانتهائها بنفس الحرف.  
 كما يظهر في التقابلات و المتضادات بين الألفاظ و العبارات ، و في الاستعمالات  
 اللغوية بصفة عامّة.

### ه-1- التمهيد للقصّة:

و يتمثل في الآيات الثلاث الأولى التي تستفتح بها السّورة و تقدّم العرض القصصيّ  
 قال تعالى: ﴿الرَّ ١ تِلْكَ ءَايَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ ٢﴾ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا  
 لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٣﴾ خُنْ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا  
 إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمَنِ الْغَافِلِينَ ﴿٤﴾ (1) . فهي  
 تمهيد مشوّق و جذاب ينبّه المتلقي و يشدّه و يرعّبه في الاطلاع على القصّة و معرفة

(1) سورة يوسف ، الآيات ، 1-2-3

تفاصيلها ، و يجعله يتحضرّ و يتهيأ نفسياً ليعيش في جوّها و يتفاعل مع أحداثها  
 « و هو ما يشبه اللحظات التي تسبق رفع الستار على خشبة المسرح ، فالعرض  
 وشيك أن يبدأ ، و على المتفرّجين أن يستعدّوا للمشاهدة<sup>(1)</sup>». لكنّ هذا التشبيه الذي ضربه (عبد الكريم الخطيب) بين التمهيد القرآنيّ و اللحظات  
 التي تسبق رفع الستار على خشبة المسرح ضعيف و غير لائق و غير جائز،  
 و إنّ كان غرضه منه الإفهام و توضيح الفكرة و تقريبها إلى ذهن المتلقي. فستأن بين  
 هذا و ذلك، فالتمهيد القرآنيّ أقوى تأثيراً و جاذبيّة للمتلقي ، و أكثر تحضيراً  
 نفسياً له من اللحظات التي تسبق رفع الستار في المسرح ، لأنّ هذه الأخيرة  
 من إبداع الإنسان فتأثيرها و فاعليّتها محدودين بمحدوديّة قدراته العقلية التي وهبه  
 الله إياها.

أمّا التمهيد القرآنيّ فهو من صنع و إبداع الخالق - جلّ و علا - فحاش لله أن يضاهيه  
 و يحاكيه إبداع بشر لأنّه كلام الله المعجز في أسلوبه و بأسلوبه فلا وجه للمقارنة  
 - إذن - بين ما هو من إبداع الخالق و ما هو من إبداع المخلوق، كيف لا؟!  
 و المبدع البشريّ في حدّ ذاته هو إبداع الخالق - تبارك و تعالى- .  
 فلمّا يقرأ أو يسمع المتلقي الآيات الثلاث الأولى من سورة يوسف يشعر بلهفة شديدة  
 و رغبة كبيرة للتطّلع إلى معرفة أحسن القصص الذي كان عنه النبيّ - صلى الله عليه  
 و سلم - غافلاً.

ه-2- الحروف المقطّعة (الر): ظلت هذه الحروف العربية المقطّعة في بداية السورة  
 القرآنيّة تشكّل إعجازاً قرآنيّاً و علميّاً، لازال قائماً لحدّ الساعة رغم أنّها اللبّات  
 الأساسيّة و التي تشكّل ألفاظ أي القرآن الكريم، و مادّتها الخام، ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا

عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢﴾ ، إلا أنّ المفسرين - قديماً و حديثاً - عجزوا

و اختلفوا في فهم معانيها و إدراك دلالتها ، و بقيت تفسيراتهم لها عبارة  
 عن تخمينات و اجتهادات فرديّة و شخصيّة ليس إلا!، "فمنهم من قال : هي ممّا  
 استأثر الله بعلمه و ردّوا علمها إلى الله و لم يفسّروها (...). و منهم من فسّرها  
 و اختلف هؤلاء في معناها ، فقال (عبد الرحمن بن زيد أسلم) : « إنّما هي أسماء  
 السور (...). و قيل: هي فواتح افتتح الله بها القرآن (...). و قيل هي اسم من أسماء الله

(1) عبد الكريم خطيب، القصص القرآني في منطوقه، ص 400

(2) سورة يوسف ، الآية 02

تعالى، و عن (ابن عباس): هو قسم أقسم الله به، و هو من أسماء الله تعالى (...). ،  
 وقال آخرون: بل إنما ذكرت هذه الحروف في أوائل السور التي ذكرت فيها بيانا  
 لإعجاز القرآن ، و إن الخلق عاجزون عن معارضته بمثله هذا مع أنه مركب  
 من هذه الحروف المقطعة التي يتخاطبون بها ، و قد حكى هذا المذهب (الرازي)  
 في تفسيره عن (المبرد) و جمع من المحققين و حكى (القرطبي) عن (القراء  
 قطرب) نحو هذا: و قررها (الزمخشري) في كشافه و نصره أم نصر، و إليه  
 ذهب الشيخ الإمام العلامة (أبو العباس ابن تيمية) (...): كل سورة افتتحت  
 بالحروف فلا بد أن يذكر فيها الانتصار للقرآن و بيان إعجازه و عظمته<sup>(1)</sup>.  
 و كذلك هذه الحروف المقطعة في بداية سورة (يوسف) تدلّ و تثبت عريبة القرآن  
 الكريم لمواجهة مشركي مكة، الذين كانوا يدعون أن أعجميا كان يعلمه لمحمد -صلى  
 الله عليه و سلم-، و أن هذا القرآن هو وحي أنزله الله- سبحانه و تعالى- عليه  
 - صلوات الله عليه و سلامه - لينبئه بما كان عنه من الغافلين<sup>(2)</sup> ﴿نَحْنُ نَقُصُّ

عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِن كُنْتَ مِنْ

قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ ﴿٣﴾ ، « هذه الجملة تنزل من جملة «إنا أنزلناه قرآنا

عربيا» منزلة بدل الاشتمال ، لأن أحسن القصص يشتمل عليه إنزال القرآن.  
 «... فهو أحسن من غيره من جهة حسن نظمه و إعجاز أسلوبه و بما يتضمنه  
 من العبر و الحكم، و كل القصص في القرآن هو أحسن القصص في بابه و كل  
 قصة في القرآن هي أحسن من كل ما يقصه القاص في غير القرآن و ليس المقصود  
 بأحسن القصص أن قصة يوسف -عليه السلام- هي أحسن قصة في القرآن الكريم  
 «<sup>(4)</sup>.

و أمّا عبارة ﴿ و إن كنت من قبله لمن الغافلين ﴾ ، فهي بمثابة التنبية للنبي - صلى  
 الله عليه و سلم- على أنه كان و قومه في غفلة عن مثل هذه الموضوعات و القصص  
 التي أشار إليها القرآن الكريم، و لم يتوجهوا إليها<sup>(5)</sup> حتى نزل الله - سبحانه و تعالى-  
 عليه القرآن الذي شمل أخبار السابقين ، و قصص الأنبياء و المرسلين و الصالحين  
 بما في ذلك قصة يوسف -عليه السلام-.

(1) ينظر ابن كثير، تفسير ابن كثير ، مج 1 ج 1 ص 36-39

(2) ينظر سيد قطب ، في ظلال القرآن الكريم، مج 4 ج 12 ، ص 1949

(3) سورة يوسف، الآية 3

(4) ينظر ابن عاشور ، تفسير التحرير و التنوير، ج 12 ص 202 - 204

(5) ينظر : سيد قطب: في ظلال القرآن ، ج 12، مج 4، ص 1970

إذن، في ذلك دلالة على أنّ مادة هذه التفصيلات لم تكن في السّجل الأدبيّ للحياة العربيّة في الجاهليّة، حتّى يمكن لظانّ أن يظنّ أنّ القرآن الكريم إنّما قد أعاد صياغتها في قالب جديد ، أو أبدعها إبداعاً جديداً (...)، أمّا ما كان من ابتداء السّورة بقوله تعالى: ﴿ أَلرَّ ﴾ ، فذلك ما لا يخفى جماله في توكيد أنّ النّزلات بهذه التفصيلات لم تمرّ عبر اللّغة العبريّة ، أو الآراميّة، أو السريانيّة، أو الحبشيّة، أو القبطيّة، أو الهيروغليفيّة، أو المسماريّة، أو غيرها من لغات الشّرق الأدنى (للغرب)، إنّما كانت من اللّوح المحفوظ عربيّة خالصة سائغة للقارئين و السّامعين و المتدبّرين (1).

و تشكّل هذه الأحرف الثلاثة ﴿ أَلرَّ ﴾ - أيضاً- نصف ﴿ الرّوياً ﴾ التي هي قطب الرّحى في قصّة (يوسف) و من المعالم البارزة.

### ه-3- الفواصل و التعقيبات:

و المراد بها تلك التّعليقات التي تعقب أحداث و مشاهد القصّة ، و الغرض منها هو الإيمان بوحديّة الله - سبحانه و تعالى- و الاتّعاظ و الاعتبار و الاقتداء و استلهاهم الدّروس من قصّة يوسف- عليه السّلام-.

فمنهج القرآن الكريم في عرضه القصصيّ لا يدع المتلقّي ينسى-في أي مرحلة من مراحل القصّة- الغاية أو الغرض الذي من أجله سيقت ، ألا و هو الدعوة إلى توحيد الله، و تنزيهه عن الشّرك ، و الإقرار بقدرته ، فينبّه من حين إلى حين بذلك .

و لهذا مزجت القصّة بما ليس منها من أحداث ، في شكل فواصل و تعقيبات متجانسة إلى حدّ كبير مع هذه الأحداث ، متمّمة لمعناها ، تأتي لتقرير حقيقة أو عظة أو توجيه و حتّى أو غيرها ، و دورها حفظ الفكر من التشتت مع أحداث القصّة فينسى الغاية أو العبرة منها و هي سمة القرآن الكريم. (2)

و هذه التعقيبات أو المنبّهات تشكّل مع أحداث قصّة (يوسف) بنيّة واحدة متكاملة ممّا يجعل القارئ أو المتلقّي لا يشعر بأي انقطاع أو خلل فيها، و منها قوله تعالى:

﴿ لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ آيَاتٌ لِّلسَّالِبِينَ ﴾ (3)

(1) محمد علي أبو حمدة: في النذوق الجمالي لسورة يوسف، صص 44-45

(2) ينظر: محمد سعيد رمضان البوطي: من روائع القرآن ، تأملات علمية و أدبية في كتاب الله مؤسسة الرسالة، بيروت ، 1996 ص 120

(3) سورة يوسف: الآية 07

فالغرض من هذه الآية هو التنبيه على ضرورة التدبّر في أحداث القصة لاستيعاب الدروس و العبر منها ، و الإيمان بوحداية الله- سبحانه و تعالى- بعد اكتشاف قدرته -عزّ و جلّ- في إظهار الحقّ و نصره المظلومين و الضّعفاء و تمكين عباده المتقين المخلصين ، و فضح كيد المجرمين الظالمين.

و قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ يَتَّبِعُونَ مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ<sup>ج</sup>

نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَنْ نَشَاءُ<sup>ط</sup> وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾ (1).

تنبّه هذه الآية على قدرة الله- سبحانه و تعالى- في تمكين يوسف - عليه السّلام- من بعد ضعف و إذلال ، فبعد محنتي الجبّ و السّجن يتقلد منصب الجاه و السّلطة ، فيصبح عزيز مصر و أمين خزائنها ، و يتلذذ بنعيم الدّنيا و متاعها إلا أنّ الله - سبحانه و تعالى- يذكر عباده المؤمنين المتقين بأنّ ما ينتظرونهم في الآخرة خير من متاع الدّنيا الزّائل لأنّ نعيم الآخرة دائم غير زائل : ﴿وَلَا جُرْ إِلَّا خَيْرٌ<sup>ح</sup>

لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴿٥٧﴾ (2).

و منها ما دلّ على تأييده - سبحانه و تعالى- لعباده المتقين المخلصين بإلهامهم الأفكار و الحلول أمام المشكلات و المآزق التي تعترضهم في حياتهم كما ألهم يوسف -عليه السّلام- بالفكرة و الطّريقة التي تمكّنه من إبقاء أخيه عنده ، و هذا لأنّ علم البشر محدود ، فينتج عنه العجز ، و أمّا علم الله مطلق غير محدود ، و قد أحاط بكلّ شيء علما: ﴿فَبَدَأَ بِأَوْعِيَتِهِمْ قَبْلَ وِعَاءِ أَخِيهِ ثُمَّ

اسْتَخْرَجَهَا مِنْ وِعَاءِ أَخِيهِ<sup>ج</sup> كَذَلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ

فِي دِينِ الْمَلِكِ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ<sup>ج</sup> نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مِّنْ نَّشَاءُ<sup>ط</sup> وَفَوْقَ كُلِّ

ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ ﴿٥٦﴾ (3).

(1) سورة يوسف: الآية 56

(2) سورة يوسف: الآية 57

(3) سورة يوسف: الآية 76

و أتى الله بهذه المنبّهات عقب الأحداث رغم دلالتها الضمنيّة في ثنايا القصة رحمة  
بمن قصّرت أفهامهم عن إدراك ما وراء القصة (الغاية منها)، و حرصا منه  
-سبحانه و تعالى- على تعميم الفائدة و تحصيلها بإظهار ما ورد فيها من عبـر  
و عظات . (1)

- و من هذه المنبّهات ما جاءت على لسان يوسف -عليه السلام- متضمّنة

في قوله: ﴿وَرَاودَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِ وَغَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ

وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لَا

يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ ﴿٢٣﴾ (2) هي التعقيب و التنبيه لأنها تفيد العموم

و الشمول و لا تقتصر على إتيان الفاحشة أو خيانة الآخرين في أعراضهم  
و شرفهم و فيها تحذير و وعيد لكلّ ظالم بالخسران و سوء المصير.

- و بعد كشف (يوسف) لهويته أمام إخوته راح يذكر و ينبّه بالأجر العظيم الذي

سيناله المتقون الصابرون عند ربهم : ﴿... قَالَ أَنَا يُوسُفُ

وَهَذَا أَخِي قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا إِنَّهُ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا

يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٩١﴾ (3)

- فيوسف -عليه السلام- كان من المتّقين لله و الصابرين على البلاء فجزاه أجره  
الله في الدنيا قبل الآخرة، و هكذا كلّ من يتّق الله و يصبر على الابتلاءات  
و المصائب و يحتسب الأجر عند الله يؤجر و يثاب لأنّ العبارة أفادت العموم  
و الشمول أيضا.

- و منها ما جاء على لسان يعقوب - عليه السلام- في سياق دعوته لأبنائه

إلى البحث عن (يوسف) و أخيه ، و استقصاء أخبارهما و نهيمهم عن اليأس

من روح الله: ﴿يَبْنِي أَذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَأْيَسُوا

(1) ينظر : عبد الكريم الخطيب: القصص القرآني في منظوقه و مفهومه ص 161-162

(2) سورة يوسف: الآية 23

(3) سورة يوسف : الآية 100



مِنْ رَّوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَأْتِسُّ مِنْ رَّوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ ﴿٨٧﴾

(1)

ففي قوله ﴿ إِنَّهُ لَا يَأْتِسُّ مِنْ رَّوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ ﴾ تنبيه

لأبنائه على أن اليأس من روح الله هو من شيم و صفات الكافرين، إلا أن هذا التنبيه جاء عامًا و شاملًا ، فالمؤمن إذا ما ابتلاه ربه بنائبة أو كرب ، صبر و حمد ربه، و انتظر فرجه ، لأنه يؤمن بالقضاء و القدر خيره و شره ، و أنه في هذه الحياة الدنيا امتحان و اختبار ، قال تعالى: ﴿ تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمَلِكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ

قَدِيرٌ ﴿١﴾ الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ

الْعَزِيزُ الْغَفُورُ ﴿٢﴾ (2)

و بعد هذه الفواصل و التنبيهات التي تخللت أحداث القصة ، تأتي التعقيبات المتنوعة بعد القصة، و في ختام السورة للبرهنة على صدق الرسالة التي جاء بها محمد - صلى الله عليه و سلم- و لتثبيت قلبه في الدعوة إلى الحق و مواجهة الكفار و المشركين ، و إقامة الحجّة عليهم قصد إقناعهم أو إفحامهم و تبكيّتهم. و تمثل التعقيب الأول بالرّد على تكذيب قريش للنبي -صلى الله عليه و سلم- بالوحي إليه، و بتقرير مأخوذ من هذا القصص الذي كان عنه غافلا إذ لم يحضر وقائعه: ﴿ ذَٰلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوا

أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُونَ ﴿١٢﴾ (3) يتوافق هذا التعقيب مع ما جاء في تقديم القصة:

(1) سورة يوسف: الآية 87

(2) سورة الملك: الآيتان : 1-2

(3) سورة يوسف: الآية 102

﴿لَحْنٌ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِن

كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ ﴿١٣﴾ (1)

و كلاهما - التقديم و التعقيب- يشكّلان تأثيراً فعّالاً لتقرير و توكيد الحقيقة في مواجهة المعترضين و المكذبين. ثم يعقب ذلك تخفّف الضغط على قلب النبي - صلى الله عليه و سلم - و تثبيت قلبه و طمأننته بتهوين أمر المكذبين على نفسه بكتشف عنادهم و إصرارهم على الشرك و غفلتهم عن آيات قدرته- سبحانه و تعالى- المثبتة في الكون ، و هي حسب الفطرة السليمة في التنبّه إلى دلائل الإيمــــــــــــــــان و الاستماع إلى الدّعوة و البرهان ، ثم توعدّهم بعذاب من الله مبالغت و هم في غفلة من أمرهم : ﴿وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿١٣﴾ وَ مَا تَسْأَلُهُمْ

عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ ﴿١٤﴾ وَكَأَيِّنْ مِنْ آيَةٍ فِي

السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَمُرُونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ ﴿١٥﴾ وَ مَا يُؤْمِنُ

أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ ﴿١٦﴾ أَفَأَمِنُوا أَن تَأْتِيَهُمْ غَشِيَةٌ مِّنْ

عَذَابِ اللَّهِ أَوْ تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٧﴾ (2)

ثم يلي ذلك توجيه الرّسول- صلى الله عليه و سلم- إلى حدّ تحديد طريقه و تميّزها و انفرادها عن كلّ طريق: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُوا إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا

وَمَنْ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٨﴾ (3)

و تختم السّورة بالتنبيه على العبر التي سيقف عبر القصص القرآني كلّها، تثبّتاً و تسريّة و بشرى للنبي - صلى الله عليه و سلم- و القلّة المؤمنة معه، و تذكيراً و عظة و تحذيراً للمشركين ، و تقريراً لحقيقة الوحي و صدق الرّسول- صلى الله

(1) سورة يوسف: الآية 03

(2) سورة يوسف: الآية 103-107

(3) سورة يوسف: الآية 108

عليه و سلم- (1): ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِيَ إِلَيْهِمْ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٠٩﴾﴾ حَتَّى إِذَا اسْتَيْسَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا جَاءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِيَ مَنْ نَشَاءُ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ ﴿١١٠﴾﴾ لَقَدْ كَانَ فِي قَصصِهِمْ عِبْرَةً لِأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١١١﴾﴾ (2).

و خلاصة القول من هذه الفواصل و التنبهات و التعقيبات ، هي الدعوة إلى الإيمان بالله - سبحانه و تعالى - و توحيده و التحذير من الشرك و الظلم و فساد العقيدة ، و ترغيب عباده المتقين المخلصين في جنّته ، و ترهيب الكفار المشركين و الظالمين من العذاب الشديد و سوء المصير ، فالغرض منها -إذن- هو الإقناع عن طريق التنبية و التذكير و التحذير و الترغيب و الترهيب.

#### هـ-4-التقابلات

و تتمثل في المتضادات اللغوية الثنائية بين الكلمات و العبارات في أقوال الأطراف المتحاورة، و التي تفيد تقوية و توضيح المعاني بغرض تحقيق الإقناع بين الطرفين المتحاورين.

و توظف هذه الثنائية الضدية في قول الواحد- أيضا- و هي ما يصطلح عليه في علم البلاغة بالطباق\* و المقابلة بهدف توضيح المعنى و إقناعه برأيه و فكرته.

(1) ينظر : سيد قطب: في ظلال القرآن الكريم ، مج4، ج12، ص1966-1968

(2) سورة يوسف: الآية 109-111

\* الطباق: يتمثل في علاقة التضاد بين كلمتين، إما مثبتين و سمي طباق إيجاب، و إما إحداهما مثبتة و الأخرى منفية و سمي طباق سلب.

أما المقابلة: تتمثل في علاقة تضاد بين عبارتين، و أثرهما: تقوية و توضيح المعنى، لأن المعاني بأضدادها تتضح.

و من هذه التّقابلات:

1- ما جاء في الحوار الذي دار بين إخوة (يوسف) بشأن اصطحاب أخيهم يوسف- عليه السّلام- للعب و التّنزه مؤكّدين على حمايته و المحافظة عليه و تردّد يعقوب- عليه السّلام- في ذلك خوفا على ابنه، و حزنا على فراقه: ﴿ قَالَ إِنِّي

لَيَحْزُنُنِي أَنْ تَذْهَبُوا بِهِ وَأَخَافُ أَنْ يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ وَأَنْتُمْ عَنْهُ غَافِلُونَ ﴾ (1) =/=

﴿ قَالُوا لَئِنْ أَكَلَهُ الذِّئْبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّا إِذًا لَخَسِرُونَ ﴾ (2)

2 -بين أخذهم لأخيهم (يوسف) صباحا، و عودتهم مساء: ﴿ فَلَمَّا ذَهَبُوا بِهِ

وَأَجْمَعُوا أَنْ يَجْعَلُوهُ فِي غَيْبَتِ الْجُبِّ وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُمْ بِأَمْرِهِمْ هَذَا وَهُمْ لَا

يَشْعُرُونَ ﴾ (3) =/= ﴿ وَجَاءَ وَ آبَاهُمْ عِشَاءً يَبْكُونَ ﴾ (4)

و حجّتهم هنا ضعيفة ، إذ كيف يدّعون بأنهم جماعة و سيحمون أخاهم من الذئب و لمّا أخذوه عادوا مساء (ليلا) مخدوعين بأنّ الذئب أكله، و هي الحجّة التي كان يتخوّف منها يعقوب- عليه السّلام- و عودتهم ليلا محاولة منهم لتضليل والدهم كي يصدّقهم ، كما أنّهم كانوا يشكّون بأنّه سيصدّقهم في ادّعائهم بأنّ الذئب أكله، لذلك حاولوا إقناعه بتوظيف المقابلة في قولهم: ﴿ وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا ≠ وَلَوْ كُنَّا

صَادِقِينَ ﴾ (5)

3 -ما جاء في تبادل الاتهام بين امرأة (العزیز) و يوسف -عليه السّلام-:

﴿ وَأَسْتَبَقَا الْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُ مِنْ دُبُرٍ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَا الْبَابِ قَالَتْ مَا جَزَاءُ

مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا إِلَّا أَنْ يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ =/= ﴿ قَالَ هِيَ رَاوَدَتْنِي

(1) سورة يوسف: الآية 13

(2) سورة يوسف: الآية 14

(3) سورة يوسف: الآية 15

(4) سورة يوسف: الآية 16

(5) سورة يوسف: الآية 17

عَنْ نَفْسِي ۚ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَا إِن كَانَ قَمِيصُهُ قُدًّا مِنْ قَبْلِ فَصَدَقْتَ وَهُوَ مِنْ  
الْكَذِبِينَ ﴿٢٦﴾ (1)

اتَّهَمَتْ امْرَأَةٌ (العزیز) یوسف - علیه السَّلام - بالباطل مقترحة العقاب الذي يستحقه  
بغرض إقناع العزیز بصدقها ، و إخضاع (یوسف) لها بالقوة حتى لا يمنع عن تحقيق  
رغبتها و الاستجابة لها مرة أخرى (مستقبلاً)، و یوسف - علیه السَّلام - يدافع  
عن نفسه ، و يتهم امرأة العزیز بمرادته عن نفسه محاولاً إقناع العزیز بحقيقة  
ما يقول ، و هنا يتدخل الشاهد ليفصل في الأمر و يحسم القضية: ﴿... وَشَهِدَ

شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَا إِن كَانَ قَمِيصُهُ قُدًّا مِنْ قَبْلِ فَصَدَقْتَ وَهُوَ مِنْ  
الْكَذِبِينَ ﴿٢٦﴾ =/= وَإِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدًّا مِنْ دُبُرٍ فَكَذَبْتَ وَهُوَ مِنْ  
الصَّادِقِينَ ﴿٢٧﴾ (2)

• أدى التقابل بين هاتين العبارتين تناسقاً فنياً على مستويات ثلاث:

- 1 - على مستوى المواقف: (أراد بأهلك سوءاً =/= هي راودتني)
- 2 - على مستوى الدليل: (قد من قبل =/= قد من دبر).
- 3 - على مستوى الافتراض أو الحكم (صدقت و هو من الكاذبين =/= كذبت  
و هو من الصادقين).

و لا يخفى ما لهذا من إيقاع مطرب على الأذان و الأفهام ، فضلاً عن إجلاء  
الحقائق (3). لقد أسهمت التقابلات المنطقية التي وظفها الشاهد في حسم الموقف

لصالح يوسف - علیه السَّلام - و إدانة امرأة (العزیز) ﴿فَلَمَّا رَأَى قَمِيصَهُ قُدًّا مِنْ

دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُ مِنْ كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ ﴿٢٨﴾ (4)

(1) سورة يوسف: الآيتان 25-26

(2) سورة يوسف: الآيتان 26-27

(3) ينظر: الزمخشري: الكشاف، مج2، ص316

(4) سورة يوسف: الآية 28

4- ما جاء في قول النسوة حين رأينه: ﴿ مَا هَذَا بَشَرًا =/ إنَّ

هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ﴿٣١﴾ (1)، و توحى هذه المقابلة بمدى انبهار و ذهول

و إعجاب النسوة بجمال و بهاء يوسف - عليه السلام-

5- ما جاء على لسان يوسف - عليه السلام- حين دعوته صاحبي السجن إلى الله

: ﴿يَصْصِحِي السَّجْنَ ءَأَرْيَابُ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ =/ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ

الْقَهَّارُ ﴿٣٢﴾ (2)

أراد يوسف - عليه السلام - بهذه المقابلة تقويّة و توضيح المعنى الذي يريد توصيله إلى السجينين عن طريق مخاطبة الجانب العقليّ فيهما بتوظيف الاستفهام الإنكاري، قصد إقناعهما بوحدانيّة الله - سبحانه و تعالى- فهل تعدّد الآلهة الذي يؤدّي إلى الفرقة و النزاع و الصّراع خير أم عبادة الله الواحد القهّار و خالق كل شيء؟!.

6- ما جاء في نصيحة يعقوب - عليه السلام- لأبنائه بخصوص الدّخول

على عزيز مصر: ﴿ وَقَالَ يَبْنَى لَا تَدْخُلُوا مِنْ بَابٍ وَاحِدٍ ≠ وَأَدْخُلُوا

مِنْ أَبْوَابٍ مُتَفَرِّقَةٍ ﴿٣٣﴾ (3)، تعكس هذه المقابلة مدى حبّ يعقوب

- عليه السلام- لأبنائه إذ ينهاهم عن الدّخول من باب واحد ، و يأمرهم بأن يدخلوا من أبواب متفرقة خشية أن يصيبهم أيّ مكروه.

7- في موقف تزكية الله- عزّ و جلّ- لنبيّه يعقوب- عليه السلام- على غالبية النّاس

في العلم: ﴿ وَإِنَّهُ لَدُو عِلْمٍ لِّمَا عَلَّمْنَهُ ≠ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا

يَعْلَمُونَ ﴿٣٤﴾ (4)، توحى هذه المقابلة بفضل الله- عزّ و جلّ-

(1) سورة يوسف: الآية 31

(2) سورة يوسف: الآية 39

(3) سورة يوسف: الآية 67

(4) سورة يوسف: الآية 68

8 - على يعقوب - عليه السلام- بأن أتاه العلم و خصّه على أكثرية الناس ،  
و أن أغلبية الناس يجهل هذه الحقيقة، حقيقة أن يعقوب - عليه السلام- أعلم  
منهم لأنه يوحى إليه.

9 - ما جاء في ردّ يعقوب - عليه السلام - على أبنائه حين عاتبوه على ذكر يوسف  
- عليه السلام- الذي يكاد يودي بحياته من شدة الحزم و الحسرة:

﴿...وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ (1) ، أراد يعقوب

- عليه السلام- من هذه المقابلة أن يوضّح و يبيّن لأبنائه مدى تعلقه و إيمانه  
بالله و بقدرته ، و لهذا لا ييأس من رحمته و لا ينقطع رجاءه فيه، و هذا  
فضل من الله عليه إذ أتاه العلم و أنهم لهذه الأمور لا يعلمون. « فهو يعلم  
من حقيقة ربّه و من شأنه ما لا يعلمه هؤلاء المحجوبون عن تلك الحقيقة بذلك  
الواقع الصّغير المنظور » (2)، فهو ينبّههم إلى قصور عقولهم عن إدراك  
المقاصد العليا ، فهم أقلّ و أدنى مرتبة من أن يعلموه و يلوموه لأنّ له علم  
النبوة » (3)

10 - ما ورد في رؤيا الملك : ﴿ وَقَالَ الْمَلِكُ إِنِّي أَرَى سَبْعَ

بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعُ عِجَافٍ وَسَبْعُ سُنبُلَاتٍ خُضْرٍ ≠

وَأُخْرَ يَابِسَاتٍ يَتَأَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي رُءْيَايَ إِنْ كُنْتُمْ لِلرُّءْيَا

تَعْبُرُونَ﴾ (4) ، هذه المتضادات وضّحت الفكرة و المعنى ليوسف

- عليه السلام- فكانت بمثابة المفاتيح التي مكنته من تأويل رؤيا الملك.

11 - طباق الإيجاب، الذي ورد في مناجاة يوسف- عليه السلام- لربّه:

﴿ رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ

(1) سورة يوسف: الآية 86

(2) سيد قطب: في ظلال القرآن، مج4، ج13، ص206

(3) ينظر: ابن عاشور: تفسير التحرير و التنوير، ج13، ص45

(4) سورة يوسف: الآية 43.

فَاطَرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنْتَ وَلِيِّ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ تَوَفَّنِي <sup>ط</sup>

مُسْلِمًا وَالْحَقِّنِي بِالصَّالِحِينَ ﴿١٠١﴾ (1).

بين { السماوات ≠ الأرض }  
 { الدنيا ≠ الآخرة } ← هذان الطباقتان يعكسان قوة إيمان يوسف - عليه السلام -

### ه-5- فواصل الآيات:

هي انتهاء الآيات بنفس الحرف تباعاً، فينتج عن ذلك نغم موسيقي ترتاح له الأذن، و تأنس له النفس ، و يطمئن له القلب، و هو ما يصطلح عليه في علم البلاغة بالسَّجْع.

و هذا الأثر النفسي الذي يتولد عن تذوق السَّجْع و الإحساس بالجمال من شأنه أن يجذب المتلقي و يشدَّ انتباهه لفهم الرّسالة و الإقناع بها.

و أمّا الحروف التي شكّلت فواصل الآيات في سورة (يوسف)، فأربعة و هي: ( التّون، الميم، الرّاء، اللام).

و يمكن إحصاء عدد هذه الحروف ، و الآيات التي وردت فيها في الجدول الآتي:

عدد الآيات	رقم الآية	الحرف
1	66	اللام
2	65-39	الراء
15	-95-84-83-76-72-55-53-50-34-31-28-25-06 100-98	الميم
93	في باقي الآيات	النون

و يتبيّن من الجدول أنّ حرف (التّون) هو الذي شكّل الفاصلة الأساس في سورة (يوسف) لأنّه الأكثر دوراناً، و هو من أغنى الحروف إيقاعاً و نغماً موسيقياً، و يليه حرف (الميم) و هما حرفا الغنة<sup>(2)</sup>

### ه-6- حسن استعمال الألفاظ و جماليّة التّعبير:

(1) سورة يوسف: الآية 101

(2) ينظر: أحمد نوفل : سورة يوسف ،دراسة تحليلية ص24 ، عن مريم سعود ، البعد التصويري في القرآن الكريم، سورة يوسف نموذجاً ص106



و يتمثل في تناسق الألفاظ و توافقها و تجاورها شيوعا و غرابة و حسنا و عبقرية في عمليتي التوظيف و التركيب ، « إن الذي يعمن النظر في النظم القرآني يلاحظ التناسق الكامل و التآلف التام بين العبارات القرآنية و المعنى الذي يراد بيانـه و توضيحه ، فالألفاظ في النظم يلائم بعضها بعضا، و هي كلها متوجهة إلى الغرض المنشود ، بحيث إذا كان المعنى غريبا، كانت ألفاظه غريبة ، و إذا كان المعنى معروفا مستحدثا ، كانت الألفاظ تناسبها » (1)، و من هذه الاستعمالات و التعبيرات في سورة (يوسف) مايلي:

1- ما جاء في قوله تعالى: ﴿ لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ آيَاتٌ ۝۱ ﴾

لِّلسَّالِئِنَ ﴿٧﴾ إِذْ قَالُوا لِيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَيْنَا مِمَّا نَحْنُ

عُصَبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٨﴾ (2).

فما أجمل هذا التعبير القرآني في توظيف اللفظة (كان) بصيغة التذكير، و فصلها عن لفظة (آيات) بفواصل زمني و مكاني ، و هذه الصيغة - (التذكير) - أقرب إلى التوكيد و أمت نسبا بلفظة (لقد). و ما أجمله في توظيف لفظة (إن) إذ كانت أداة فنيّة رائعة للتوطئة إلى سرد القصة ، و في عبارة ﴿ أحبّ إلى أبينا ممّا ﴾ تركيب بالغ الجمال، فائق الحسن، ناتج عن تناسق الألفاظ و توافقها و تجاورها. فكان فيها من الانسيابية و الموسيقى الداخليّة ما جعل لحروف الجرّ طعما مميّزا، هذه الأخيرة ما كانت لتكون بأحسن من مثل هذا السياق و هذا التعبير و هذا التأثير في تغيير العواطف و المواقف (3).

2- ما جاء على لسان إخوة (يوسف) تعبيراً عن استغرابهم و تعجبهم من حالة والدهم الذي تملكه الحزن الشديد على يوسف - عليه السلام- حين تذكّره

في موقف ضياع أخيه : ﴿ قَالُوا تَاللَّهِ تَفْتُوا تَذَكُرُ يُوسُفَ حَتَّىٰ ۝۱ ﴾

(1) مصطفى مسلم، النظم القرآني ، جزأته و تناسقه، الموقع : [WWW.Vb-alfaris.net](http://WWW.Vb-alfaris.net)

(2) سورة يوسف: الآية 7-8

(3) ينظر محمد علي أبو حمدة: في التذوق الجمالي لسورة يوسف، ص 62

تَكُونُ حَرَضًا أَوْ تَكُونُ مِنَ الْهَالِكِينَ ﴿٨٥﴾ (1)، فالقسم

باستعمال حرف (التاء) هو الأقل شيوعاً عند عامة الناس مقارنة بحرفي (الباء) و (الواو)، فهما الأعراف عند الكافة و الأكثر دوراناً على الألسنة. و توظيف لفظة (تفتأ) من أغرب أخوات كان و أقلها استعمالاً ، و ما زاد في غرابتها مجيئها بصيغة المضارعة و تجريدها من حرف النفي- فالشائع أنها تأتي بصيغة الماضي مقرونة بحرف النفي (ما فتئ). و لفظة (حرضا) هي أغرب الألفاظ الدالة على الهلاك (2) بالإضافة إلى تكرار صوت (التاء) الذي يجعل كلامهم أشبه بالتأتأة ، و هي تردّد صوت التاء على اللسان. (3)

الآية ﴿ تَاللّٰهِ تَفْتَأُ تَذَكُرُ يُوسُفَ حَتَّىٰ تَكُونَ حَرَضًا ﴾:

و علل (فاضل السامرائي) مجيء لفظة (تفتأ) مجردة من حرف النفي (لا) مخالفة للقاعدة النحوية بقوله : « إنما آية سورة (يوسف) هي الوحيدة التي تفيد النفي و لم يذكر فيها حرف النفي، لماذا؟ الذين أقسموا هم إخوة (يوسف)، ومن المقرر في النحو أن الذكر يفيد التوكيد ، و الحذف أقلّ توكيداً، فعلى ماذا أقسموا؟ أقسموا أن أباهم لا يزال يذكر (يوسف) حتى يهلك، فهل هم متأكدون من ذلك؟ أي، هل هم متأكدون أن أباهم سيفعل ذلك حتى يهلك؟ وهل حصل ذلك؟، كلا لم يحصل (4)»، فعدم تأكدهم - إذن- من هلاك والدهم هو محاولة منهم لتحذيره و تنبيهه ، حذفوا حرف النفي (لا).

لماذا (تفتأ) دون أخواتها ، مثل: لا تبرح، لا تنفك، لا تزال، لأنّ لفظة (تفتأ) تدلّ على معنى : النسيان و السكوت و الإطفاء ، و قد وردت في هذه الآية متضمنة لكلّ هاته المعاني ، فيعقوب - عليه السلام- لم تنطفئ نار شوقه على ابنه يوسف- عليه

(1) سورة يوسف : الآية 85

(2) ينظر: مصطفى مسلم: التظم القرآني، جزأته و تناسقه. ينظر: أحمد جمال الدين : لغة الحوار في سورة يوسف، دراسة أسلوبية ص12

(3) أحمد جمال الدين : المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

(4) فاضل السامرائي : أسرار البيان في التعبير القرآني ص01

السّلام- و لم ينسأه ، و لم تسكن جراحه و آلامه على فراقه (1). ﴿ وَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ

يَأْسَافُ عَلَىٰ يُوسُفَ وَأَبْيَضَتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحَزَنِ فَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٨٤﴾ (2).

و أمّا عن دلالة تذكير الفعل(قال) في قوله: ﴿ وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ

أُمَّرَأْتُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَن نَّفْسِهِ ۗ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا ۗ إِنَّا لَنَرْنَاهَا فِي

ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٢﴾ ﴿ فذلك لأنّ فاعله (نسوة) جمع تكسير دالّ على القلة ، و جمع

التكسير - بحسب القاعدة التحوية- يقبل التذكير و التأنيث، أي : يجوز تذكيره و تأنيثه، فإن دلّ على الكثرة يؤنث عامله(الفعل)، و إن دلّ على القلة فيذكر، و لما كان جمع التكسير (نسوة) هنا في هذه الآية دالاً على القلة ، باعتبار هؤلاء النسوة هنّ حاشية امرأة (العزير)- جاء الفعل (قال) مذكراً على خلاف – مثلاً: ما جاء في قوله تعالى: ﴿ قَالَتِ الْأَعْرَابُ ءَأَمْنَا قُل لَّمْ تُوْمِنُوا وَلَكِن قُولُوا أَسَلَمْنَا وَلَمَّا

يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ ۗ وَإِن تُطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَا يَلِتْكُمْ مِّنْ

أَعْمَالِكُمْ شَيْئًا ۚ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤﴾ (3)، فإنّ الفعل (قالت) جاء مؤنثاً ،

لأنّ جمع التكسير (الأعراب) دالّ على الكثرة. (4)

إذن على رأي (السامرائي) ، لو كان القول صادراً عن كلّ نساء المدينة أو عن جلّهن لجاء الفعل (قال) مقترناً ببناء التأنيث ، و السؤال الذي يطرح هنا، هو : لو جاءت لفظة (نسوة) معرفة بالألف و اللام ، أو لفظة (الأعراب) نكرة، أفلا تختلّ قاعدة التأنيث و التذكير في الفعل (قال)؟

#### ه-7-جمالية البناء القصصي:

شكّلت (يوسف) بنية موحّدة مكتملة ، إذ تحقّق فيها الترابط و الانسجام وفق منهجية التقديم و التأخير و العرض و الخاتمة. فهي القصّة الوحيدة في القرآن الكريم جاءت

(1) ينظر: المرجع نفسه ص47

(2) سورة يوسف: الآية 84

(3) سورة الحجرات: الآية 14

(4) فاضل صالح السامرائي: أسرار البيان في التعبير القرآني، ص07

كاملة في سورة واحدة و سمّيت باسمها على عكس بقية القصص التي تعدد و تكرر ذكرها في عدة سور ، كقصة موسى مثلا.

تبنى الحبكة السردية في سورة (يوسف) على طبيعة منطق الروابط بين شخصيات القصة و تسلسل الأحداث المنطقي ، إذ تتولد عن بعضها البعض، و تتعاقب و تتطور شيئا فشيئا، حتى يصل بها السارد إلى قمة الصراع و التوتر ، ثم يعود بها في حركة إياب للأخذ بموقف سابق لبنائه ، و السير به قدما في معترك الأحداث السردية ، أو الشروع في بلورة موقف سردي آخر (...). فبعد التمهيد المشوق للقصة ، يشرع في عرض أحداثها ، فكانت البداية خطيئة و معصية، و النهاية اعتراف بالخطيئة و توبة و مغفرة ، و ما بين البداية و النهاية صراع شديد برز في شكل ثنائيات متضادة: الحبّ و الكره، الخير و الشر، الشهوة و العفة، اليأس و الفرج، المرض و الشفاء، و هي ثنائيات أعطت للبنية السردية شحنات عاطفية و ثراء لغويا و عمقا دلاليا. (1)

و خلاصة القول أنّ الأحداث في سورة يوسف تتابعت و تعاقبت في شكل ثنائيات متضادة وفق نسق قصصي اتسم بالوحدة و الموضوعية، انطلاقا من رؤيا (يوسف) -عليه السلام- في طفولته إلى غاية تحققها بأن صار عزيز مصر ، و سجد له أبواه و إخوته سجود التحيّة.

(1) ينظر بلقاسم دفة: بنية الخطاب السردية في سورة يوسف، دراسة سيميائية الموقع : WWW.maamri-12010.y007.com.

الفصل الرابع : الاستدلال و المحاجة في سورة يوسف

من الأساليب التي تستخدم في الإقناع أثناء العملية التواصليّة و الحوارية أسلوب الاستدلال و المجاجة.

فالاستدلال أسلوب منطقيّ عقلائيّ يقوم أساسا على القياس و الاستقراء و التمثيل و الاستنتاج. أمّا الحجاج فهو أسلوب عقلائيّ - أيضا - يعتمد فيه صاحبه على تقديم الحجّة البليغة و الدامغة و البرهان القاطع لإقناع المتلقي برسالته أو فكرته أو وجهة نظره.

و على غرار ما تضمّنه و اشتمل عليه القرآن الكريم و قصصه من أساليب استدلال و برهنة ، و استنتاج و مجاجة و إقناع بصفة عامّة، جاءت سورة يوسف ، و قصّته - عليه السّلام - حافلة بهذه الأساليب المنطقية و الأدلة العقلية ، بالإضافة إلى التأثيرات النفسية ، و الانفعالات العاطفية التي تتخللها أو تعقبها أثناء العملية التواصليّة الحوارية ، و التي تخدم كلّها موضوع الإقناع ، و من هذه الأساليب مايلي:

### 1- حجاج إخوة يوسف لأبيهم:

لما شعر إخوة (يوسف) بميل والدهم يعقوب - عليه السّلام - إلى يوسف - عليه السّلام- و أخيه و حبّه الزائد أو المفرط لهما و تقريبيهما منه تمكّنتهم الغيرة ، و اعتبروا ذلك ظلما و إجحافا في حقهم ، و اتهموا أباهم بالضلال المبين ، كونه فضّل أخاهم الصّغير غير الشقيق عنهم، و أحبّه أكثر منهم و هم جماعة - و إن كان هذا أمرا طبيعيا لدى عامّة النّاس أنّهم يقربون الصّغير و يشعرونه بالحنين و يداعبونّه و إلى ما هناك - .

و لقد أدّت بهم هذه الغيرة العمياء و النّفس الأمّارة بالسّوء و وسوسة الشّيطان إلى التفكير و الإقدام على نصب أو تدبير مكيدة للتخلّص من يوسف - عليه السّلام - حتّى تخلّوا لهم السّاحة، و يظفروا بحبّ والدهم و حدهم. ﴿ إِذْ قَالُوا

لِيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَيْنَا مِمَّا نَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٨﴾ أَقْتُلُوا

يُوسُفَ أَوْ أَطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخَلَ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُوا مِنْ بَعْدِهِ قَوْمًا صَالِحِينَ ﴿٩﴾

قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ لَا تَقْتُلُوا يُوسُفَ وَالْقَوْهُ فِي غَيْبَتِ الْجُبِّ يَلْتَقِطُهُ بَعْضُ السَّيَّارَةِ إِنْ

كُنْتُمْ فَاعِلِينَ ﴿١٠﴾ قَالُوا يَتَّابَانَا مَا لَكَ لَا تَأْتِنَا عَلَى يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُ لَنَصِحُونَ ﴿١١﴾

أَرْسَلَهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَع وَيَلْعَبُ وَإِنَّا لَهُ لَحَفِظُونَ ﴿١٢﴾ قَالَ إِنِّي لَيَحْزُنُنِي أَنْ تَذْهَبُوا بِهِ وَأَخَافُ أَنْ يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ وَأَنْتُمْ عَنْهُ غَافِلُونَ ﴿١٣﴾ قَالُوا لَئِنْ أَكَلَهُ الذِّئْبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّا إِذًا لَخَسِرُونَ ﴿١٤﴾ فَلَمَّا ذَهَبُوا بِهِ وَاجْتَمَعُوا أَنْ يَجْعَلُوهُ فِي غَيْبَتِ الْجُبِّ وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُمْ بِأَمْرِهِمْ هَذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٥﴾ وَجَاءَ وَآبَاهُمْ عِشَاءً يَبْكُونَ ﴿١٦﴾ قَالُوا يَا أَبَانَا إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِنْدَ مَتَاعِنَا فَأَكَلَهُ الذِّئْبُ وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ ﴿١٧﴾ وَجَاءَ وَعَلَى قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ۗ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ ﴿١٨﴾ ﴿١﴾

و افتتحوا قولهم بلام الابتداء التي تفيد التوكيد قصد تحقيق الخبر ، أي: بهدف توكيد لازم الخبر (لازم الفائدة\*) ، المتمثل في ظنهم و اعتقادهم بأن أباهم يحب يوسف - عليه السلام - و أخاه أكثر منهم ، و لا أحد منهم كان يشك في ذلك، و لكنهم لم يكونوا على نفس درجة الحسد و الغيرة لأخويهما ، بدليل أنهم اختلفوا في قتل يوسف - عليه السلام - كما سيأتي لاحقا، فكان هذا الطرح من بعضهم لتأجيج نار الغيرة و الحسد لدى بقية الإخوة ضد أخويهما، و هذا لغرض إقناع بعضهم عن بعض بفكرة الكيد و التخلص من يوسف - عليه السلام - (2).

فكيف يفعل أبوه ذلك و هم العصابة و الأكبر سنا « و العصابة هم الجماعة التي تعصب بهم الأمور و تجابه بهم الشدائد» (3)، في حين أن يوسف - عليه السلام - و أخاه غلامان صغيران لا نفع منهما، فأبي عقل في هذا؟!!

(1) سورة يوسف: الآية 8-18

(\*) الخبر في البلاغة نوعان: حقيقي و غير حقيقي، فغير الحقيقي هو الذي يخرج إلى أغراض بلاغية متعدّدة تفهم من سياق الكلام، أما الحقيقي فهو نوعان: فائدة الخبر و لازم الفائدة، فأما الأول: فائدة الخبر: و هو أن يسمع المخاطب أو المتلقي خيرا كان يجهله كأن يقول القائل: نزل الوحي على محمد- صلى الله عليه و سلم - و هو في الأربعين من عمره ، و هو يعلم بأن السامع يجهل الخبر، و أما الثاني لازم الفائدة ، و هو أن يقدم المتكلم المخاطب خيرا و هو يعلم بأنه يعلمه ، كأن يقول الأستاذ للطالب المجتهد: أنت طالب مجتهد.

(2) ينظر ابن عاشور: التحرير و التنوير ، ج12، ص220

(3) الزمخشري ، الكشاف ، ص304

هكذا كانوا يفكرون، هكذا كانوا يقدرون الأمور، حتى تجرّوا على والدهم و نعتوه بأنه في ضلال مبين، أي: أنه مخالف للصواب، و ضالّ في تفضيل حبّ يوسف - عليه السلام - و أخيه على حبّهم<sup>(1)</sup>.

و قولهم: ﴿لِيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَيَّ أُبَيِّنَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ آبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ

﴿٢﴾<sup>(2)</sup>، كان بمثابة مقدّمة تأثيرية في نفوس السامعين للامتثال للمطلوب و الإقناع

به و هذه خاصية من خصائص فنّ الخطابة ، حيث يفتح الخطيب كلامه بمقدّمة يحاول من خلالها التأثير في المتلقين و تهيئتهم نفسياً ليتقبّلوا و يفتنعوا بفكرته أو بما يريده منهم، و هذا التأثير النفسي يغني الخطيب عن الكلام و جمل كثيرة من بيان العلل و الفوائد<sup>(3)</sup>.

إذا كانت مقدّمة الخطبة الأدبية التي هي من صنع و إبداع العقل البشري لها هذا الدور التأثيري في إقناع المتلقين على اختلاف قوّة تأثيرها من خطبة إلى أخرى و على حسب قدرات الخطيب الأدبية و الإبداعية ، و مكتسباته العلمية و المعرفية، فإنّ المقدّمة القرآنية - إن صحّ التعبير - أرقى و أعظم منها ، و أكثر تأثيراً و إقناعاً لأنها من صنع و إبداع الخالق - جلّ في علاه -

فلا وجه للمقارنة - إذن - بين إبداع الخالق و إبداع المخلوق ! إذ المخلوق المبدع هو في حدّ ذاته من إبداع الخالق.

إذن فمباشرة بعد هذا المقدّمة القرآنية التي أدت إلى شدّ انتباه السامعين (إخوة يوسف) و توفير جوّ الاستعداد النفسي لديهم لتقبّل الاقتراح يأتي الطلب من أحدهم :

﴿أَقْتُلُوا يُوسُفَ أَوْ اطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُوا مِن بَعْدِهِ قَوْمًا

صَالِحِينَ ﴿٥﴾<sup>(4)</sup> و هذا بتوظيف أسلوب الأمر « و الأمر مستعمل في الإرشاد»<sup>(5)</sup>

و إرشاد بعضهم للبعض الآخر خاصّة غير المتحمّسين منهم أو المتردّدين في إلحاق الأذى بيوسف - عليه السلام - ، بغرض إقناعهم بضرورة التخلّص منه بإحدى الطريقتين إمّا بالقتل أو « بطرحه في أرض نائية مقطوعة المفضي في الغالب

(1) ينظر مريم سعود، البعد التصويري في القرآن الكريم، سورة يوسف نموذجاً، مذكرة ماجستير كلية الآداب واللغات جامعة الجزائر

2006ص115

(2) سورة يوسف: الآية 8

(3) ينظر : ابن عاشور، تفسير التحرير و التنوير، ص 222-223

(4) سورة يوسف، الآية 09 .

(5) ابن عاشور، تفسير التحرير و التنوير، ج12 ص223



إلى الموت»<sup>(1)</sup> و كلا الطريقتين أو الخيارين المقترحين مأساويّان و يؤدّيان إلى هلاك يوسف - عليه السّلام -!، فبئس الطالب و المطلوب!، و كلّ هذا الكيد و المكر و التّصرف اللاعقلانيّ و اللاأخلاقيّ ضدّ أخيهم و والدهم ، و الذي يتعارض مع الدّين و الضمير الإنسانيّ و العرف ،سببه الغيرة القاتلة و الحسد و الحقد و وسوسة الشيطان الذي زيّن لهم سوء عملهم في إلحاق الأذى أو التخلّص من يوسف - عليه السّلام - ، و حجّتهم في ذلك هي الاستنثار بحبّ والدهم بعد إزاحة (يوسف) عن طريقهم ، و فصله عن والده « بدليل قولهم: ﴿تَحَلَّلْ لَكُمْ وَجْهَ أَبِيكُمْ﴾ أي: يصبح قلبه خاليا من حبّه ليوسف عندما يغيب عنه

و لا يراه ، فيتحوّل حبّه إليكم ﴿وَتَكُونُوا مِنْ بَعْدِهِ قَوْمًا صَالِحِينَ﴾ أي: بعد الجريمة تتوبون و تصلحون ما أفسدتم بارتكابها و هذه ليست توبة و إنّما هي كيد الشيطان الذي يتربّص بالإنسان إغراء و إغواء ، فيدفعه إلى ارتكاب المحرّمات و المعاصي . أمّا التوبة الحقيقية فهي: النّدم على الخطيئة التي ارتكبتها الإنسان غافلا أو جاهلا و الإقلاع عنها و العزم على عدم الرّجوع إليها ، و أمّا التوبة التي تعدّ سلفا قبل ارتكاب الجريمة لمحو و إزالة آثارها و نتائجها ، فليست بالتوبة ، و إنّما هي تبرير لارتكاب الجريمة يزيّنه الشيطان»<sup>(2)</sup>.

و يخالف (ابن عاشور) في تفسيره لهذه العبارة: ﴿وَتَكُونُوا مِنْ بَعْدِهِ قَوْمًا صَالِحِينَ﴾ تفسير (سيد قطب) لها، إذ لا يرى المقصود منها توبة أو صلاحا دينيّا

و إنّما يرى بأنّه صلاح دنيويّ، حيث يقول: « و عطف ﴿وَتَكُونُوا مِنْ بَعْدِهِ﴾ أي من بعد يوسف - عليه السّلام - على (يخل) ليكون من جملة الجواب للأمر. فالمراد كون ناشئ عن فعل المأمور به فتعيّن أن يكون المراد من الصّلاح فيه الصّلاح الدنيويّ، أي صلاح الأحوال في عيشتهم مع أبيهم، و ليس المراد الصّلاح الدّينيّ»<sup>(3)</sup>.

(1) سيد قطب: في ظلال القرآن ، مج4 ج12 ص1973  
(2) ينظر : سيد قطب، في ظلال القرآن، الصفحة نفسها.  
(3) ابن عاشور، تفسير التحرير و التنوير، ج12 ص224

﴿قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ لَا تَقْتُلُوا يُوسُفَ وَالْقَوْهَ فِي غَيْبَتِ الْجَبِّ يَلْتَقِطُهُ بَعْضُ السَّيَّارَةِ إِنْ

كُنْتُمْ فَعِلِينَ ﴿١﴾﴾ (1)

في قول أحدهم: هذا نوع من يقظة الضمير، و الإحساس بالرحمة و الشفقة نحو أخيه و دليل على وجود بذور الخير في قلوب بعضهم ، حيث جاء في اقتراح أخيهم بعدم قتل يوسف ، و إلقائه في الجبّ، حتّى يتسنى لقوافل المسافرين من العثور عليه أثناء سدّ حاجاتهم من الماء، يأخذونه رقاً ، و يبعدهونه عن أرضهم و بلدهم ، حلاً لمشكلة الاختيار بين الأمرين المقترحين في التّخلص من يوسف - عليه السّلام -، وريماً خلاصاً من المعاناة أو صراعاً نفسياً داخلياً في إيجاد و اختيار الطريقة أو الكيفية المثلى للفصل بين يوسف و والده - عليهما السّلام - ، دون إراقة دم يوسف - عليه السّلام -.

و وظّف القائل، بغرض إقناع إخوته باقتراحه أو فكرته، أسلوب النّهي

و الأمر، ﴿لَا تَقْتُلُوا يُوسُفَ وَالْقَوْهَ فِي غَيْبَتِ الْجَبِّ﴾ المستعملين في النّصح

و الإرشاد، و«يلتقطه» جواب الأمر في قوله «و القوه».

و التّقدير: إن تلقوه يلتقطه، و المقصود من التّسبّب الذي يفيدده جواب الأمر إظهار أنّ ما أشار به القائل من إلقاء يوسف - عليه السّلام - في غيابة الجبّ هو أمثل ممّا أشار به الآخرون من قتله أو تركه بفيء مهلكة ، لأنّه يحصل به إبعاد يوسف - عليه السّلام - عن أبيهم إبعاداً لا يرجع بعده تلاقيهما دون إلحاق ضررّ الإعدام بيوسف - عليه السّلام - (2).

يبدو أنّ الفكرة التي اقترحها أحدهم كانت مقنعة، حيث لقت تجاوباً و استحساناً من طرف أغلبية إخوته ، إن لم يكونوا كلّهم، إذ تحقّق هدفهم و مقصدهم في التّخلص من يوسف - عليه السّلام - ، و إبعاده عن أبيه، دون إراقة دمه ، يفهم ذلك ضمناً حيث أوجز السّياق القرآني ردود أفعالهم اتّجاهها ، إلاّ أنّه يمكن للدّارس أن يخمّن و يتصوّر هذه الرّدود التي تكون في جُلّها تثنّي الاقتراح و تشيّر بالقبول و الموافقة عليه، كقولهم مثلاً: فكرة جيّدة! ، أو أحسنت ! أو نعمّ الرأي! ، أو نعم نعم ! بصوت جماعيّ واحد، أو موافقون!... أو ما شابه ذلك.

و ربّما كان بعضهم رافضاً لهذا الاقتراح جملة و تفصيلاً ممّن أعماهم الحقد و الحسد و الغيرة و الشيطان، فلم يبق في قلوبهم ذرّة رحمة أو شفقة، فأثروا قتله أو رميه

(1) سورة يوسف: الآية 10

(2) ابن عاشور، نفس المصدر، 225-226

في أرض بعيدة مهلكة للتخلص منه نهائياً و إلى الأبد! و ربّما سكت بعضهم متردداً ينتظر رأي أو قرار الأغلبية ليضمّ رأيه إليها و يكون في صقها ! إلا أن القرار النهائي كان الموافقة على فكرة الجبّ و بالإجماع، بدليل قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا ذَهَبُوا

بِهِ وَأَجْمَعُوا أَنْ يَجْعَلُوهُ فِي غَيْبَتِ الْجُبِّ وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُمْ بِأَمْرِهِمْ هَذَا وَهُمْ لَا

يَشْعُرُونَ ﴿١٥﴾ (1) ، و بعد اقتراح أخيهم راحوا يطلبون من والدهم إرسال (يوسف)

معهم للتنزه و اللعب ملحين في طلبهم هذا مستعملين مختلف الأساليب لإقناع والدهم به ﴿قَالُوا يَا أَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأْمَنَّا عَلَى يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُ لَنَصِحُونَ ﴿١٦﴾ أَرْسَلَهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَعُ وَيَلْعَبُ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴿١٧﴾ (2).

و أضافوا أسلوب النداء بغرض التحبّب و التودّد، في قولهم «يا أبانا»، و أسلوب الاستفهام المستعمل في الإنكار «مَا لَكَ لَا تَأْمَنَّا عَلَى يُوسُفَ؟» .

و أسلوب الأمر المستعمل في الحثّ و الإغراء ﴿أَرْسَلَهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَعُ وَيَلْعَبُ﴾ .  
و أسلوب التوكيد المستعمل في التّعهد بحماية يوسف - عليه السّلام - و المحافظة عليه ﴿وَإِنَّا لَهُ لَنَصِحُونَ﴾ ، ﴿وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ و لكنّها كلّها أساليب قائمة على الكذب و الافتراء و المكر و التّحايل و الخداع ، كلّها أساليب تضليليّة مصطنعة هي بمثابة الأقنعة التي تخفي و تحجب الصّورة الحقيقيّة و هذا من أجل إقناع والدهم و الإيقاع به في شركهم.  
هكذا يكون الإقناع بالباطل بارتداء مختلف الأقنعة لتنفيذ المآرب و تحقيق الأغراض القذرة بكلّ إصرار و إلحاح، و من هذه الأقنعة:

- قناع التودّد: «يا أبانا».
- قناع الإحراج: «مالك لا تأمنا على يوسف».
- قناع الإغراء: «أرسله معنا غدا يرتع و يلعب».
- قناع العهود: «و إنّنا له لناصحون»، «و إنّنا له لحافظون».

(1) سورة يوسف: الآية 15

(2) سورة يوسف ، الآيتين 11-12

- قنّاع المنطق: ﴿قَالُوا لَيْنَ أَكَلَهُ الذِّئْبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّا إِذًا

لَّخَسِرُونَ ﴿١٤﴾ (1)

إذن حتّى تتحقق الغاية من الإقناع بالباطل «لابدّ من ارتداء الأفعلة! «  
لابدّ من اصطناع قناع الحبّ بدلا من الكراهية و قناع الحماية و الرعاية بدلا  
من الغيرة و الحسد، و قناع الأمان بدلا من الغدر! و قناع البراءة بدلا  
من الجريمة! (2)

لقد ارتدى و تقمّص إخوة (يوسف) كلّ هذه الأفعلة لبلوغ هدفهم و تحقيق  
مقصدهم ، فالمهمّ عندهم هو التخلص من يوسف - عليه السّلام - الذين يعتقدون  
أنّ حبّ والدهم له هو الذي حال بينهم و بين حبّ والدهم لهم، و أنّه بالقضاء  
على (يوسف) يمكنهم الفوز و الاستئثار بحبّ والدهم بدون أيّ منازع، فلا يهتمّهم  
أن يلحقوا الأذى بأخيهم أو يزهقوا روحه، لا يهتمّ أن يؤذوا والدهم الذي أنجبهم  
و رعاهم ، و الذي صدّقهم و اتمنهم على (يوسف) رغم حزنه لفراقه و خوفه  
عليه من أن يأكله الذئب: ﴿قَالَ إِنِّي لَيَحْزُنُنِي أَنْ تَذْهَبُوا بِهِ وَأَخَافُ أَنْ يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ

وَأَنْتُمْ عَنْهُ غَافِلُونَ ﴿١٥﴾ (3)

لقد جعلوا والدهم يتمزّق حزنا و كمدا و حسرة و مرارة و ألما  
على (يوسف) إذ أعماهم الحقد و الحسد و الغيرة و أغواهم الشيطان فأصبحت  
الغاية عندهم تبرّر الوسيلة ، فلا الدّين و لا القيم و لا الأخلاق و لا الأعراف  
و لا الأبوة و لا الأخوة أضحت تمنعهم و تردعهم عن بلوغ غايتهم ، بل هانت عندهم  
كلّ هذه الأمور و أصبحوا غير مباليين ضاربين بها عرض الحائط ، إنّه كيد  
الشيطان الذي يتربّص بالإنسان و يوسوس لنفسه الأمارة بالسوء.

﴿فَلَمَّا ذَهَبُوا بِهِ وَأَجْمَعُوا أَنْ يَجْعَلُوهُ فِي غَيْبَتِ الْجُبِّ وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُمْ بِأَمْرِهِمْ

هَذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٦﴾ (4)

(1) ينظر: عبد الكريم الخطيب، القصص القرآني ، في منطوقه و مفهومه، ص ص413-417

(2) مصطفى مولود عشوي: سورة يوسف ، قراءة نفسية ، الموقع :

www.almaktabah.net/vb/showthread.php

(3) سورة يوسف: الآية 13

(4) سورة يوسف: الآية 15

لقد كان يوسف -عليه السلام- في الجبّ محاطاً بالعناية الإلهية ، حيث كان يأتيه الوحي فيؤنسه في وحشته ، و يطمئنه بأنه سينجو و سيخبرهم بجريرتهم ضده و بما اقترفوه في حقه من ظلم ، و هم لا يعلمون بأنه أخوهم: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُمْ

بَأْمْرِهِمْ هَذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٥٨﴾ ، و جاءت لفظة «تنبئ» مؤكدة لتزيده طمأنينة

و ثباتاً و صبراً و هو صبيّ صغير في جبّ مظلم وسط صحراء موحشة .  
- و فعلا تحقق له ذلك كما وعده ربّه - جلّ و علا- حيث أصاب القحط و الجفاف بلاد يوسف - عليه السلام - و البلاد المجاورة ، فتوافد الناس إلى مصر من كل حذب و صوب طالبين الميرة ، و كان إخوته ضمن الوافدين و كان يوسف - عليه السلام - آنذاك عزيزها و كبير وزرائها و أمين خزائنها . فلما دخلوا عليه عرفهم و لم يعرفوه : ﴿وَجَاءَ إِخْوَةُ يُوسُفَ فَدَخَلُوا عَلَيْهِ فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُ مُنْكَرُونَ ﴿٥٩﴾ (1).

و السؤال الذي يتبادر هنا إلى ذهن القارئ أو الدارس ، هو كيف عرف (يوسف) إخوته بعد طول زمن الفراق بينما لم يعرفوه هم؟! يقول (ابن عاشور): « و عرف يوسف - عليه السلام - إخوته بعد مضي سنين على فراقهم لقوة فراسته و زكائة عقله دونهم» (2)، أو ربّما عرفهم لأنهم لم يتغيروا كثيرا ، و لكن هم لم يتعرفوا إليه لأنهم لا يمكنهم أن يتصوروا أبدا أنّ عزيز مصر المحفوف بالحرس و الخدم الأمر الناهي فيهم ، هو أخوهم (يوسف) الصبيّ الصّغير الضعيف الذي رموه في الجبّ منذ سنين طوال (3). و ربّما عرفهم عن طريق الوحي.

فسبحان مغيّر الأحوال ، لقد أعزّ الله يوسف -عليه السلام- بعد ذلّة ، بعد أن أذله إخوته و صار عزيز مصر و أمين خزائنها و عاد إخوته من بعد عزّ أذلة ، حيث جاؤوا إليه يستنجدونه و يسترحمونهم لكي يكتال لهم و هم جاهلون لشخصه غير عارفين: ﴿فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَيْهِ قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَا الصُّرُوجُ وَجِئْنَا بِبِضْعَةٍ

مُزَجَّجَةٍ فَاؤْفَ لَنَا الْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا إِنَّ اللَّهَ تَجَزَى الْمُتَصَدِّقِينَ ﴿٦٠﴾ (4).

(1) سورة يوسف : الآية 58

(2) ابن عاشور، تفسير التحرير و التنوير، ج13، ص12

(3) ينظر سيد قطب، في ظلال القرآن ، ج13 ص2015

(4) سورة يوسف: الآية 88

و بعد أن عاتبهم عمّا فعلوه و صنعوه بيوسف في الماضي ، أدرك و علم إخوته بأنه (يوسف) ، و بذلك يكون قد أنبأهم و أخبرهم عن هويّته و عن تصرفاتهم و أفعالهم ضدّه فيما مضى كما وعده ربّه سابقا «وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُمْ بِأَمْرِهِمْ

هَذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٥﴾ ، ليفصح لهم مباشرة عن نفسه بعد سؤالهم الذي يحمل تأكيدا لذلك و اندهاشا و انبهارا ، كيف لا و يوسف - عليه السلام - ، حيّ بعد كل هذه السنوات؟! و أين و كيف وجدوه؟! في قصر و في مرتبة عالية و سامية، في مركز قوّة و قيادة، في مركز سلطة، إنّه عزيز مصر، أي: كبير وزرائها؟! «قَالَ هَلْ

عَلِمْتُمْ مَا فَعَلْتُمْ بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنْتُمْ جَاهِلُونَ ﴿١٦﴾ قَالُوا أَأَنَّكَ لَأَنْتَ يُوسُفُ ط  
قَالَ أَنَا يُوسُفُ وَهَذَا أَخِي ط قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا إِنَّهُ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا  
يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٧﴾ (1).

و في ظلّ هذه الدهشة و الانبهار ينطقون و يتلقظون بالحقيقة «قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ ءَاثَرَكَ اللَّهُ عَلَيْنَا وَإِنْ كُنَّا لَخَاطِئِينَ ﴿١٦﴾ (2) فيقرّون بإيثار الله ليوسف - عليه السلام - عليهم مؤكدين ذلك بالقسم «تالله» و معترفين بخطئهم مؤكدين عليه بـ «إن» المخففة و اللام «و إن كنا لـخاطئين» و هذا دليل على شعورهم بالندم و الحسرة. و لما أحسّ يوسف - عليه السلام - منهم الندم و الأسف قدّم لهم درسا في الأخلاق الحسنة ، في السّماحة، و الصّبر، و العفو عند المقدرة و الحلم ، و قدّم لهم درسا حول الأخوّة الحقيقيّة و كيف يجب أن تحفظ و تراعى؟! «قَالَ لَا تَثْرِبَ عَلَيْكُمْ أَيُّوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴿١٧﴾ (3).

و بعد هذا التعليق الطفيف و التخليق في ثنايا القصة أعود إلى جوّ المكيّدة و المؤامرة فأقول: أنّه - الآن - و بعد أن قام إخوة (يوسف) بفعلتهم النكراء و فرطوا

(1) سورة يوسف: الآيات 89 - 90

(2) سورة يوسف: الآية 91

(3) سورة يوسف: الآية 92

في أخيهم يوسف - عليه السلام - كيف سيواجهون والدهم الذي تعهدوا له بحفظ أخيهم و رعايته؟! و ماذا سيقولون له؟! لا بدّ -إذن- من الإدّعاء في الأَقْـسَـوَالِ و الأفعال و تصنّع مظاهر الحزن و الأسى و الأسف على فقدانهم لأخيهم ، لا بدّ من إيجاد الأدلة المضللة ﴿وَجَاءَ وَآبَاهُمُ عِشَاءً يَبْكُونَ قَالُوا ﴿١٦﴾ يَتَأَبَّأْنَا إِنَّا ذَهَبْنَا

نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِنْدَ مَتَعِنَا فَأَكَلَهُ الذِّئْبُ وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا وَلَوْ كُنَّا

صَادِقِينَ ﴿١٧﴾ وَجَاءَ وَعَلَى قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا

فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ ﴿١٨﴾ (1)

لقد اختاروا الزّمن المناسب لإخفاء جريمتهم و تضليل والدهم و خداعه و التظاهر أمامه بالبراءة فمجيئهم عشاء يدلّ على أنّهم بحثوا كثيرا عن أخيهم حين فقده، حتّى جنى عليهم الليل فوجدوا قميصه ملطّخا بالدم.

يقول (محمد علي أبو حمدة): «و تقديم الظرف - عشاء- على الحال - سيكون - دلالة على أهميّة التوقيت في إنجاح تمرير المؤامرة. و حتما كانوا أخروا السّـرّـوآح إلى العشاء حتى تكون «فحمة» العشاء فيكون الوقت ملائما للحديث عن تلصّص الذناب و خروجها من أوكارها بما يجعل (يعقوب) يقبل حيثيات الادّعاء ، ثم إنّ ملامحهم وقت العشاء تجعل من التمثيل أمرا ممكن التّمويه (2)».

و بالإضافة إلى أنّهم اختاروا الليل لأنّه مناسب للتّمويه فإنّهم جاءوا بيبكون متظاهرين بالحزن و الأسى و الأسف و الحسرة مدّعين بأنّ الذئب أكله عندما ذهبوا ليتسابقوا و تصنّعوا البكاء، أي: التباكي، للتّمويه و خداع والدهم حتّى لا يشكّ بأنّهم قتلوا يوسف - عليه السلام - (3)، و للزيادة في التّضليل و التّمويه ﴿وَجَاءَ وَ

عَلَى قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ﴾ أي: حتّى يعتقد و يصدّق يعقوب - عليه السلام - بأنّ

يوسف - عليه السلام - فعلا أكله الذئب و انتهى أمره - و ربّما أتقنوا و هم جماعة - تمزيق القميص و تلطيخه بالدم حتّى يظهر الأمر كأنّه حقيقيّ ، و لا يدع مجالاً للشكّ قد يراود والدهم ، يقول (ابن عاشور) : « فما قاله بعض أصحاب

(1) سورة يوسف ، الآيات 16 18

(2) محمد علي أو حمدة ، في التذوق الجمالي لسورة يوسف ، ص 69

(3) ينظر ابن عاشور ، تفسير التحرير و التنوير ، ج 12 ص 236



النفســــــــــــــــــــير من أن يعقوب - عليه السلام - قال لأبنائه : ما رأيت كاليوم ذنبا أحلم من هذا ، أكل ابني و لم يمزق قميصه ، فذلك من نظرفات القمص (1)».

يبدو أن كلام (ابن عاشور) واقعيّ نوعا ما ، إلا أن الأمر يحتمل أن يكون عكس أو نقيض ذلك ، فربما لم ينتبه إخوة (يوسف) إلى خرق القميص أو على الأقل إتقان خرقه و تمزيقه حتى يظهر كأنّ الذئاب فعلت ذلك حقا، نظرا للتسرّع أو القلق الذي ينتابهم أثناء تنفيذهم لهذه الجريمة، و بعدها كما هي عليه طبيعة الإجرام - عادة- بحيث يفوت المجرم إتقان بعض الأمور التّضليليّة أو إخفاء بعض الأمور التي تكون سببا في إدانته.

و جاء في المقارنة التي أفردها (مالك بن نبي) بين ورود قصّة (يوسف) في القرآن الكريم و ورودها في الكتاب المقدس ، أنّه ورد في هذا الأخير بخصوص قضية قميص يوسف - عليه السلام - و تلوّطه بالدم من طرف إخوته مايلي:

« - فأخذوا قميص (يوسف) و ذبحوا تيسا من المعز و غمسوا القميص في الدم.

- و بعثوا بالقميص الموشى فأنفذوه إلى أبيهم و قالوا: هذا أثبتته ، أقميص ابنك هذا أم لا؟

- فأثبتته و قال قميص ابني ، وحش صار أكله، افترس يوسف افتراسا .

- و مزق يعقوب ثيابه و شدّ مسحا على حقويه و ناح ابنه أيّاما كثيرة.

- و قام جميع بنيه و بناته يعزّونه فأبى أن يتعزّى و قال: إني أنزل إلى ابني نائحا إلى الجحيم ، و بكى عليه أبوه (2)».

يمكن للقارئ أو الدّارس لما ورد في هذه المقارنة - من غير بذل أي جهد - أن يكتشف التّحريف و التّزييف للحقائق التي وردت في القصّة الكتابيّة (الكتاب المقدس) في شأن قضية قميص (يوسف) الملوّط بالدم و طريقة حزن و بكاء يعقوب - عليه السلام - فهل يعقل أن نبيا مختارا قدوة قومه و مرشدهم و موجههم يتصرّف كما يتصرّف الجاهليّون ، فمزق ثيابه و ينوح و يشدّ على حقويه و يقول: أنزل إلى ابني نائحا إلى الجحيم ، و إلى ما هناك من الأباطيل !!؟؟ . فهذا ما لا يقبله عقل و لا يقرّه شرع بدليل قوله تعالى على لسان يعقوب - عليه السلام -: ﴿وَجَاءَ وَعَلَى

(1) ابن عاشور ، تفسير التحرير و التنوير، ج 12 ص 238

(2) مالك بن نبي ، الظاهرة القرآنية : تر: عبد الصابور شاهين، دار الفكر دمشق، ط 4 ، 1987، ص 215



قَمِيصَهُ بِدَمٍ كَذِبٍ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ  
عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴿١٨١﴾ (1)

فالآية القرآنية صريحة تثبت بأن يعقوب - عليه السلام - لم يصدّق افتراء و كذب  
أبنائه عليه بخصوص قميص يوسف - عليه السلام - الملطّخ بالدمّ و أنّه صبر  
الصّبر الجميل و احتسب و فوّض أمره لله - جلّ و علا - و هذا لا يعني أنّه  
لم يحزن و لم يبك على ولده ، و لكن حزنه و بكاءه لم يكن كحزن و بكاء  
الجاهليّة بالنّسوح و العويل و الضّرب على الوجوه ، و شقّ الجيوب و غيرها ،  
و إنّما كان حزنا قليلا داخليا يدلّ عليه خارجيا أو مظهريا الدّمع أو بعض الملامح  
و التغيّرات الفزيولوجيّة التي تطرأ على الوجه و الجسد كتغيّر لون الوجه  
إلى الاصفرار مثلا، ارتعاش الأطراف و طأطأة الرّأس ، و الامتناع عن الكلام ...  
و هلمّ جرا.

كان حزنه على طريقة الأنبياء و الرّسل و عباد الله الصّالحين و المؤمنين  
الأتقياء في صبرهم على البلاء و المصائب و الأحزان و خير دليل على ذلك ما  
جاء عن خير و أفضل خلق الله أسوتنا و نبينا و إمامنا محمّد بن عبد الله  
- صلوات الله عليه و سلامه - بعد وفاة ابنه إبراهيم - عليه السلام - أنّه قال : « إنّ  
العين تدمع و القلب يحزن و لا نقول إلا ما يرضي  
ربّنا و إنّنا بفراقك يا إبراهيم لحزون (2) ». و لقد ورد في الذكر الحكيم، الأجر العظيم الذي يناله الصّابرون على المصيبة  
حيث قال - سبحانه و تعالى - : ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ

الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ﴿١٥٥﴾ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ

قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ

وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ ﴿١٥٧﴾ (3)

(1) سورة يوسف ، الآية 18  
(2) أبو الحسن نور الدين عبد الهادي ، صحيح البخاري ، ج 1 ، رقم الحديث 1303 ، المكتبة التوفيقية، القاهرة، ص 306  
(3) سورة البقرة : الآية 155 - 156 - 157

في هذه الآيات تأديب للنفس البشريّة في كيفية التعامل مع الابتلاءات و مواجهة المصائب بالصبر، و الرجوع إلى الله و تفويض الأمر إلى الله - سبحانه و تعالى - و على ما يجب التلقظ به لحظة وقوع المصيبة.

## 2- الاستدلال و المعالجة في قضية المرادة:

و بعد مرور السنين يشتدّ عود الفتى (يوسف - عليه السلام -) و يبلغ سنّ الشباب و القوة و كمال البنية الجسديّة فيزيده ذلك جمالا إلى جماله و وسامة إلى وسامته و تشتعل نار الحبّ و الإعجاب و الرغبة في قلب امرأة (العزيز) ، فتراوده عن نفسه.

قال تعالى: ﴿وَرَاودَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِ وَاغْلَقَتِ الْبَابَ وَقَالَتْ هَيْت لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ ﴿٢٣﴾ وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَّهُمَّ بِهَا لَوْلَا أَن رَّءَا بُرْهَنَ رَبِّهِ كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنِّ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ ﴿٢٤﴾ وَأَسْتَبَقَا الْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُ مِن دُبُرٍ وَالْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَا الْبَابِ قَالَتْ مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا إِلَّا أَن يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٥﴾ قَالَ هِيَ رَاوَدْتَنِي عَن نَّفْسِي وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَا إِن كَانَ قَمِيصُهُ قُدٌّ مِّنْ قَبْلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿٢٦﴾ وَإِن كَانَ قَمِيصُهُ قُدٌّ مِّنْ دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٢٧﴾ فَلَمَّا رَأَى قَمِيصَهُ قُدٌّ مِّنْ دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُ مِن كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ ﴿٢٨﴾ يُوسُفُ أَعْرَضَ عَن هَذَا وَاَسْتَغْفِرِي لِذَنْبِكِ إِنَّكِ كُنتِ مِنَ الْخَاطِئِينَ ﴿٢٩﴾ (1)

تصوّر هذه الآيات الكريمة مدى حبّ و تعلق امرأة (العزيز) بيوسف - عليه السلام - و شدة افتنانها به - بعدما صار شابا قويا يافعا بالرّجولة - إلى درجة أنها لم تقو على كبت مشاعرها و كبح شهواتها فتفجّر رغبتها في مرادته

(1) سورة يوسف ، الآية 23-29

عن نفسه و هذا بمحاولة إغرائه و إغوائه و جلبه بجمالها و عرض مفاتنها الجسديّة عن طريق الحركات و التمايلات و الابتسامات و الكلمات و غيرها. و عن المرادة يقول (محمد الطاهر بن عاشور): « فالمرادة المقتضية تكرير المحاولة بصيغة المفاعلة ، و المفاعلة مستعملة في التكرير (... ) ، و المرادة مشتقة من راد يرود ، إذا جاء و ذهب ، شَبّه حال المحاول أحدًا على فعل شيء مكرّرًا ذلك بحال من يذهب و يجيء في المعاودة إلى الشيء المذهب عنه ، فأطلق راد بمعنى حاول<sup>(1)</sup>».

مادامت المرادة هي عملية تكرير المحاولة - على حسب رأي (ابن عاشور) - فهي إذا تعني الإلحاح في الطلب ، و الحرص على الشيء المطلوب بغرض إقناع الطرف الآخر بالفكرة المرادة».

فمرادة امرأة العزيز ليوسف تمثلت في محاولاتها المتكررة و الملحّة بغرض استمالاته و جلبه إليها و إغرائه بمفاتنها من أجل إقناعه بفكرة أو قضية الواقعة (الفاحشة).

و عبارة «و غلقت الأبواب» دليل على رغبة (زليخة) الشديدة في الممارسة الجنسيّة مع يوسف - عليه السّلام - و عزمها و تصميمها على تحقيق ذلك. و تضعيف «غلقت» لإفادة شدّة الفعل و قوته، أي أغلقت إغلاقًا محكمًا.<sup>(2)</sup> و في غلقها أو تغليقها للأبواب - التي تدلّ على كثرتها على أن بيتها كان قصرًا - دليل أيضا على أنّها كانت متأكّدة أو شبه متأكّدة من رفض يوسف - عليه السّلام - لطلبها و عدم استجابته لرغبتها ، و رضوخه لنزوتها ، و ربّما استشعرت ذلك من خلال ابتعاده عنها ، و نفوره منها ، و الإعراض عن إغراءاتها له ، و توذّدها إليه.

و غلقت الأبواب حتّى تمنّعه من محاولة الهروب منها أو الفرار ممّا تدعوّه إليه، فتجبره و ترغمه على ما تريده. يقول (سيد قطب): «و حركة تغليق الأبواب لا تكون إلا في اللحظة الأخيرة و قد وصلت المرأة إلى اللحظة الحاسمة التي تهتاج فيها دفعة الجسد الغليظة و نداء الجسد الأخير<sup>(3)</sup>».

(1) محمد الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير و التنوير، ج12، ص250

(2) محمد الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير و التنوير ج12 ص250

(3) سيد قطب ، في ظلال القرآن ، مج4، ج12 ص1980

﴿وقالت هيت لك﴾ و (هيت) اسم فعل أمر بمعنى بادر ، قيل: أصلها من اللغة الحورانية و هي نبطية و قيل : هي من اللغة العبرانية<sup>(1)</sup>، و هو أيضا اسم فعل أمر بمعنى أقبل أو تعال أو أسرع.

و أخرج (ابن أبي حاتم) عن (ابن عباس) قال: «هيت لك؛ هلمّ لك بالقبضية». و قال (حسن): هي بالسريانية كذلك، و قال (عكرمة): هي بالحورانية، و قال (أبو زيد الأنصاري): هي بالعبرانية ، و أصله هيتلج أي ؛ تعاله. و لا يبعد أن تكون هذه الكلمة في كل هذه اللغات للتعبير عن رغبة غريزية هي الرّغبة في الجماع، و كأنها حكاية صوت لا يختلف بين اللغات كقول المتألم: «آه».

فهي تصدر بنفس الأصوات تقريبا مع اختلاف اللغات ، و على هذا يكون التعبير القرآنيّ نقل صورة صوتيّة حقيقيّة لامرأة (العزیز) تعبّر عن رغبتها دون ترجمتها أو التصرف فيها ، و بذلك تكون هذه الكلمة الصّغيرة قد أغنت عن الكثير من الكلام و عبّرت عن الموقف أصدق تعبير<sup>(2)</sup>.

و قالت: «هيت لك» أي: ها أنا ذا فأقبل<sup>(3)</sup>، و في تلك اللحظة بلغت رغبة (زليخة) ذروتها فطلبت من يوسف -عليه السّلام- أن يقبل عليها و لم يثنها عن ذلك حياء المرأة و حشمتها ، و لا حتى مكانتها و منزلتها الاجتماعيّة باعتبارها زوجة (العزیز)، - فهي من الطبقة الحاكمة النّبيلة الأرستقراطيّة- فأمام هذا الحبّ الجارف و الرّغبة القويّة، هانت كلّ هذه الأمور و استرخستها و لم تلق لها بالا و لم تعرها اهتماما ، فعندما يستسلم الإنسان لسيطرة نفسه تغيب سلطة الدّين و العقل و العرف و تحلّ مكانها سلطة الهوى.

«إِنَّهُ حَبَّ أَعْمَى، جعلها جارية و هي الحرّة، فوقفت موقفا مهينا استرخصت فيه جمالها و سلطانها أمام سلطان حبّها ليوسف - عليه السّلام- لقد امتهنت دلال المرأة، و عفاف الحرّة و جاه السيّدة... و هذا ما لا تفعله الحرّة أبدا، إنّها مهما استبدّ بها الحبّ و الوجد لا تلقى الرّجل بهذه الصراحة، بل تأبى عليها طبيعة الأنثى إلا أن تغالب أشواقها حتّى تكون المطلوبة من الرّجل لا الطالبة له<sup>(4)</sup>».

و بعد كل هذا التذلل و الانكسار بالدّعوة الصّريحة الجاهرة تصدم المرأة الجامحة بشهوتها بصدّ يوسف - عليه السّلام - لها و رفضه و امتناعه عن فعل

(1) محمد الطاهر بن عاشور : تفسير التحرير و التنوير ، ج12 ص 215

(2) أحمد جمال الدين : لغة الحوار في سورة يوسف، دراسة أسلوبية، ص15-16 (narratology-eg-.com/Ahmed Gemels)

(3) عبد الكريم الخطيب، القصص القرآني في منطوقه و مفهومه، ص425

(4) ينظر المرجع نفسه، ص425

الحرام الذي يغضب الرحمن و يلطخ بالعار شرف سيّدة (العزیز) بقوله: ﴿ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ ﴾ .

و «معاذ» مصدر أضيف إلى اسم الجلالة إضافة المصدر إلى معموله ، و أصله : أعوذ عوذا بالله ؛ أي أعتصم به ممّا تحاولين .  
و «إنّ» مفيدة لتعليل ما أفادته «معاذ الله» من الامتناع و الاعتصام منه بالله...  
أي الاعتصام بالله في الامتناع عن فعل الحرام (الفاحشة).  
و الضمير في (إنه) له احتمالان: فأما الأوّل أن يعود إلى اسم الجلالة و يكون «ربي» بمعنى خالقي، و أمّا الثاني أن يعود إلى العزيز و يكون (ربي) بمعنى سيّدي و مالكي.  
و هذا من الكلام الموجّه توجيهها بليغا حكي به كلام يوسف -عليه السلام- إمّا لأنّه أتى بمثل هذا التركيب في لغة القبط و إمّا لأنّه أتى بتركيبين عذرين لامتناعه فحكماهما القرآن بطريقة الإيجاز و التوجيه.  
فدلّ المعنى في الاحتمال الأوّل عن شكر الله على نعمة الإيجاد، و دلّ المعنى في الاحتمال الثاني على شكر العزيز على نعمة التربية و أكد ذلك بجملة ﴿ أحسن مثواي ﴾ .

و جملة ﴿إنه لا يفلح الظالمون﴾ تعليل ثان للامتناع و الضمير المجهول اسما لـ (إنّ) ضمير الشأن يفيد أهميّة الجملة المجهولة خبرا عنه لأنّها موعظة جامعة. (1)

لقد وفق (ابن عاشور) إلى حدّ بعيد في تفسيره للفظ «ربي» في قوله تعالى: ﴿إنه ربّي أحسن مثواي﴾ إذ أنّ تفسيره لها أوّلا باسم الجلالة (الخالق) قد ذهب إليه جلّ المفسّرين إن لم أقلّ كلّهم، باعتبار أنّ الله -عز و جل- نجّا يوسف - عليه السلام - من كيد إخوته و من الهلاك و تولّاه برعايته و أيّده بنصره على الظلم و السذّل و هيّا له رغد العيش في بيت (العزیز).  
و على هذا الأساس لا يجوز له أن يعصي ربّه و يقوم بفعل الفاحشة فيجدد نعمة الله و فضله عليه فكان هذا مبرّرا للامتناع عن فعل الزنا و حجة اعتمدها لإقناع زوجة العزيز بالعدول عن مبتغاها ، و أمّا عن تفسيره الثاني لها- لفظة ربّي- فيبدو منطقيا حيث أنّ لفظة «ربّ» في اللغة العربيّة تعني أيضا : السيّد أو المالك، كقولك:

(1) ينظر محمد الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير و التنوير ، ج 12 ص 251/252

ربّ البيت ، بمعنى صاحبه و مالكه، و منه ربّة البيت أي: سيّدته ، و كذا قولك : ربّ المصنع و ربّ العمل أي: صاحبه و مالكه، و جمعه أرباب.

هذا من جهة ، و من جهة أخرى فإنّ السياق القرآنيّ لعبارة «إِنَّ رَبِّي أَحْسَنُ مَثْوَايَ» يتحمل هذا التفسير ؛ أي : أنه سيدي أحسن تربيتي و رعايتي . و لهذا لا يليق و لا يجوز ليوسف -عليه السّلام - أن ينكر جميل و معروف سيّده (العزیز) الذي أكرمه و أحسن تربيته و رعايته و عامله كابن له بأن يمسّ و يلمس عرضه و شرفه و يشوّه سمعته. و هذا مبرّر آخر تحجّج به يوسف - عليه السّلام - للامتناع عن فعل المعصية.

و أويدّ قول (ابن عاشور) بأنّ القرآن الكريم حكى أو نقل قول يوسف - عليه السّلام - الذي كان باللّغة القبطيّة بطريقة الإيجاز و التوجيه سواء كان بتركيب واحد أو تركيبين ، أي: أنّ القرآن الكريم نقل المعنى من كلام يوسف دون التّعرض للمبنى لأنّه لا يمكن لكلام البشر - مهما كان بليغاً- أن يحاكي بلاغة القرآن الكريم التي أعجزت فرسان البلاغة و أرباب البيان و فطاحل الشعر منذ بعثة النّبيّ - صلى الله عليه و سلّم- و إلى يوم الدّين من محاكاتها ، حيث وقفوا عاجزين أمام عبقرية تراكيبيها و سحر معانيها ، لأنّها من إبداع الخالق- جلّ و علا -الذي تحدّى الإنس و الجنّ مجتمعين على الإتيان بمثل القرآن الكريم مصداقاً لقوله تعالى:

﴿قُلْ لِّئِنْ أَجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ

وَلَوْ كَانَتْ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾ (1)

و أمّا في قوله تعالى: ﴿إِنَّهُ لَا يَفْلَحُ الظّالمون﴾ مبرّر حجاجي ثانٍ للامتناع عن ارتكاب فعل الفاحشة دَعَم و أكد به سيّدنا يوسف - عليه السّلام - مبرّره الحجاجي الأوّل: ﴿إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنُ مَثْوَايَ﴾.

و الظالمون هم «الذين يتجاوزون حدود الله» (2) أي الذين يتعدّون الأمور التي نهى عنها الله- سبحانه و تعالى-، و حذر منها ، و توعّد مرتكبيها بالعقاب الشديد مثل الكبائر، الشرك و قتل النّفس التي حرّم الله إلّا بالحقّ، و الزّنا و شهادة الزور و أكل مال اليتيم...

و عليه يدرك المتأمل و المتدبّر في قوله تعالى: ﴿إِنَّهُ لَا يَفْلَحُ الظّالمون﴾ بأنّه أفاد العموم على رأي (ابن عاشور) في قوله: «موعظة جامحة»، أي: أنّه كلّ من يتجاوز

(1) سورة الإسراء، الآية 88

(2) سيد قطب ، في ظلال القرآن الكريم، مج4، ج12، ص1981

حدًا من حدود الله التي نهى عن الاقتراب منها و دعا إلى اجتنابها فهو ظالم لنفسه، و لا يفلح أي: خاب و خسر في الدار الآخرة بأن يكون مأواه النار و العذاب الأليم - عيادا بالله- و ربّما يلقي عذابا عاجلا في الدنيا فيسلط الله عليه بذنوبه المصائب و الأمراض و الهموم و الأحزان و المشاكل على اختلافها فيعيش حياة ضنكى ، أي: يعيش حياة جحيم في الدنيا فلا يذوق طعم السعادة أبدا، إلا إذا أفلح عن الذنب و المعصية و تاب إلى الله توبة نصوحا بدليل قوله تعالى: ﴿إِلَّا الَّذِينَ

تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾<sup>(1)</sup> و قال: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ﴾<sup>(2)</sup> و قال -عزّ و جل-: ﴿الَّذِينَ لَا

يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا

يَزْنُونَ<sup>ج</sup> وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾ يُضْعَفُ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخَذُّ

فِيهِ مُمْهَاتًا ﴿٦٩﴾ إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ

سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ<sup>هـ</sup> وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿٧٠﴾ وَمَنْ تَابَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَإِنَّهُ

يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ مَتَابًا ﴿٧١﴾﴾<sup>(3)</sup>

و جاء عن النبيّ - صلى الله عليه و سلم - أنه قال: «اللّٰه أفرح بتوبة عبده من رجل نزل منزلا و به مهلكة و معه راحلته عليها طعامه و شرابه فوضع رأسه فنام نومة فاستيقظ و قد ذهبت راحلته حتّى إذا اشتد عليه الحرّ و العطش أو ما شاء اللّٰه قال: أرجع إلى مكاني فرجع فنام نومة ثم رفع رأسه فإذا راحلته عنده»<sup>(4)</sup>.

هذا و إن كان المعنى الذي تضمّنه قوله تعالى: «إِنَّهُ لَا يَفْلَحُ الظالمون» حكم يفيد التعميم و الشمول ، إلا أن المقام هاهنا - في سياق الآية- يقتضي التخصيص

(1) سورة النور: الآية 05

(2) سورة النور: الآية 10

(3) سورة الفرقان، الآيات 68 - 71

(4) البخاري: صحيح البخاري، كتاب الدعوات، باب التوبة، مج 4 ص 141



ألا وهو «الزنا» أي، أنه لا يفلح الزنا على أساس أن الفاحشة واحدة من الكبائر التي حرّمها الله - سبحانه و تعالى -، و حدًا من حدوده التي نهى و حذر من الاقتراب منها و توعدّ مرتكبيها بالعقاب الشديد بدليل قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الزَّانِيَ إِنَّهُ كَانَ

فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا ﴿٣٢﴾ (1) ، فالزنا آفة اجتماعية خطيرة نظرا لما فيه من ظلم

شديد و أذى كبير على المستويين الفردي و الاجتماعي ، فيه تضرب الأخلاق عرض الحائط و تهدم العلاقات و الروابط الاجتماعية بانتهاك الحرمات و الأعراض و اختلاط الأنساب و زوال الحياء، و ضياع الدين و انتشار مظاهر الانحلال الخلقي بصفة عامة.

هذا بالإضافة إلى النتائج السلبية و الآثار الوخيمة التي تلحقها الفاحشة بصحة مرتكبيها ، حيث أثبتت الأبحاث و الدراسات العلمية الحديثة في مجال الطب عن ظهور بعض الأمراض الخطيرة الناجمة عن الانحلال الخلقي - كمرض السّيدا- و الذي تعتبر الزنا من أهمّ مسبباته و من أهمّ أسباب انتشاره و استفحاله . و لهذه الأسباب كلّها كان هذا الفعل اللاأخلاقي المشين - الزنا- ظلما كبيرا حرّمه الله - سبحانه و تعالى - في كلّ الكتب السماوية المقدّسة بما فيها القرآن الكريم، و جعل عقابه عاجلا في الحياة الدنيا بإقامة حدّ الزنا على من وقعوا فيه، كأسلوب ترهيب و ردع لتطهير المجتمع الإسلاميّ من هذا الفعل المدنّس ، و من هذه الرذيلة و الجريمة و تطهير مرتكبيها من ذنبهم و جرمهم، مصداقا لقوله تعالى: ﴿الزَّانِيَةُ

وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِنْ

كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَيْشِهْدَ عَذَابُهُمَا طَآئِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٣٤﴾ (2)

و ممّا ورد عن النّبِيِّ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ- بخصوص حدّ الزنا ، حديث أبي هريرة و جابر رضي الله عنهما- قال أبو هريرة: «أتى رجل رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ- و هو في المسجد فناداه ، فقال: يا رسول الله إنّي زنيت، فأعرض عنه، حتى ردّد عليه أربع مرّات، فلمّا شهد على نفسه أربع شهادات ، دعا النّبِيَّ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ- فقال: «أبك جنون ؟» قال:

(1) سورة الإسراء، الآية 32

(2) سورة النور، الآية 2



لا، قال: «فهل أحصنت؟» قال: نعم، فقال النبي -صلى الله عليه و سلم-: «اذهبوا به فارجموه». قال جابر: «فكنننا بمن رجمه، فرجمناه بالمصلى فلما أدلقتة الحجارة هرب، فأدركناه بالحرّة فرجمناه»<sup>(1)</sup>.

وفي حديث أبي هريرة وزيد بن خالد الجهني- رضي الله عنهما - قالاً: «جاء رجل إلى النبي -صلى الله عليه و سلم- فقال: أنشدك الله إلا قضيت بيننا بكتاب الله، فقام خصمه و كان أفقه منه، فقال: صدق، اقض بيننا بكتاب الله و أذن لي يا رسول الله فقال النبي -صلى الله عليه و سلم-: "قل"، فقال: إن ابني كان عسيفا \* في أهل هذا فزنا بامرأة، فافتديت منه بمائة شاة و خادم و إنني سألت رجلاً من أهل العلم فأخبروني أن على ابني جلد مائة و تغريب عام، و أن على امرأة هذا الرّجم، فقال: «و الذي نفسي بيده لأقضين بينكما بكتاب الله: المائة و الخادم ردّ عليك، فسلها فإن اعترفت فارجمها» فاعترفت فرجمها»<sup>(2)</sup>.

و من باب أن الكلّ يشمل الجزء و أن الحكم الخاص يندرج ضمن الحكم العام جاء الحكم في معنى قوله تعالى: «إنه لا يفلح الظالمون» مفيداً للشمول و العموم.

- و على كل فإن الآية الكريمة ﴿وَرَوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِ وَغَلَّقَتِ

الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْت لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ

الظالمون ﴿٣﴾ اشتملت على أسلوب التّرييب و التّرهيب:

(1) محمد فؤاد عبد الباقي، اللؤلؤ المرجان فيما اتفق عليه الشيخان البخاري و مسلم، دار الحديث، القاهرة، ت: 2003-1424م، ص349

(2) محمد فؤاد عبد الباقي، اللؤلؤ المرجان فيما اتفق عليه الشيخان البخاري و مسلم، دار الحديث القاهرة، ت: 2003-1424م، ص349  
أخرجه البخاري 86 كتاب الحدود، 46 هل يأمر الإمام رجلاً فيضرب الحد غائباً عنه ص349-350  
\* عسيفاً: أجيراً، في أهل: في خدمة أهل، الخادم رد: أي مردود و تغريب عام: المراد أن يخرج فيلبث عاماً، فيقدر يغرب يغيب أي يغيب عاماً.  
(3) سورة يوسف: الآية 23

- و من التّريغيب أسلوب الإغراء الذي استعملته امرأة (العزیز) بمرادتها ليوسف - عليه السّلام- و تغليقها للأبواب و قولها: «هيت لك»، فهذه الإغراءات كلّها محاولات لجذب و استمالة يوسف - عليه السّلام - و تريغيبه في الوقاع (ممارسة الفاحشة معها)- كما أنّ ما جاء على لسان سيّدنا يوسف - عليه السّلام - في قوله تعالى: ﴿قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ﴾ كحجّة للامتناع عن فعل الزّنا

و تعليل لرفضها- يتضمّن أسلوب التّريغيب في إشارة إلى تريغيب امرأة (العزیز) في تقوى الله - عزّ و جلّ - و وجوب طاعته و الثناء عليه و الابتعاد عن معصيته. كما أنّ من دلالاته أيضا تريغيبها في التّعفف و صيانة العرض و احترام الزوج و الابتعاد عن خيانتها ، و هذا بإقرار يوسف - عليه السّلام - بمعروف سيّده (العزیز) الذي أحسن تربيته و رعايته كابن له و انتمنه على ماله و عرضه «إنّه ربّي أحسن مثواي» و لهذا توجب على يوسف - عليه السّلام- أن يحترمه و أن يكون وفيا مخلصا و أن لا يجحد و ينكر جميله و صنيعه معه فيسيء له في أهله (زوجته) بأن يبلّغ شرفه و عرضه و يدّس سمعته.

- و أمّا أسلوب التّرهيب فتضمّنه قوله تعالى على لسان يوسف - عليه السّلام - : «إنّه لا يفلح الظالمون»، ترهيب لزوجّة العزیز بعدم الفلاح عليها تخشى عقاب الله فترتدع و تتراجع عن مبتغاها و تمتنع عن مسعاها و تكفّ عن طلبها.

قال- عزّ من قائل -: ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ<sup>ط</sup> وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ<sup>ج</sup>

كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ ﴿٢٤﴾ (1).

«و الهمّ: العزم على الفعل و أكدهما ب (قد) و لام القسم، ليفيد أنّها عزمت عزمًا محققًا» (2) ، «و لقد همّت به» أي: لقد قصدت و عزمت على مخالطته» (3).

و يرى علماء التفسير بأنّ في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ<sup>ط</sup> وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ<sup>ج</sup>

بُرْهَانَ رَبِّهِ﴾ تقديم لجواب الشرط على شرطه ، و التقدير هو: «و لولا أن رأى

برهان ربّه لهم بها» فقدّم الجواب على شرطه للاهتمام به , و لم يقرن الجواب باللام التي يكثر اقتران جواب (لولا) بها لأنّه ليس لازما و لأنّه لما قدّم على (لولا) كره قرنه باللام. و طعن في هذا التّأويل (الطّبري) بأنّ جواب (لولا) لا يتقدّم عليها و الرّد

(1) سورة يوسف: الآية 24

(2) ابن عاشور، تفسير التحرير و التنوير، ج12، ص252

(3) الزمخشري، الكشاف، مج2، ص311

على هذا الطعن هو أنه يبقى ما قبل (لولا) دالاً على جواب الشرط حتى ولو كان الجواب محذوفاً. و على كل تقدير فإن (لولا) و شرطها تقييد لقوله: «و همّ بها» على جميع التأويلات<sup>(1)</sup>.

و على رأي (ابن عاشور) و من نحا نحوه من المفسرين الذين قالوا بتقدم جواب شرط (لولا) على شرطها على حسب تأويلهم لقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ

وَهُمَّ بِهَا لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ﴾ ب: و لقد همّت به و لولا أن رأى برهان ربه لهم بها.

فإن يوسف - عليه السلام - لم يعزم على الهمّ بامرأة العزيز لأن الله - عزّ و جلّ - أراه البرهان قبل أن يهمّ بها.

«لقد حصر جميع المفسرين القدامى و المحدثين نظرهم في تلك الواقعة الأخيرة. فأما الذين ساروا وراء الإسرائيليات فقد روى أساطير كثيرة يصوّرون فيها يوسف - عليه السلام - هائج الغريزة مندفعاً شبقاً ، و الله يدافعه ببراهين كثيرة فلا يندفع ! صوّرت له هيئة أبيه (يعقوب) في سقف المخدع عاضاً على إصبعه بفمه! و صوّرت له لوحات كتبت عليها آيات من القرآن - أي نعم من القرآن! - تنهى عن مثل هذا المنكر ، و هو لا يرعي! حتى أرسل الله (جبريل) يقول له: «أدرك عبدي ، فجاء فضربه في صدره... إلى آخر هذه التصورات الأسطورية التي سار وراءها بعض الرواة، و هي واضحة التلفيق و الاختراع!». و أمّا جمهور المفسرين فسار على أنّها همّت به همّ الفعل و همّ بها همّ النفس ثم تجلّى له برهان ربه فترك»<sup>(2)</sup>.

يقول (مصطفى مولود عشوي): «و الذي اختاره من التفاسير لهذه الحادثة قول (أبي السعود): «إنّ همّ بها بمعنى ميله إليها بمقتضى الطبيعة البشرية ميلاً جبلياً، لا لأنّه قصدتها قصداً اختيارياً ، ألا يرى إلى ما سبق من استعصامه المنبئ عن كمال كراهيته له و نفرتة عنه، و حكمه بعدم إفلاح الظالمين ، و هل هو إلا تسجيل باستحالة صدور الهمّ منه تسجيلاً محكماً؟ و ما قيل : إنّ حلّ الهمّان و جلس مجلس الختان فإنما هي خرافات و أباطيل تمجّها الأذان و تردّها العقول و الأذهان»<sup>(3)</sup>.

(1) ينظر ابن عاشور، تفسير التحرير و التنوير ج 12 ، 253  
(2) سيد قطب، في ظلال القرآن الكريم، مج 4 ج 12 ص 1981  
(3) مصطفى مولود عشوي، سورة يوسف، قراءة نفسية الموقع :

إذن برهان الله الذي رآه سيّدنا يوسف - عليه السّلام - هو الذي عصمه و وقاه من الوقوع في الخطيئة « و لولاه لوقع أسير الهوى ، و الهوى ميل شديد في الجانب الوجدانيّ نحو الخضوع للشهوة التي تثير في النّفس بدورها مشاعر الحبّ الشّديد و الرّغبة في التّعلق و الحصول على اللذة. و لاشكّ أنّ رؤية (يوسف) لبرهان ربّه قد أثارت في نفسه انفعالات مضادّة للاستجابات الجنسيّة الطبيعيّة؛ و هذه الانفعالات المضادّة هي التّفرز و الاشمزاز و التّفور ممّا كان قد همّ به»<sup>(1)</sup>.

« و البرهان : الحجة و هذا البرهان من جملته صرفه عن همّ بها، و لولا ذلك لكان حال البشريّة لا يسلم من همّ بمطاوعتها في تلك الحالة لتوفر دواعي الهمّ من حسننها و رغبتها فيه، و اعتبار أمثاله بطاعتها و القرب منها، و دواعي الشّباب المسوّلة لذلك»<sup>(2)</sup>.

و قوله - سبحانه و تعالى -: ﴿كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ﴾، تعليل

منه - عزّ و جلّ - للبرهان الذي أراه ليوسف - عليه السّلام - ألا و هو عصمته و حفظه من السّوء و الفحشاء لأنّه من عباده المخلصين ، أي: المصطفين و المختارين لحمل رسالته إلى عباده ، و الدّعوة إلى توحيده -جلّ و علا- و لهذا السّبب كان لا بدّ من تطهيرهم من الدّنيا و عصمتهم من الخطايا، حيث يرى (ابن عاشور) بأنّ في قوله تعالى: ﴿كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ﴾ \*

إشارة إلى شيء مفهوم ممّا قبله يتضمّنه قوله ﴿رَأَىٰ بَرهَانَ رَبِّهِ﴾ و هو رأي البرهان ، أي: أريناه كذلك الرّأي لنصرف عنه السّوء. و التّعبير عن العصمة بالصّرف يشير إلى أنّ أسباب حصول السّوء و الفحشاء موجود و لكنّ الله صرفهما عنهما.

(1) مصطفى مولود عشوي، سورة يوسف، قراءة نفسية. الموقع :

www.almaktabah.net /vb/showread.php

(2) ابن عاشور، تفسير التحرير و التنوير، ج 12 ص 254.

\* الصّرف: نقل الشيء من مكان إلى مكان ، و هو هنا مجاز عن الحفظ من حلول الشيء بالمحل الذي شأنه أن يحل فيه. عير به عن العصمة من شيء يوشك أن يلبس شيئاً.  
\* السّوء: القبيح ، و خيانة من اتّمنه ، و الفحشاء: المعصية و هي الزنا.

و قوله تعالى: ﴿إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ﴾<sup>(1)</sup> تعليل لحكمة صرفه عن السوء و الفحشاء ، الصِّرف الخارق للعادة لئلا ينقص اصطفاء الله إياه في هذه الشدة على النفس.<sup>(2)</sup>

و يقصد بالصِّرف الخارق للعادة البرهان الذي يخصّ به الله - عزّ وجلّ - أنبياءه و عباده المخلصين ، هذا البرهان الذي اختلف فيه المفسِّرون - كما سبق الإشارة إلى ذلك - « فمنهم من يشير إلى أنه حجّة نظريّة قَبَّحت له هذا الفعل ، و قيل: هو وحي إلهي ، و قيل: حفظ إلهي ، و قيل: مشاهدات تمثلت له»<sup>(3)</sup> .

﴿وَأَسْتَبْقَا الْبَابَ وَوَقَدَّتْ قَمِيصَهُ مِنْ دُبُرٍ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا \* لَدَا الْبَابِ قَالَتْ مَا جَزَاءُ

مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا إِلَّا أَنْ يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾<sup>(4)</sup> .

لم يجد يوسف - عليه السّلام - وسيلة للتخلص من هذا المأزق الكبير و الفتنة العظيمة المتمثلة في إصرار امرأة (العزیز) على تحقيق رغبتها في الوقاع معه- بعد أن فشل في إقناعها بالإحجام و العدول عنها من خلال قوله الامتاعيّ و الاعتصاميّ الرّامي إلى محاولة و عظها بانتهاج أساليب التذكير و التّنفير ، و التّرييب و التّرهيب معا: ﴿ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ

الظَّالِمُونَ﴾<sup>(5)</sup> -إلا وسيلة الفرار و الهروب منها قاصدا الباب حتّى لا يقع

أسير الهوى و يرتكب المعصيّة.

إنّها سيّدته و هو غلامها فلا يقوى و لا يقدر على أن يستعمل معها أسلوب القسوة أو العنف كأن يدفعها أو يضربها أو يشتمها أو حتّى أن يرفع صوته في وجهها. فكانت الوسيلة الوحيدة المتاحة أمامه هي الهروب، «و لكنّ سيّدة البيت لم تبتدر و لم تهدأ انفعالاتها و لم تستطع ضبط هواها فجرت وراءه لمنعه

(1) قرأ نافع و عاصم و حمزة و الكسائي و أبو جعفر و خلف "المخلصين" بفتح اللام، أي الذين أخلصهم الله و اصطفاهم. و قرأه ابن كثير و أبو عمرو و ابن عامر و يعقوب بكسر اللام على معنى المخلصين دينهم لله، و معنى التعليل على القراءتين واحد-ابن عاشور ، تفسير التحرير و التّنوير، ج 12 ص 254-255

(2) ينظر ابن عاشور ، تفسير التحرير و التّنوير، ج 12 ص 254-255

(3) ابن عاشور، تفسير التحرير و التّنوير، ج 12 ، ص 254

\* الاستباق: افتعال من سبق، و هو هنا إشارة إلى تكلفها سبق، أي: أن كل واحد منهما يحاول أن يكون هو السابق إلى الباب، و انتصبت (الباب) على نزع الخافض، و أصله: و استبقا إلى الباب ، مثل قوله تعالى: "و اختار موسى قومه سبعين رجلا" سورة الأعراف الآية 155 ، أي: من قومه."

\* الإلقاء: وجدان شيء على حالة خاصة من غير سعي لوجدانه ، فالأكثر أن يكون مفاجئا ، أو حاصلًا عن جهل بأول حصول كقوله تعالى: " قالوا بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا" البقرة، الآية 169.

\* سيدها: زوجها، و هو العزیز ، ينظر ابن عاشور ، تفسير التحرير و التّنوير ، ج 12 ص 255 - 256

(4) سورة يوسف، الآية 25

من الإفلات ، و «مزقت قميصه من دبر!»<sup>(1)</sup> . و تمزق القميص من دبر إن دل على شيء إنما يدل «على أنها أمسكت قميصه حين أعرض عنها تريد إكراهه على ما راودته ف جذب نفسه فتخرق القميص من شدة الجذبة ... و قد أبدع إيجاز الآية في جمع هذه المعاني تحت جملة «استبقا الباب و قدت قميصه من دبر»<sup>(2)</sup>

﴿وَأَلْفَا سَيِّدَهَا \* لَدَا أَلْبَابٍ﴾

و في هذه الأثناء - و هما في حالة الاستباق - يصطدمان و يفاجآن بوجود زوجها (العزيز) أمام الباب ، فتبادره القول متهمة يوسف - عليه السلام - بالاعتداء عليها و التحرش بها ظلما و بهتاناً مقترحة نوع العقاب الذي يستحقه، ﴿قَالَتْ مَا

جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا إِلَّا أَنْ يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾<sup>(3)</sup> ، فهي تقترح

العقاب المأمون الذي لا يودي بحياته «و هذا لا يعني أن امرأة (العزيز) كانت أشد حرصاً على سجنه من كونه صاغراً ، لأنها كانت تتوقع حبسه في بيتها فتتقرب منه و تراه كلما أرادت ، و هذا يدل على أن حبه قد أحكم أزمته على كيانها ، فرغبتهم في أن يظل قريباً منها حتى بعد صدوده لها و انجراح كرامتها أمامه رغبة متأججة ناشئة عن اعتلاق قلبها به ، فهي لا تريد له ذلاً و مهانة بنفس درجة إرادتهم أن يسجن ليكون قريباً منها»<sup>(4)</sup> ، ﴿قَالَ هِيَ رَوَدَّتْنِي عَنْ

نَفْسِي﴾ مدافعا عن نفسه، و دافعا عنه هذا الاتهام الباطل.

و يمكن للدّارس المتدبّر و المتأمل في قوله تعالى على لسان امرأة (العزيز) و يوسف - عليه السلام - : ﴿قَالَتْ مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا إِلَّا

أَنْ يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ قال هِيَ رَوَدَّتْنِي عَنْ نَفْسِي ﴿أن يلتمس و يكتشف

الإيجاز القرآني المعجز فمن دون شك أن امرأة (العزيز) كررت اتهامها ليوسف بالاعتداء عليها متظاهرة بالحزن و البكاء و الغضب و المكر في محاولة لإقناع

(1) مصطفى مولود عشوي، سورة يوسف، قراءة نفسية. الموقع:

www.almaktabah.net/vb/showthread.php

(2) ينظر : ابن عاشور : تفسير التحرير و التنوير، ج12 ص255-256

(3) لأكثر توضيح و تعمق ينظر الاستفهام في سورة يوسف في هذا الفصل.

(4) أحمد جمال الدين، لغة الحوار في سورة يوسف، دراسة أسلوبية ص17 ((narratology-eg.com/Ahmed Gemels)).

زوجها ببراءتها و صدقها في اتهام (يوسف) بالاعتداء عليها. و لا بدّ أن يوسف - عليه السّلام - أيضا كرّر كلامه في توجيه التّهمة إلى امرأة (العزیز) مدافعا عن براءته.

و في هذا الموقف الصّعب و المخرج - حيث كلّ منهما يتّهم الآخر - يتدخّل الشاهد ليفصل في الأمر ﴿وَشَهِدَ شَهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَا إِن كَانَ قَمِيصُهُ قَدْ مِّنْ قَبْلِ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾<sup>(2)</sup>. و إن كان قميصه قدّ من دبر فكذبت و هــــــــــــــــو من الصّادقين».

يقول (مصطفى مولود عشوي): «و جاء الحلّ من شاهد من أهلها الذي حاول أن يصدر الحكم بناء على استعمال الذكاء و الاستدلال بقرائن غير أقوال المتخاصمين<sup>(3)</sup>»، أي: قرآن مادية محسوسة غير لغويّة ، و هي هنا مرئيّة تتمثل في تمزّق القميص.

إلا أنّ السّؤال الذي يوجّه أو يطرح على (مصطفى مولود عشوي) هنا هو إذا كانت هذه القرائن التي اعتمدها الشاهد في عمليّته الاستدلاليّة غير لغويّة (غير أقوال المتخاصمين) ، فكيف عرف بحادثة تمزّق قميص يوسف - عليه السّلام-؟! ، أم أنه افترض تمزّق القميص هكذا اعتباطا؟! أم أنه يكون قد احتمل و توقع تمزّق القميص نتيجة الخلاف بين الطّرفين المتخاصمين ، بين جذب و شدّ و دفع و غير ذلك؟!

و أمّا إن كان قد رأى قميص يوسف ممزّقا من الخلف من أوّل وهلة أي قبل أن ينطق بكلامه الاستدلالي ﴿قَالَ هِيَ رَوَدْتَنِي عَنْ نَفْسِي وَشَهِدَ شَهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَا إِن

كَانَ قَمِيصُهُ قَدْ مِّنْ قَبْلِ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾<sup>(2)</sup> وَإِن كَانَ قَمِيصُهُ قَدْ

مِن دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ الصّٰدِقِينَ﴾<sup>(3)</sup>.

فهذا يعني أنّه استنتج الحكم و توصّل إلى معرفة الحقيقة في بداية الأمر ألا و هي براءة يوسف - عليه السّلام- من التّهمة الموجهة إليه و أنّ امرأة (العزیز)

(1) و سمي قوله شهادة لأنه يؤول إلى إظهار الحق و إثبات اعتداء يوسف عليه السلام على سيّدته أو دحضه " في ابن عاشور ، تفسير

التحرير و التنوير، ج 12 ص 257

(2) سورة يوسف: الآيات 26- 27

(3) مصطفى مولود عشوي، سورة يوسف ، دراسة نفسية.الموقع:



هي المتورّطة و المذنبة و فعل ذلك- أي نطق بالاستدلال - حتّى يكشف كذب و افتراء و كيد امرأة (العزيز) و يظهر براءة يوسف -عليه السّلام-، فيعرف (العزيز) الحقيقة و يقتنع بها.

و أمّا (محمد الطاهر بن عاشور) فيرى عكس ما قاله (مصطفى مولود عشوي) حيث يقول: «و لا شكّ أنّ الاستدلال بكيفية تمزّق القميص نشأ عن ذكر امرأة (العزيز) وقوع تمزيق القميص تحاول أن تجعله حجّة على أنّها أمسكته لتعاقبه ، و لولا ذلك ما خطر ببال الشاهد أنّ تمزيقاً وقع ، و إلاّ فمن أين علم الشاهد تمزيق القميص؟!، و الطاهر أنّ الشاهد كان يظنّ صدقها فأراد أن يقيم دليلاً على صدقها فوقع عكس ذلك كرامة ليوسف -عليه السّلام-»<sup>(1)</sup>.

إذا فتمزّق القميص من دبر علامة دالة على صدق يوسف -عليه السّلام- و براءته من التّهمة الموجهة إليه ، و على كذب امرأة (العزيز) و بطلان ادّعائها ، حيث أنّ تمزّق القميص من الخلف يدلّ على أنّ (يوسف) كان في حالة إعراض و فرار من امرأة (العزيز) فأمسكت بقميصه لترده و تمنعه منه من الهروب فتمزّق.

و لو كان العكس كما ادّعت - بأنّه أراد أن يتحرّش بها- لتمزّق القميص من قبل إثر دفاعها عن نفسها و محاولة دفعه عنها و لكان ذلك علامة على صدقها. و زيادة «و هو من الكاذبين» بعد «فصدقت» و زيادة «و هو من الصادقين» بعد «كذبت» تأكيد لزيادة تقرير الحقّ كما هو شأن الأحكام<sup>(2)</sup>. فحتّى و لو لم يذكر الله - عزّ و جلّ - على لسان الشاهد عبارتي (و هو من الكاذبين) بعد «فصدقت» (و هو من الصادقين) بعد «كذبت»، لاقضى المعنى بالضرورة كذب (يوسف) أو صدقه ، إلاّ أنّه لا يكون بنفس القوّة و التأكيد و الجمال ، كما في حالة ذكرهما (العبارتين)- كما أنّ الله - عزّ و جلّ - استعمل على لسان الشاهد صيغة الجمع (الكاذبين) بدل صيغة المفرد (كاذب) ، و (الصادقين) بدل (صديق) ، حتّى يأخذ الاستدلال صبغة العموم و الشمول ، على أساس أنّ الحالات أو الحوادث المشابهة لهذه الحادثة ، أي : حالات الكذب و الإدّعاء و الافتراء و الكيد و المكر كثيرة و متعدّدة حدثت و ستحدث إلى أن يرث الله الأرض و من عليها، لأنّ الحياة مبنية على الصّراع بين الخير و الشرّ و الحقّ و الباطل، و الإيمان و الكفر و نداء الرّحمن و تربّص الشيطان . و لهذا جاءت بصيغة الجمع حتّى تأخذ صبغة الحكم الشامل أو القانون ، و القانون يشمل الجميع.

(1) محمد الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير و التنوير، مج 12 ص 257  
(2) محمد طاهر بن عاشور: تفسير التحرير و التنوير، ج 12، ص 258



و ربّما وظّف صيغة الجمع أيضا تخفيفا لوطأة الصدمة على (العزيز) ، فهذه زوجته و ذاك غلامه الذي يكون الشاهد قد علم منزلته و معزّته عند سيّده ، فهو في مقام ابنه بدليل قوله تعالى على لسان (العزيز): ﴿وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِنْ مِصْرَ لِامْرَأَتِهِ أَكْرِمِي مَثْوَاهُ عَسَىٰ أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَوَلَدًا﴾ (1).

فهو و إن كذب ليس إلا واحدا من زمرة الكاذبين ، و إن صدق فليس إلا واحدا من زمرة الصادقين، لأنّ حرف الجرّ (من) هنا في هاتين العبارتين : «وهو من الكاذبين» و «وهو من الصادقين» يفيد التبعية أي: أن يوسف - عليه السّلام - سواء كان كاذبا أو صادقا- فهو بعض من الكلّ. و بدأ في استدلاله بامرأة (العزيز) و لم يبتدئ بيوسف -عليه السّلام- كونها هي المدّعية و (يوسف) هو المدّعى عليه، أو كما يقول (سيد قطب) : « و قدّم الفرض الأول لأنّه إن صح يقتضي صدقها و كذبه، فهي السيّدة و هذا فتى ، فمن باب اللبّاقة أن يذكر الفرض الأوّل (2)».

﴿فَلَمَّا رَأَىٰ الْقَمِيصَ قَدْ مِنْ دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُ مِنْ كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ﴾ (3).

و الذي رأى القميص و قال هذا الكلام هو (العزيز) لا محالة ، و قد استبان لديه براءة يوسف -عليه السّلام-، (4) حيث « تبين له حسب الشهادة المبنية على منطق الواقع أنّها هي التي راودت ، و هي التي دبّرت الاتهام. ﴿قَالَ إِنَّهُ مِنْ كَيْدِكُنَّ إِنَّهُ

كَيْدِكُنَّ عَظِيمٌ﴾ لبّاقة في مواجهة الحادث الذي يثير الدّم في العروق ، و تلطف في مجابهة السيّدة بنسبة الأمر إلى الجنس كلّه، فيما يشبه الثناء ، فإنّه لا يسوء المرأة أن يقال لها: « إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ! فهو دلالة في حسّها على أنّها أنثى كاملة مستوفية لمقدرة الأنثى على الكيد العظيم! » (5).

و ربّما أصاب (سيد قطب) فيما رآه بأنّ مخاطبة (العزيز) لزوجته بصيغة جمع المؤنّث المخاطب فيه نوع من اللطافة و اللبّاقة في مواجهتها و تخفيف اللوم عليها .

(1) سورة يوسف، الآية 21

(2) سيد قطب ، في ظلال القرآن، ج 12 ص 4 ص 1983

(3) سورة يوسف، الآية 28

(4) ينظر ابن عاشور، تفسير التحرير و التنوير، ج 12 ص 258

(5) ينظر : سيد قطب، في ظلال القرآن ، ج 12 ص 4 ص 1983

إذ أنه أطلق صفة الكيد على جميع النساء - بصيغة التعميم- فلا ضير أن تكون زوجته واحدة منهن.

فعندما يعاتب الإنسان و يخاطب بضمير الجمع يكون ذلك أخفّ ضرراً و ألماً من أن يخاطب بضمير المفرد. كأن يعاتب أو يوبّخ الأستاذ أحد طلبته بغرض تنبيهه فيقول بصيغة الجمع المخاطب: ( مستواكم متدنّ أو مستواكم في الحضيض) عوضاً عن قول ( مستواك بصيغة المفرد) فهو يعمّم الحكم ، و كأنه يقصد كلّ طلبته ، و هذا قريب من باب التّعريض كأن يقول الأستاذ: (لا نجاح إلا للمجتهد) فيعلم الكسول بذلك أنه غير معنيّ و أنه خارج دائرة النّجاح دون أن يلجأ الأستاذ إلى التّخصيص أو التّعيين.

و بالإضافة إلى ذلك فإن مخاطبته لها بضمير الجمع المؤنث المخاطب (أنتن) ﴿إِنَّهُ مِنْ كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ﴾ فيه إشارة إلى أنّ النساء - في الغالب- هنّ

اللائئي يتسببن و يحقّزن الرّجال على ارتكاب الفاحشة سواء بالدّعوة الصّريحة المباشرة أو بالدّعوة غير المباشرة حيث « تبيّن الدّراسات الميدانيّة المتعلّقة بالجنح و الجرائم أنّ النساء يرتكبن جرائم جنسيّة أكثر من أي نوع آخر من الجنح و الجرائم ، مقارنة بالرّجال الذين يرتكبون جرائم السرقة أكثر من النساء<sup>(1)</sup>».

و من تعاليم الدّين الإسلاميّ الحنيف الدّعوة إلى سدّ أبواب هذه الفتنة (فتنة الزّنا) و اجتناب السّبيل المؤدّيّة إلى ارتكابها.

و من ذلك قوله - سبحانه و تعالى-: ﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ

وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٢٤﴾ وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ

يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا

وَلْيَضْرِبْنَ خُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ

أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ

أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُولِي الْإِرْبَةِ مِنَ

الرِّجَالِ أَوْ الْطِفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَى عَوْرَاتِ النِّسَاءِ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا تُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهُ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ

(1) ﴿٣١﴾

وقوله -عزّ و جل- أيضا: ﴿يَأْتِيهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ

يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلِيبِهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذِينَ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا

رَحِيمًا ﴿٣٢﴾ (2)

و بعد اللوم الخفيف الذي وجهه (العزیز) لزوجته، حاول أن يسدل الستار عن هذه الفضيحة بكل برودة دمّ و كأنّ شيئاً لم يكن، حيث قال -مخاطباً (يوسف) و زوجته - : ﴿يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا وَاسْتَغْفِرِي لِذَنْبِكِ إِنَّكَ كُنتِ مِنَ

الْخَاطِئِينَ ﴿٣٣﴾ (3)

« أمر (العزیز) يوسف - عليه السلام - بالإعراض عمّا رمته به ، أي: عدم مؤاخذتها بذلك ، و بالكفّ عن إعادة الخوض فيه (4) » « و هذا هو المهمّ ، المحافظّة على الطواهر (5) » ، و طلب من زوجته الاستغفار من ذنبها المتمثل في اتهامها الكاذب و الباطل ليوسف - عليه السلام - ، بمحاولة الاعتداء عليها ، و في كلامه عطف أمر على أمر و المأمور مختلف، فبعد أن خاطبها بأنّ ما دبّرتة هو من كيد النساء وجه الخطاب إلى يوسف - عليه السلام - بالنداء ﴿يُوسُفُ أَعْرِضْ

عَنْ هَذَا﴾ ثم أعاد الخطاب إلى المرأة ﴿وَاسْتَغْفِرِي لِذَنْبِكِ إِنَّكَ كُنتِ مِنَ

(1) سورة النور : الآيتان 30-31

(2) سورة الأحزاب: الآية 59

(3) سورة يوسف: الآية 29

(4) محمد الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير و التنوير، ج12-ص258

(5) سيد قطب، في ظلال القرآن ، مج4 ج12 ص1983

أَخْطِئِينَ ﴿١﴾، و هذا الأسلوب من الخطاب يسمّى بالإقبال<sup>(1)</sup> و قد يسمّى بالالتفات، بالمعنى اللغوي (الالتفات البلاغي) ، و هو عزيز في الكلام البليغ. و جعلها من زمرة الذين أخطؤوا تخفيفاً في مؤاخذتها.<sup>(2)</sup> و خاطبها بصيغة الجمع المذكر الغائب (الخاطئين) ، و لم يخاطبها بصيغة الجمع المؤنث الغائب (الخاطئات) لأنّ الخطيئة يشترك فيها الرّجال و النّساء ، أو بصيغة أخرى الخطيئة يرتكبها الرّجال و النّساء على مرّ العصور منذ أن خلق الله- سبحانه و تعالى- آدم -عليه السلام- و لمّا كان الاشتراك في الخطيئة بين الجنسين توجّب عليه توظيف صيغة التذكير (الجمع المذكر الغائب) في الخطاب ، و يرى (محمد علي أبو حمدة) أنّ في خطابه لها بهذه الليونة و اللطافة - ﴿وَأَسْتَغْفِرِي لِدُنْيَاكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الْخَاطِئِينَ﴾ - إشارة إلى أنّ المرأة قد كانت على درجة عالية من الفهم و المودّة لزوجها.<sup>(3)</sup>

أمّا (مصطفى مولود عشوي) فيقول: «رغم إدراك صاحب البيت لخيانة زوجته فإنّه لم يحاول إلاّ توجيه لوم بسيط إليها طالبا منها الاستغفار من ذنبها، فهل كان ذلك الرّجل داهية أم ديوثاً؟ و هل كانت زوجته ذات سطوة تمنعه من رفع صوته في وجهها؟ أو مهما كان الأمر فإن غضب الرجل لم يؤد به إلى اتخاذ أي قرار حازم ضدّ زوجته، و لربّما التبس عليه الأمر و اختلطت انفعالاته فشعر بالحزن أكثر ممّا شعر الغضب<sup>(4)</sup>».

و اختلف مفسّرو القرآن في تحليل و تفسير ردّ فعل (العزیز) حيال زوجته بعد أن اكتشف خيانتها « فمنهم من قال: بأنّه كان قليل الغيرة و منهم من قال: كان حليماً عاقلاً. و لعلّه كان مولعاً بها أو كانت شبهة الملك تخفف مؤاخذة المرأة بمرأودة مملوكها<sup>(5)</sup>».

و السّؤال الذي يتبادر إلى الأذهان ، و يطرح نفسه بإلحاح هنا في ختام هذه الحادثة ، - و التي تمّ الفصل فيها بإقامة الشاهد للحجّة التي تمخّضت عنها الحقيقة

(1) قال المرزوقي في شرح الحماسة : و العرب تجمع في الخطاب و الإخبار بين عدة ثم تقبل و تلتفت من بينهم إلى واحد لكونه أكبرهم أو أحسنهم سماعاً أو أخصهم بالحال " محمد الطاهر بن عاشور : المصدر نفسه ص259

<sup>2</sup> ينظر ابن عاشور، تفسير التحرير و التنوير، الصفحة نفسها.

(3) ينظر محمد علي أبو حمدة ، في التذوق الجمالي لسورة يوسف، (دط) (دت) ، دار الهدى ، الجزائر، ص34

(4) مصطفى مولود عشوي، سورة يوسف، قراءة نفسية الموقع:

المتمثلة في براءة يوسف - عليه السلام - من تهمة الاعتداء الباطلة و إدانة امرأة (العزیز) - هو هل يعقل و هل من المنطق أن يتجرأ غلام على الاعتداء و التّحرش بسيدته و هي في بيتها ، الأمرة النّاهية، و لاشكّ أنّ في البيت حرس و خدم و جوار و إلى ما هنالك؟؟!! فهذا ضرب من الجنون، و أمر لا يتقبّله عقل، و لا يتصوره عاقل و لو فعل ذلك يكون قد فقد عقله و حكم على نفسه بالعقاب الشديد قبل الموت المؤكّد.

و بناء عل ذلك يدرك المتدبّر في الحادثة بعقله أنّها هي المسؤولة عن ذلك ، أي أنّ الأمر حدث بإرادتها و رغبته هي.

### 3- حجاج امرأة العزيز لنسوة المدينة:

و لما بلغ امرأة (العزیز) ما أصبحت تردّه بعض النسوة في المدينة ، إثر شيعوع و ذيعوع خبر المراودة من تقبيح لفعالها بمراودة فتاها عن نفسه ، و معاتبتهنّ و احتقارهنّ لها و سخريتهنّ منها، راحت تخطّط لتردّ كيدهنّ و تصدّ مكرهنّ فنصبت لهنّ فخاً بأن أقامت لهنّ مأدبة في بيتها و أمرت (يوسف) بأن يخرج عليهنّ لتكشف ضعفهنّ أمام طلعتة و جماله ، و ميلهنّ إليه و رغبتهنّ في الوقاع معه. تقيم - بذلك- عليهنّ الحجّة و ترفع عن نفسها الحرج و اللوم.

﴿ وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتْلَهَا عَنْ نَفْسِهِ ۖ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا إِنَّا

لَنرٰلَهَا فِي ضَلٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٠﴾ فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكًا

وَأَاتَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتِ اخْرُجْ عَلَيْهِنَّ فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ

أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ﴿٢١﴾ قَالَتْ فَذٰلِكُنَّ الَّذِي

لُمْتُنَّنِي فِيهِ ۖ وَلَقَدْ رَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ ۖ فَاسْتَعْصَمَ ۖ وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَا ءَامُرُهُ لَيُسْجَنَنَّ

وَلَيَكُونًا مِّنَ الصَّغِيرِينَ ﴿٢٢﴾ قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ وَإِلَّا

تَصْرَفَ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ الْجَاهِلِينَ ﴿٣٤﴾ فَاسْتَجَابَ لَهُ رَبُّهُ فَصَرَفَ  
عَنَّهُ كَيْدَهُنَّ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٣٥﴾ (١)

إنَّ خروج خبر المرادة خارج البيت أو القصر لدليل على وجود خدم و جوار فيه، هم الذين أفضوا السرَّ حتى وصل إلى نساء المدينة، و ربّما تكون امرأة (العزیز) أباحت السرَّ لإحدى صديقاتها للتخفيف عن نفسها ، فانتشر الخبر و شاع بانتقاله من واحدة إلى أخرى حتى أصبح حديث نساء المدينة « و ما يجري في القصور لا يمكن أن يظلّ مستورا ، و بخاصّة في الوسط الأرسطراطي ، الذي ليس لنسائه من همّ إلاّ الحديث عمّا يجري في محيطهنّ و إلاّ تداول هذه الفضائح و لو كوها على الألسن في المجالس و السهرات و الزيارات» (٢) ، حيث راح نساء المدينة يتحدّثن عن فضيحة امرأة (العزیز) في مراودتها لغلامها عن نفسه، و ينلن منها بتقبيح سلوكها و تصرّفها ، و إلقاء اللوم عليها كونها السيّدة ذات المكانة و الجاه و السّلطة فهي زوجة كبير وزراء مصر فكيف تجرّأت على فعل هذا؟! و مع من؟!، مع غلامها! ، فأیّ ذنب عظيم ارتكبت؟! و أيّ عار لطّخت به سمعتها و سمعة زوجها و شرفها و شرف زوجها!.

« لقد كان سلوكها مصدرا لإثارة انفعالات التّعجب و التّقزز و الغضب عند نساء المدينة ، فأصدرن عليها حكما قاسيا « إنّنا لنراها في ضلال مبين» و كيف لا تكون في ضلال مبين و قد شغفت\* بحبّ غلامها حبّا وصل إلى سويداء قلبها ، و سيطر على جوانحها سيطرة شديدة أفقدها صوابها و اثرانها فراحت تراوده عن نفسه ، فكيف سمحت لها نفسها بالتنازل لتقع في حبّ غلامها و تخون زوجها!؟» (٣).

إنّه كيد الشيطان و وسوسته للنفس الأمّارة بالسوء التي تجعل صاحبها عبدا لشهواته و رغباته الغريزية ، فتفقده صوابه ؛ حيث يصبح يسعى فقط لإشباع هذه الرغبات و الشهوات بأيّة وسيلة كانت دون احترام أو مراعاة لأيّ مانع كان، كالديّـن و الأخلاق و المجتمع و العرف ، حينها يفقد الإنسان إنسانيّته من حيث هو إنسان إذ يفقد احترامه و عزّته و كرامته و رجولته و شخصيّته ككلّ.

(١) سورة يوسف، الآيات من 30-34

(٢) سيد قطب، في ظلال القرآن ج12، مج04 ص1983

\* " شغفت" فعل مشتق من اسم جامد، و هو الشغاف، و هو غلاف القلب، و هذا الفعل شل كبده و رآه وجهيه إذا أصاب كبده و رنته

و جبهته" ابن عاشور: تفسير التحرير و التنوير ج12 ص260

(٣) ينظر مصطفى مولود عشوي : سورة يوسف قراءة نفسية. الموقع :

يقول (ابن عاشور): « و مجيء (تراود) بصيغة المضارع مع كون المرادة مضت لقصد استحضار الحالة العجيبة لقصد الإنكار عليها في أنفسهنّ و لومها على صنيعها و جملة ( قد شغفها حباً) في موضع التعليل لجملة (تراود فتاها) و جملة (إنّا لنراها في ضلال مبين) استئناف ابتدائي لإظهار اللوم و الإنكار عليها. و التأكيد ب (إن) و اللام لتحقيق اعتقادهنّ ذلك، و الضلال هنا : مخالفة طريق الصواب ، أي: هي مفتونة العقل بحبّ هذا الفتى و ليس المراد الضلال الدنيي<sup>(1)</sup>».

إذا جاء حكم النسوة على امرأة (العزیز) (بالضلال المبين) نتيجة منطقيّة و حتميّة بعد ذكرهنّ و تبيانهنّ للسبب المتمثل في مراودتها لسلامها، و إبداء تعجّبهنّ و غضبهنّ و إنكارهنّ لهذا الفعل المشين. كيف كان ردّ فعلها على حكمهنّ عليها و موقفهنّ منها؟ لقد اعتبرت كلامهنّ و حكمهنّ مكرًا للذليل من قيمتها و من شخصيتها، و لتردّ كيدهنّ و مكرهنّ و تقدّم الدليل على صعوبة مقاومة هواها عمدت إلى امتحان سلوكهنّ بأن دعتهنّ إلى مآدبة قدّمت لهنّ فيها فاكهة و طعاما تستخدم في أكله السكاكين ثم طلبت من (يوسف) أن يخرج عليهنّ ﴿ فَأَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ

وَأَعَدَّتْ لَهُنَّ مَتَكًا وَآتَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتِ اخْرُجْ عَلَيْهِنَّ فَلَمَّا رَأَيْنَهُ

أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ﴿٢١﴾ ﴿٢٠﴾ ،

و من شدة انبهارهنّ و إعجابهنّ بجمال (يوسف) و بهائه رحن يقطعن أيديهنّ بدل الفاكهة . و هذا دليل على كيفية تأثير الجانب الانفعالي في الجانب الجسمي<sup>(2)</sup>.

يبدو أنّ امرأة (العزیز) كانت على دراية بكيد و مكر بنات جنسها ، و ضعفهنّ في المواقف الجنسيّة ، حيث استطاعت بمكرها و خبرتها أن تدافع عن نفسها و تردّ كيدهنّ ، فبعد أن استضافتهنّ في بيتها ، طلبت من (يوسف) أن يخرج عليهنّ لتختبر سلوكهنّ و ردّ فعلهنّ إثر رؤيتهنّ له، و مدى قدرتهن على مقاومة ذهولهنّ و انبهارهنّ و إعجابهنّ و حبّهنّ و افتتانهنّ به: ﴿ فَأَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ

(1) محمد الطاهر بن عاشور : تفسير التحرير و التنوير ، ج 12 ص 261  
(2) ينظر مصطفى مولود عشوي، سورة يوسف قراءة نفسية. الموقع:



وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكِنًا وَآتَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتِ اخْرِجْ عَلَيْنَّ<sup>ط</sup> فَأَمَّا رَأَيْنَهُ

أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ﴿١٦﴾ (1)

فأقامت عليهنّ الحجة إذ لو كنّ مكانها لفعلن مثلها.

و بعد نجاح مكيدتها و خطتها راحت تعاتبهن على مؤاخذتهنّ و لومهنّ لها على مرادتها ليوسف - عليه السّلام - معترفة بمحاولتها متبجّحة و متفاخرة بذلك غير مستحية ، لأنّها أقامت عليهنّ الحجة ، بل راحت تهدّده بالسّجن و الصّغار علنا - على مرأى و مسمع منهنّ - إن هو امتنع منها و لم يطعها فيما تأمره به - مرة أخرى ﴿ قَالَتْ فذَلِكَ الْكُنَّ الَّذِي لُمْتُنِّي فِيهِ وَلَقَدْ رَوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَا آمُرُهُ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونَا مِنَ الصَّغِيرِينَ ﴾ \* ﴿١٦﴾ (2).

إن دلّ هذا التهديد على شيء إثمياً يدلّ على إصرار امرأة (العزیز) على ارتكاب المعصية (الفاحشة) دون حياء أو خوف، و بحضور النسوة المبهورات - هنّ أيضاً - بجمال يوسف - عليه السّلام - إذ يكشف السّياق أنّهنّ كنّ مفتونات فانتونات في مواجهته و مرادته إمّا بالقول أو الحركات أو اللّفات ، و خير دليل على ذلك هو فعلهنّ (سلوكهنّ) و قولهنّ لحظة رؤيته ، حيث قطعن أيديهنّ بدل الفاكهة و قلن بصريح العبارة: ﴿ مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ﴾ كردّ فعل على تأثرهنّ و افتتانهنّ بجماله الأخاذ و بهائه منقطع النّظير.

فلم يجد يوسف - عليه السّلام - حلاً و مخرجاً من هذه الفتنّة العظيمة إلا بالتّضرع إلى الله - عزّ و جلّ - لينقذه و يخلصه منها مفضلاً السّجن على الوقوع في الخطيئة

(1) سورة يوسف ، الآية 31

\* استعصم: مبالغة في عصم نفسه، فالسين و التاء للمبالغة، مثل: استمسك، و استجمع الرأي، و استجاب. فالمعنى أنه امتنع امتناع معصوم. و الصاغر: الذليل، و تركيب من الصاغرين أقوى في معنى الوصف بالصغار من أن يقال و ليوكنن صاغرا " عن ابن عاشور، تفسير التحرير التنوير ج12 ص254"

(2) سورة يوسف ، الآية 32

\* أصب بمعنى (أمل) و الصبو الميل إلى المحبوب و الجاهلون : سفهاء الأحلام فالجهل هنا مقابل الحلم. " عن ابن عاشور : تفسير التحرير و التنوير " ج12 ص266



﴿ قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ

\*إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ الْجَاهِلِينَ ﴿٣٣﴾ . (1)

رفض يوسف - عليه السلام - الاستجابة و الانصياع لطلب امرأة (العزیز) و إغراء النسوة له - رغم أن النفس البشرية ميالة تواقفة إلى الملهذات و إشباع الرغبات - و فضل السجن و ما يلحقه فيه من معاناة و شقاء و آلام و أحزان على الوقوع في الهوى و ما يغضب الرحمن « فالسجن منجاة من كيد النساء و فتنهن التي يعلم يقينا بأنه من الصعب عليه مقاومتها إلى الأبد ، فهو قبل كل شيء إنسان و شاب يافع قد بلغ أشده محاطا بكل أسباب الفتنة التي يفتقر إليها النساء من حوله و هي الجمال و السلطنة و السطوة و الوقاحة و قلة الحياء و لكن (يوسف) يدرك تماما مصيره إذا استسلم لإغراء و فتنة النساء و لهوى نفسه، فالمصير أن يوصم بالجهل(2)»

و هذا ما لا يليق بالمكانة و المرتبة التي شرفه و أكرمه الله - سبحانه و تعالى- بها بأن أتاه حكما و علما و جعله من عباده المحسنين و المخلصين ﴿فَأَسْتَجَابَ لَهُ رَبُّهُ

فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٣٤﴾ . (3)

إن استعمال حرف العطف (ف) - الذي يفيد التعقيب - كأداة ربط بين دعاء يوسف - عليه السلام - المتضمن في قوله تعالى : ﴿ و إلا تصرف عني كيدهن ﴾ بلفظ (استجاب) فيه دلالة و إشارة إلى سرعة استجابة الله - سبحانه و تعالى - دعاءه بأن صرف عنه كيدهن(4) « و هذا الصرف قد يكون بإدخال اليأس في نفوسهن من استجابته لهن بعد هذه التجربة أو بزيادة انصرافه عن الإغراء حتى لا يحس في نفسه أثرا منه أو بهما جميعا(5)».

يؤكد الله - سبحانه و تعالى - في قوله ﴿إنه هو السميع العليم﴾ بالحرف المشبه بالفعل (إن) و ضمير الشأن (هو) على إحاطته - سمعا و علما - بتفاصيل الحادثة، حادثة إغراء النسوة ليوسف - عليه السلام - و مراودة امرأة (العزیز) له و تهديدها

(1) سورة يوسف ، الآية 33

(2) مصطفى مولود عشوي : سورة يوسف ، قراءة نفسية. الموقع:

(3) سورة يوسف ، الآية 34

(4) ينظر ابن عاشور ، تفسير التحرير و التنوير ، ج 12 ص 267

(5) سيد قطب، في ظلال القرآن : مج 4 ج 12 ص 1985

إيّاها إن لم يستجب لطلبها ، و على امتناع (يوسف) و دعائه و تضرّعه لله - عزّو جلّ - كي ينقذه من هذه المحنة و يصرف عنه كيد النساء .  
 فالله - سبحانه و تعالى - سميع لدعاء عبده و نبيّه - يوسف - عليه السّلام - سريع الإجابة لطلبه لأنّه عليم بإخلاصه و تقواه و خشيته له . و في هذا يقول (ابن عاشور):  
 «و جملة ﴿إنّه هو السّميع العليم﴾ في موضع العلة لـ (استجاب) المعطوفة بفاء التّعقيب ، أي أجاب دعاءه بدون مهلة لأنّه سريع الإجابة و عليم بالضّمائر الخالصة<sup>(1)</sup>» .

- قال تعالى: ﴿ ثُمَّ بَدَأْهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا رَأَوْا الْآيَاتِ لَيْسَ جُنْدَهُ

حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٣٥﴾<sup>(2)</sup> .

رغم ظهور الأدلة التي تبرّئ ساحة يوسف - عليه السّلام - و تدين امرأة (العزیز) و تكشف كذبها و كيدها و مكرها بشهادة الشاهد و رؤية القميص ممزّقا من دبر و فشل النّسوة في محاولة إغوائه و إغرائه على ارتكاب المعصية (الفاحشة) بسبب امتناعه و اعتصامه على الرّغم من تهديد امرأة (العزیز) له بالسّجن و الصّغار أمامه أن يفعل ما تأمره به ، إلا أنّهم فضّلوا سجنه طمسا للحقيقة و رداء للفضيحة و وقفا عند رغبة امرأة (العزیز) و تنفيذاً لتهديدها إيّاه « حتى يظهر في صورة المجرمين بإرادته السّوء بامرأة العزیز ، و هي ترمي بذلك إلى تطويعه لها<sup>(3)</sup> » ظلّنا منها أن عقوبة السّجن ستكسره و تذلّه و تجعله يرضخ لأوامرها و يستجيب لرغباتها و نزواتها مستقبلا دون محاولة الامتناع و الاعتصام و الرّفص و الصّد مرّة أخرى .

#### 4- الاستدلال في الدّعوة إلى الله:

استغلّ يوسف - عليه السّلام - فرصة طلب و استفسار رفيقيه في السّجن منه تأويل رؤيتهما في الدّعوة إلى الله قبل تفسيرهما ، لأنّ حاجتهما إلى معرفة ذلك ستجعل منهما آذانا صاغية و تجعلهما أكثر انجذابا و انتباها و تركيزا و تأثرا بحديثه و رسالته، و هذا دهاء و فطنة و كياسة من يوسف - عليه السّلام - في تبليغ و توصيل رسالة ربّه إلى النّاس و إقناعهم بها، ألا و هي وحدانيّة الله - سبحانه و تعالى - و عبادته وحده ، و تجنّب الشرك به - عزّو جلّ -

(1) ابن عاشور، تفسير التحرير و التنوير ج12 ص267

(2) سورة يوسف : الآية 35

(3) ابن عاشور، المصدر نفسه ، الصفحة نفسها

و عبادة غيره . ﴿ قَالَ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِ إِلَّا نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَكُمَا ذَلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّي إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ ﴿٢٧﴾ وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِي إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ مَا كَانَ لَنَا أَنْ نَشْرِكَ بِاللَّهِ مِنْ شَيْءٍ ذَلِكَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٢٨﴾ يَصْنَعِي السَّجْنَءَ أَبَائِي إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴿٢٩﴾ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءَ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَءَابَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنْ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ ١ .

بدأ يوسف - عليه السلام - بمحاولة كسب ثقة السجينين أكثر إذ راح يطمئنهما مسبقاً بإمكاناته و قدراته على تفسير الرؤى ، فهو قادر حتى على إنبائهما بالطعام الذي سيرزقان به قبل أن يأتيهما أو يقدم لهما ، لأن الله - سبحانه و تعالى - هو الذي أكرمه و وهبه هذا العلم اللدني الذي سيؤول لهما به رؤياهما ، و تأتي عبارة:

﴿ذَلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّي إِنِّي﴾ في اللحظة المناسبة من الناحية النفسية ليدخل بها إلى قلبيهما بدعوته إلى ربه<sup>(2)</sup> ، إلا أن (ابن عاشور) في تفسيره لقوله تعالى: ﴿قَالَ

لَا يَأْتِيَكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِ إِلَّا نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَكُمَا﴾ فيرى : « بأنه يعبر لهما رؤياهما غير بعيد و جعل لذلك وقتاً معلوما لهما و هو وقت إحضار طعام المساجين (...) و يظهر أن أمد إتيان الطعام حينئذ لم يكن بعيداً كما دل عليه قوله ﴿قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَكُمَا﴾ من تعجيله لهما تأويل رؤياهما و أنه لا يترتب في ذلك»<sup>(3)</sup>.

(1) سورة يوسف، الآيات 37-40

(2) ينظر : سيد قطب : في ظلال القرآن ، مج4 ج12 ص1988

(3) ابن عاشور: تفسير التحرير و التنوير، ج12، ص270

و يعلل هذه القدرة المعرفية و العلمية - القدرة على تأويل الرؤى و معرفة الغيب - بأن الله - عزّ و جلّ - هو الذي علمه و وهبه هذا العلم الذي يعرف به الغيب و الرؤى في إشارة إلى أن الله- سبحانه و تعالى- هو الذي يعلم الغيب و يطلع عليه ، و هو الوهاب الذي يهب و يمنح هذا العلم لمن يشاء و يصطفي من عباده ، و يوسف -عليه السلام- أحد هؤلاء.

و هذا تلميح و تدرّج في إقناع الفتيين بوحدانية الله -عزّ و جلّ - و تنزيهه عن الشرك و تأكيدا على ذلك عمد يوسف - عليه السلام - إلى عقد مقارنة بين العقيدة الفاسدة -عقيدة الكفر و الشرك بالله- و العقيدة الصحيحة السليمة - عقيدة توحيد الله - سبحانه و تعالى - و عبادته وحده دون سواه من مخلوقاته على اختلاف أنواعها و أشكالها و مسمياتها حيث قال : «قَالَ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِ إِلَّا نَبَأْتُكُمَا

بِتَأْوِيلِهِ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَكُمَا ذَٰلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّي إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ

وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ ﴿٢٧﴾ وَأَتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِي إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ مَا

كَانَ لَنَا أَنْ نُشْرِكَ بِاللَّهِ مِنْ شَيْءٍ ذَٰلِكَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى النَّاسِ وَلَٰكِنْ

أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٢٨﴾ (١) ، فراح يؤكّد للفتين بأنه ترك ملة الشرك

و الكفر و عدم الإيمان باليوم الآخر و البعث التي كان عليها القوم الذي نشأ فيهم و هم (الكنعانيون) ، و القوم الذين شبّ فيهم و هم (القطب) ، و ربّما أراد (الكنعانيين) باعتبارهم قومهم تعريضا بالقطب الذين ماثلوهم في الشرك ، حتّى لا يخرج الفتيين القطبيين فينفرهما من موعظته لهما(2). كما راح يؤكّد على إتباعه للمنهج العقائديّ الصّحيح و السّليم الذي سلّكه و انتهجه آباؤه (إبراهيم) و (إسحاق) و (يعقوب)- عليهم السلام - ألا و هو ملة التوحيد الخالص لله - عزّ و جلّ - الخالي من شوائب الشرك ، و هي فضل من الله عليهم إذ جعلهم موحّدين مهتدين و على كلّ النّاس الذين اتّبعوا هديهم و حذوا حذوهم ، يقول (سيد قطب): « و الهداية إلى التوحيد فضل من الله على المهتدين ، و هو فضل في متناول النّاس جميعا لو اتجهوا إليه و أرادوه، ففي فطرتهم أصوله و هواتفه ، و في الوجود من حولهم

(1) سورة يوسف ، الآيات 37-38

(2) ينظر : ابن عاشور ، تفسير التحرير و التنوير، ص272

محياته و دلائله ، و في رسالات الرّسل بيانه و تقريره<sup>(1)</sup> . و لكنّ الكثير من النّاس يجحدون هذه النّعمة التي منّ الله عليهم بها و لا يشكرونه عليها .

و أمّا (ابن عاشور) في تفسيره الآية: ﴿ و اتبعت ملة أبائي .... يشكرون ﴾ .

فقال : « و ذكر أبائه تعليماً بفضلهم و إظهاراً لسابقته الصّلاح فيه، و أنّه متسلسل من أبائه و قد عقله من أوّل نشأته ثمّ تأيّد بما علمه ربّه فحصل له بذلك الشرف العظاميّ و الشرف العصاميّ . و لذلك قال النّبيّ -صلى الله عليه و سلم- لمّا سئل عن أكرم النّاس - : " يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم نبي ابن نبي ابن نبي " (... ) و جملة ذلك من فضل الله علينا ﴿ زيادة في الاستئناف و البيان لقصد التّرجيب في اتّباع دين التّوحيد بأنّه فضل ﴾ ، ﴿ و على النّاس ﴾ أي الذين يتبعونهم و هو المقصود من التّرجيب بالجملة . و أتى بالاستدراك بقوله « و لكنّ أكثر النّاس لا يشكرون » للتّصريح بأنّ حال المخاطبين في إشراكهما حال من يكفر نعمة الله<sup>(2)</sup> .

ثم يتوغّل يوسف - عليه السّلام - شيئاً فشيئاً في لطف و لين في حديثه إليهما بهدف التّأثير فيهما و إقناعهما بفساد معتقدتهما و بطلان ما يعبدون من دون الله و دعوتهما إلى توحيد الله - سبحانه و تعالى - و تنزيهه عن الشّرك ، فيناديهما بلفظة (صاحبين) تقرّباً و تحبّباً إليهما ، قصد التّأثير فيهما عاطفيّاً ليستمعا و يصغيا إلى رسالته ليُدخل بذلك في صلب الموضوع ألا و هو الدّعوة إلى الله و الابتعاد عن الشّرك و يطرح القضّيّة بطريقة موضوعيّة<sup>(3)</sup> ، أي بفسح المجال للعقل و المنطق للفصل في القضّيّة -قضّيّة وحدانيّة الله و أحقيّته بالعبادة ، أو تعدّد الآلهة - ﴿ أَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمْ

اللّهِ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴿٦﴾ ؟ » سؤال يهجم على الفطرة في أعماقها و يهزّها هزّاً

شديداً ... إنّ الفطرة تعرف لها إله واحداً، ففيم إذن تعدّد الأرباب؟<sup>(4)</sup> . حيث عمد يوسف - عليه السّلام - في هذا الاستفهام التّقريري إلى عقد مقارنة و مفاضلة من تعدّد الآلهة في هذا الوجود أو الكون ، و بيّن إله واحد له الحكم المطلق و السّلطان الدّائم - حيث يقتضي تعدّد الآلهة اختلافاً في الحكم و تفرّقاً في وضع نظام الكون و تسيير شؤونه ، حيث يتصرّف كلّ إله فيما خلق من موجودات واقعة تحت سلطانه دون

(1) سيد قطب : في ظلال القرآن الكريم ، ص 1989

(2) ابن عاشور : تفسير التحرير و التنوير - ص 272-273

(3) ينظر : سيد قطب ، في ظلال القرآن - مج 4 ج 12 ، ص 1989

(4) المصدر نفسه ، الصفحة نفسها .

أن يعيدها إلى ما هو تحت سلطان غيره، و بذلك يسود الكون الخلل و الاضطراب و الفوضى و اللااستقرار و تستحيل الحياة ليصل بذلك إلى إقناعهما بأن حال المنفرد بالألوهية أعظم و أغنى فيرجعان عن اعتقادهما الفاسد بالتعدد. و كان القبط يعتقدون بنحو ثلاثين آلهة أكبرها و أعظمها (أمون) (رع) ثم (أوزوريس) ، و (أزيس) و (هوروس).<sup>(1)</sup>

و في سياق هذا الموضوع يقول رب العزة: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾<sup>(2)</sup> و قال أيضا - سبحانه و تعالى- : ﴿مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذَا لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَّ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُصِفُونَ﴾<sup>(3)</sup> عَلِيمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَتَعَلَّىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾<sup>(4)</sup>.

و بعد هذا التدرج في الاستدلال و الحجاج قصد إقناع الفتيتين بفساد معتقدتهما المتمثل في تعدد الآلهة و بطلان عبادتهما لها ، و ضرورة تصحيح ذلك بتوحيد الله - عزّ و جلّ - و إفراده بالعبادة انتقل يوسف - عليه السلام - إلى الطريقة المباشرة و الدعوة الصريحة لإقناعهما ، فقال : ﴿مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءَ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنْ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾<sup>(4)</sup> ، فحكم ببطلان

عبادتهما لآلهة متعددة من دون الله هذه الآلهة التي لا أساس لها من الصحة ، فهي لا تنفع و لا تضرّ ، و إنما هي نابعة من اعتقاد فاسد عنهما ، و عن آبائهما في تسمية مخلوقات و تأليهاها و عبادتها . و دعاهما إلى توحيد الله - سبحانه و تعالى- و تنزيهه عن الشرك لأنّ الحكم كله يؤول إليه وحده - سبحانه و تعالى - و بيده ملكوت

(1) ينظر ابن عاشور : تفسير التحرير و التنوير، ص274 - 276

(2) سورة الأنبياء، الآية 22

(3) سورة المؤمنون ، الآيات 91-92

(4) سورة يوسف ، الآية 40

كلّ شيء و لهذا وجبت له العبادة وحده - عزّ و جلّ - دون سواه و ذلك هو الدّين الصّحيح الذي يجهله الكثير من النّاس.

### 5- المحاجة لإثبات براءة يوسف أمام الملك:

بعد أن فسّر يوسف - عليه السّلام - رؤيا الفتيين طلب من الذي ظنّ أنّه ناج منهما من الإعدام بأن يذكره عند ربّه (الملك) عسى أن يطلق سراحه إلا أنّه نسيه بسبب الشيطان الذي شغله بالدنيا و هواها، فبقي في السّجن سنين أخرى ﴿وَقَالَ

لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُ نَاجٍ مِّنْهُمَا اذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ فَأَنَسَهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ فَلَبِثَ

فِي السِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ ﴿٤٦﴾ (1).

و في هذه الآية دليل على أنّ النّسيان من عمل الشيطان، حيث يسعى جاهدا ليمنع الإنسان عن أمور الخير، و يحول بينه و بين ما فيه النّفع و الصّلاح له و للنّاس في دينهم و دنياهم. و من الطّرق و الأساليب التي يمنع بها الشيطان الإنسان عن فعل الخير النّسيان؛ فالنّسيان إذن من الشيطان و لولاه لتذكّر الفتى ما أوصاه به يوسف - عليه السّلام - و هو أن يذكره عند الملك. يقول (محمد علي أبو حمدة): « و إذن يكون الشيطان قد نجح في إعاقة مسيرة يوسف - عليه السّلام - بضع سنين من خلال ثغرة النّسيان (2) ».

و لكّنه (الفتى) تذكّر بعد أن رأى الملك رؤيا و طلب من الملأ تقسّيرها و عجزوا عن ذلك و قالوا: «إنّها عبارة عن أضغاث أحلام، و طلب من الملك أو المسؤولين في القصر بأن يرسلوه إلى السّجن ليطلب من يوسف - عليه السّلام - تفسير هذه الرّؤيا ، فكان له ذلك. ﴿يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ أَفْتِنَا فِي سَبْعِ بَقَرَاتٍ

سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعِ سُنبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ لَّعَلِّي أَرْجِعُ إِلَى

النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٤٦﴾ (3) ».

و بعد هذه الحكمة الفنيّة في تسلسل أحداث القصة و مشاهدتها ، و إيجاز بعضها و حذف بعضها الآخر و التي تعكس البلاغة القرآنيّة في دقة التّعبير

(1) سورة يوسف الآية 42

(2) محمد علي أبو حمدة "في التذوق الجمالي لسورة يوسف" مرجع سابق ، ص 36

(3) سورة يوسف : الآية 46



و عبقرية التصوير لبلوغ الغاية من هذه القصة المتمثلة في توصيل و تبليغ ما اشتملت عليه من عبر و مواظب إلى الناس قصد الاتعاظ و الاعتبار منها.

تأتي الفرصة السانحة و المواتية ليوسف - عليه السلام - كي يثبت براءته قبل أن يخرج من السجن و يصبح من المقربين من الملك : ﴿ وَقَالَ الْمَلِكُ أَتُؤْنِنِي بِهِ ۗ فَلَمَّا

جَاءَهُ الرَّسُولُ قَالَ أَرْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ فَسَأَلَهُ مَا بَالَ النِّسْوَةِ الَّتِي قَطَعْنَ أَيْدِيَهُنَّ ۚ إِنَّ رَبِّي

بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ ﴿٥٥﴾ قَالَ مَا خَطْبُكُمْ إِذْ رَاودْتُنَّ يُوسُفَ عَن نَّفْسِهِ ۗ قُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ

مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِن سُوءٍ ۗ قَالَتِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ الْمُنْ حَصْحَصَ الْحَقُّ أَنَا رَاودْتُهُ ۗ عَن

نَفْسِهِ ۗ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٥٦﴾ ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا

يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِبِينَ ﴿٥٧﴾ ۖ وَمَا أُبْرِي نَفْسِي ۚ إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ

رَبِّي ۚ إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥٨﴾ وَقَالَ الْمَلِكُ أَتُؤْنِنِي بِهِ ۗ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِي ۗ فَلَمَّا كَلَّمَهُ ۗ

قَالَ إِنَّكَ أَلْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ ﴿٥٩﴾ قَالَ اجْعَلْنِي عَلَىٰ خَزَائِنِ الْأَرْضِ ۗ إِنِّي حَفِيظٌ

عَلِيمٌ ﴿٦٠﴾ ﴿١﴾ .

نجح يوسف - عليه السلام - بعد تأويله رؤيا الملك في جلب احترام و اهتمام هذا الأخير و إقناعه بإعادة التحقيق في قضية المراودة التي دخل بسببها إلى السجن ، حيث لما أرسل الملك في طلبه أبى أن يخرج منه حتى تظهر و تثبت براءته من التهمة المنسوبة إليه، فطلب من مبعوث أو رسول الملك بأن يعود إلى سيده و يطلب منه بأن يسأل النسوة و يستفسر هن عن سبب تقطيعهن لأيديهن و طلب يوسف - عليه السلام - من الملك توجيه السؤال إلى النسوة دون ذكر امرأة (العزیز) خوفا من عزوفه (الملك) عن التحقيق في القضية مراعاة لمنصب و مكانة (العزیز) كما أن النسوة يوم المتكأ سمعن اعتراف و إقرار امرأة (العزیز) - أمامهن - بأنها

(1) سورة يوسف ، الآيات 50-55



راودت (يوسف) عن نفسه . الأمر الذي يسهّل على الملك تحريّي و استقصاء الحقيقة و ذلك منتهى الحكمة في البحث و غاية الإيجاز في الخطاب. (1)

و لما فعل ذلك اكتشف الحقيقة المتمثلة في براءة يوسف - عليه السّلام - . يقول (الشعراوي) : «الخطب هو الحدث الجلل غير العادي (...) و هو يدلّ على أنّ الملك سمع الحكاية بتفاصيلها فاهتزّ لها و اعتبرها خطبا» (2) ، و الخطب هو الشّأن المهمّ من حالة أو حادثة (3) «أو هو «الأمر الجلل و المصاب» (4).

و بالإضافة إلى أنّ سؤال الملك جاء صريحا و مباشرا و موجزا في التّهام النسوة بمرآودة يوسف - عليه السّلام - عن نفسه فإبّه تضمّن شدة و قوّة و صرامة في الطّرح بدليل توظيفه للفظ «خطبكن» الذي يدلّ على الأمر العظيّم الجلل، و لفظ ( راودتن) .

الذي يوحي بالالتّهام المباشر - بحيث لم يترك لهنّ مجالا للكذب أو التّردّد في الإجابة إلا في الاعتراف بالحقيقة و الشهادة بالحقّ ﴿ قَالَ مَا خَطْبُكُنَّ إِذْ رَاودْتُنَّ يُوسُفَ عَن

نَفْسِهِ ۗ قُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِن سُوءٍ ﴾ و هذه شهادة حيّة من النسوة

على حسن أخلاق يوسف - عليه السّلام - المتمثلة في الطّهارة و العفاف. و على إثر هذه الشهادة لم تجد امرأة (العزير) بدّا أو وسيلة للتّكرار إلا الاعتراف الصّريح - أمام الملك - بكيدها و ذنبها و خطئها مبرّنة يوسف - عليه السّلام - من هذه التّهمة الباطلة : ﴿ قَالَتِ امْرَأَتُ الْعَزِيرِ ۖ الْكُنَّ حَصْحَصَ الْحَقِّ أَنَا رَاودْتُهُ عَن نَفْسِهِ ۗ

وَإِنَّهُ لَمِنَ الصّٰدِقِيْنَ ﴿٢١﴾ .

في الوقت الذي تشهد فيه النسوة بحسن خلق يوسف - عليه السّلام - تشهد امرأة (العزير) بأنّ الحقّ حصص أي : (ثبت و استقرّ) (5) أو هو بمعنى : «ظهور حصّة الحقّ على حصّة الباطل» (6). ثمّ تعترف بأنّها هي التي راودت (يوسف) عن نفسه مقدّمة ضمير المتكلم (أنا) الذي يفيد تخصيصها بالمرآودة دون غيرها. يقول (أحمد

(1) ينظر ابن عاشور تفسير التحرير و التنوير ج12 ص289

(2) محمد متولي الشعراوي : "تفسير الشعراوي" مج11 ص6989 - 6990

(3) ابن عاشور : المصدر نفسه، ص290

(4) سيد قطب : في ظلال القرآن ، مج4 ، ج12، ص1995

(5) الزمخشري ، الكشاف ، مج2 ص327 و ابن عاشور : تفسير التحرير و التنوير ، ص291

(6) الشعراوي ، تفسير الشعراوي - مصدر سابق ، ص6990

جمال الدين): «و تقديم المسند إليه (أنا) لنفى أدنى شكّ قد يساور المتلقي في حدوث المرادة من غيرها أي: أنّ امرأة(العزیز) تريد أن تزيل أدنى ريبة في (يوسف) ، و ذلك بإقرار الانفراد بالمرادة و الاستبداد بها و هذه هي الدلالة العميقة المتوخّاة من تقديم المسند إليه على المسند»<sup>(1)</sup>. كما جاء في قول امرأة (العزیز) ﴿أنا راودته عن نفسه﴾ و قول يوسف - عليه السّلام - ﴿هي راودتني عن نفسي﴾ متوافقين في تبرئة ساحة يوسف - عليه السّلام - من تهمة المرادة و حصرها في امرأة (العزیز) . و ما زاد اعتراف امرأة(العزیز) قوّة و تأكيدا إثباتا و حسما هو تعزيزها و إردافها له بقولها ﴿و إني لمن الصادقين﴾ موظفة مؤكدين (إنّ) و (اللام) لتنفى عنه شبهة المشاركة في المرادة<sup>(2)</sup>.

إنّ في كلامها المؤكد هذا دليل على شعورها بالندم على الخطأ الذي ارتكبته في حقّ يوسف - عليه السّلام - و المتمثل في اتهامها له كذبا و افتراء، و سجنه ظلما و باطلا. و فيه التماس للعذر و العفو و السّماح منه علها تحظى باحترامه و مودّته، حيث تعلل سبب اعترافها و شهادتها بالحقّ حتى تقنع يوسف- عليه السّلام - بندمها على الذنب الذي اقترفته في حقه ، و صدق توبتها و عدم خيانتها و غيبته موظفة اسم الإشارة (ذلك) و حرف التعليل(اللام) و حرف التوكيد (إنّ) في قولها : ﴿ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِبِينَ﴾<sup>(3)</sup>.

فهـي و إن كانت - فيما مضى - قد اتهمته زورا و بهتاناً و في حضوره فإنها اليوم- تعترف بالحقيقة في غيابه. و تمضي قدما في تعليلها و تبريرها ملتزمة العفو و الصّفح من يوسف- عليه السّلام- مؤكدا خطأها و ندمها عليه ، راجية و طامعة في مغفرة الله - سبحانه و تعالی - في قولها : ﴿وَمَا أُبْرِئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾<sup>(4)</sup>.

تؤكّد امرأة (العزیز) بأنّ النفس أمّارة بالسّوء مشيرة إلى نفسها التي أمرتها بالسّوء، أي: بالهوى و الخضوع إلى نداءات اللّذة و التّعسف في استخدام السّلطة و في قولها : ﴿و ما أبرئ نفسي﴾ ثم تحدّث بصيغة التعميم ﴿إنّ النفس أمّارة

(1) أحمد جمال الدين ، لغة الحوار في سورة يوسف ، دراسة أسلوبية ص (17/narratology-eg-.com/Ahmed Gemels)

(2) ينظر أحمد جمال الدين "لغة الحوار في سورة يوسف ، دراسة أسلوبية"(narratology-eg-.com/Ahmed Gemels).

(3) سورة يوسف ، الآية 52

(4) سورة يوسف ، الآية 53

بالسوء ﴿لأنَّ النَّفْسَ الْبَشَرِيَّةَ بِطَبِيعَتِهَا مِيَالَةٌ إِلَى الرَّغَبَاتِ وَالشَّهَوَاتِ وَلِهَذَا فَكَلَّ  
إنسان معرض للخطأ و الزلل إلا من حفظه الله - سبحانه و تعالى - و وفقه إلى كبح  
جماح نفسه و صدّها عن المحرّمات و المعاصي.

و ربّما تحدّثت بصيغة التعميم ﴿إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ﴾ و لم تقل (إنّ نفسي

أمّارة بالسوء) تعليلا و تبريرا و تخفيفا لخطئها و التماسا للعفو و الصّفح من يوسف  
-عليه السّلام - على أساس أنّ كلّ النَّاس معرضون للخطأ و هي واحدة منهم و ليست  
معصومة « و لاشكّ أنّ الانفعالات التي سيطرت عليها في هذه اللحظات قد تمثلت  
في الشعور بالإثم و النّدم على ما بدر منها و الغضب على سلوكها مع مسحة  
من الحزن»<sup>(1)</sup> . ثم تؤكّد بأنّ الله - سبحانه و تعالى - يغفر ذنب و معصية عبده

إذا تاب توبة نصوحا ﴿إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ مستعملة حرف التوكيد (إنّ) و صيغة

المبالغة (غفور) فـي إشارة إلى أنّ الله - عزّ و جلّ - كثير المغفرة لعباده رحيم  
بهم ، و عساها أن تكون منهم. و هذا دليل على صدق توبتها و رجوعها إلى الله  
-عزّ و جلّ - ، و في هذا المقام جاء عن النّبّيّ - صلى الله عليه و سلّم - أنّه قال:  
" قال الله - عزّ و جلّ - أنا عند ظنّ عبدي بي  
و أنا معه حيث يذكرني ، و الله ، لله أفرح بتوبة  
عبده من أحدكم يجد ضالّته بالفلاة ، و من  
تقرّب إليّ شبرا تقرّبت إليه ذراعا ، و من تقرّب إليّ  
ذراعا تقرّبت إليه باعا و إذا أقبل يمشي أقبلت  
إليه أهروا" <sup>(2)</sup> .

و في هذا الحديث دليل على حبّ الله - سبحانه و تعالى - لعباده الذين يتقرّبون  
إليه بالتوبة و الاستغفار.

و كأيّ بامرأة (العزیز) أرادت من وراء هذا الاعتراف و التأكيد  
و التعليل و التبرير -أيضا - الوصول إلى هدف ألا و هو إقناع يوسف -عليه  
السّلام - بأن يسامحها و يصفح عنها . فإذا كان الخالق - سبحانه و تعالى - يقبل توبة  
عبدهو يغفر ذنوبه إذا ندم عليها و أقلع عنها، فكيف للمخلوق يوسف -عليه السّلام -  
ألا يسامح و لا يعفو؟!

(1) مصطفى مولود عشوي، المرجع نفسه الموقع: www.almaktabah.net/vb/showthread.php  
(2) مسلم ، صحيح مسلم ، كتاب التوبة، ص1126

و لما علم الملك الحقيقة، و أدرك صدق و أمانة و طهارة يوسف - عليه السلام - أرسل في طلبه و جعله من المقربين: ﴿ وَقَالَ الْمَلِكُ أَتُؤْتُونِي بِهِ - أَسْتَخْلِصَهُ لِنَفْسِي ط فَلَمَّا كَلَّمَهُ قَالَ إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ ﴾ (1).

و قول الملك ﴿ أَسْتَخْلِصَهُ لِنَفْسِي ﴾ بمعنى أ جعله خاصاً بي أعمل معه و أستشيره في أمور الحكم ، و هذا نظراً لما أبداه من حكمة و علم و حسن خلق و صبر على تحمّل المشاق ، و هذه الصفات و الميزات علامات و مؤهلات الرّجل الذي يصلح للحكم و السّلطة ، أو هي مؤهلات الحاشية و البطانة الصّالحة التي يستشيرها الملك فتشير عليه بالرّأي الصائب و السّديد الذي ينفع الرّعية أو تأخذ بيده في تسيير دواليب الحكم و تنظيم شؤون الحياة و العدل بين النّاس و لذلك قال له الملك: ﴿ إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ ﴾ أي: ذا مكانة و مرتبة عظيمة ؛ مرتبة الحكم و الجاه و السّلطان ، أمين في تأديّة هذه المهمّة و المسؤوليّة و حفظها ممّا يــــدّل على أن يوسف - عليه السلام - كالم الملك كلاماً حكيماً ، فلما رأى حسن منطقــــه و بلاغة قوله و أصالة رأيه فتبيّن له أنّه أهل للثقة و المسؤوليّة (2) . فهو مقربّ ذو مكانة و سيادة بعيداً عن العبوديّة أو من على نفسه من السّجن و الذلّ و الهوان (3) ، ﴿ قَالَ أَجْعَلْنِي عَلَىٰ خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ ﴾ و طلب يوسف - عليه السلام - من الملك بأن يجعله أميناً على المال لأنّه من يعلم أنّه بإمكانه المحافظة عليه من الضياع و كيفيّة توزيعه بالعدل على النّاس في أيّام الجذب و القحط.

## 6- حجة يوسف للإبقاء على أخيه:

بعد معرفة يوسف - عليه السلام - لإخوته عندما جاؤوا للكيل، و جهلهم له، اشترط عليهم إحضار أخيه الصّغير ليكيل لهم، وردّ بضاعتهم في أكياسهم، فما كان لهم إلا أن عادوا إلى بلدهم و ديارهم ، و ناشدوا والدهم و استعطفوه بأن يسمح لهم باصطحاب أخيه الصّغير استجابة لطلب (العزيز) ، و رغبة و طلباً للكيل ، و بعد أن أحضروه إليه كال لهم لإبقاء أخيه عنده،

(1) سورة يوسف ، الآية 54

(2) ينظر : ابن عاشور ، تفسير التحرير و التنوير ، ج 13 ص 07

(3) ينظر سيد قطب، في ظلال القرآن مج 4 ج 13 ص 2005

فجعل السقاية في رحل أخيه ليثبت عليه السرقة، و يطبق عليه الشريعة المعمول بها آنذاك في معاقبة السارق بأن يؤخذ عبدا لدى المسروق له.

قال تعالى: ﴿فَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَّازِهِمْ جَعَلَ السَّقَايَةَ فِي رَحْلِ أَخِيهِ ثُمَّ أَذِنَ مُؤَدِّنٌ أَيُّهَا

الْعَبِيرُ إِنَّكُمْ لَسَارِقُونَ ﴿٧٥﴾ قَالُوا وَأَقْبَلُوا عَلَيْهِمْ مَاذَا تَفْقَدُونَ ﴿٧٦﴾ قَالُوا نَفَقْدُ

صُوعًا أَلْمَلِكِ وَلِمَنْ جَاءَ بِهِ حِمْلُ بَعِيرٍ وَأَنَا بِهِ زَعِيمٌ ﴿٧٧﴾ قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَا

جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِي الْأَرْضِ وَمَا كُنَّا سَارِقِينَ ﴿٧٨﴾ قَالُوا فَمَا جزؤُهُ إِنْ كُنْتُمْ كَذِبِينَ

﴿٧٩﴾ قَالُوا جزؤُهُ مَنْ وُجِدَ فِي رَحْلِهِ فَهُوَ جَزَاؤُهُ كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ ﴿٨٠﴾

فَبَدَأَ بِأَوْعِيَّتِهِمْ قَبْلَ وِعَاءِ أَخِيهِ ثُمَّ اسْتَخْرَجَهَا مِنْ وِعَاءِ أَخِيهِ كَذَلِكَ كِدْنَا

لْيُوسُفَ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَن نَّشَاءُ

وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ ﴿٨١﴾ \* قَالُوا إِنْ يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَهُ مِنْ قَبْلُ فَأَسْرَهَا

يُوسُفَ فِي نَفْسِهِ وَلَمْ يُبْدِهَا لَهُمْ قَالَ أَنْتُمْ شَرُّ مَكَانٍ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ

﴿٨٢﴾ قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ إِنَّ لَهُ أَبًا شَيْخًا كَبِيرًا فَخُذْ أَحَدَنَا مَكَانَهُ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ

الْمُحْسِنِينَ ﴿٨٣﴾ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ أَنْ نَأْخُذَ إِلَّا مَنْ وَجَدْنَا مَتَّعْنَا عِنْدَهُ إِنَّا إِذَا

لظالمون ﴿٨٤﴾ ﴿١﴾

في هذه الآيات الكريمة تفصيل للمكيدة التي دبها و نفذها يوسف عليه السلام- للإبقاء على أخيه عنده و هذا بجعل السقاية في رحل أخيه كدليل مادي لإدانته بفعل السرقة -بالاتفاق مع شقيقه طبعاً- أمام إخوته و تحكيم شريعتهم في عقوبة السارق.

(1) سورة يوسف ، الآيات 74-75

يقول (ابن عاشور): «و إسناده جعل السقاية<sup>(1)</sup> إلى ضمير (يوسف) مجاز عقلي و إنما هو أمر بالجعل و الذين جعلوا السقاية هم العبيد الموكلون بالكيل (...) و إضافة الصّواع إلى الملك لتشريفه و تهويل سرقة على وجه الحقيقة لأنّ شؤون الدولة كلّها للملك.<sup>(2)</sup>»

و بعد اتّهامهم بالسرقة إخوة (يوسف): ﴿أَيُّهَا الْعَيْرُ إِنَّكُمْ لَسَرِقُونَ﴾ راحوا يدفعون عن أنفسهم هذه التهمة الخطيرة و يدافعون عن براءتهم بكلّ قوّة و صرامة ﴿تَاللّٰهِ لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَّا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِي الْأَرْضِ وَمَا كُنَّا سَرِقِينَ﴾

و هنا يتحقق ما كان يريد و يرغب فيه يوسف - عليه السّلام - ألا و هو تحكيم و تطبيق القانون أو الشريعة التي يتحاكم و يتعامل بها إخوة (يوسف) في بلدهم (الشام) ، بخصوص عقوبة السارق و التي تتمثل في استرقاق السارق أي: أخذه عبدا لدى المسروق له: «قَالُوا فَمَا جَزَاؤُهُ إِنْ كُنْتُمْ كَاذِبِينَ ﴿٧٤﴾ قَالُوا جَزَاؤُهُ مَنْ

وَجَدَ فِي رَحْلِهِ فَهُوَ جَزَاؤُهُ كَذٰلِكَ نُجْزِي الظّٰلِمِينَ ﴿٧٥﴾»<sup>(3)</sup> و بذلك يتسنى

ليوسف - عليه السّلام - تنفيذ خطته بكلّ سهولة و لباقة ﴿فَبَدَأَ بِأَوْعِيَتِهِمْ قَبْلَ وِعَاءِ

أَخِيهِ ثُمَّ اسْتَخْرَجَهَا مِنْ وِعَاءِ أَخِيهِ كَذٰلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ مَا كَانَ لِیٰأَخُذَ أَخَاهُ فِي

دِينِ الْمَلِكِ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مِّنْ نَّشَاءٍ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ ﴿٧٦﴾

﴿(4)﴾

فيوسف بدأ بأوعية إخوته غير الأشقاء قبل وعاء أخيه الشقيق كي لا يثير شبهة في نتيجة التفتيش<sup>(5)</sup> و ليضلّ لهم بأنّ الأمر غير مدبر<sup>(1)</sup>، إذ لو بدأ بوعاء

(1) السقاية: إناء كبير يسقي بع الماء و الخمر ، و الصواع: و عاء للكيل يقدر بوزن رطل و ربع أو ثلث. و كانوا يشربون الخمر بالمقدار ، و يجعلون أنية الخمر مقدره بمقادير مختلفة ، فيقول الشارب للساقى: رطلا أو صواعا أو نحو ذلك. فتسمية هذا الإناء سقاية و تسمية صواعا جاريه على ذلك ، و في التوراة سمي طاسا و وصف بأنه من فضة: ينظر ابن عاشور ، التحرير و التنزيل ج13 ص27/28

(2) ينظر ابن عاشور: التحرير و التنوير ، نفس الصفحة

(3) سورة يوسف ، الآيتان 74-75

(4) سورة يوسف ، الآية 76

(5) سيد قطب ، في ظلال القرآن، مج4 ج13 ص2020

أخيه و استخرج السقاية منه لشك إخوته في الأمر ، و لتكتشف مكيدته و خطته ، و لكن (يوسف) بهذه الطريقة جعلهم يقتنعون بسرقة أخيهم دون أن يراودهم أي شك في ذلك رغم أنهم يعرفون أخلاقه و تربيته تربية يعقوب - عليه السلام - ، فبدل أن يدافعوا عنه راحوا يثبتون عليه التهمة و يورطونه، و الأدهى و الأمر قذفهم لأخيهم (يوسف) بالسرقه زورا و بهتانا ﴿ قَالُوا إِن يَسْرِقَ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَهُ مِنْ قَبْلُ فَأَسْرَهَا يُوسُفُ فِي نَفْسِهِ وَلَمْ يُبْدِهَا لَهُمْ قَالَ أَنْتُمْ شَرُّ مَكَانًا ۗ ۞ ﴾

وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ ﴿٧٧﴾ (2).

لقد غضب يوسف - عليه السلام - من رد فعل إخوته و افتراءهم عليه و على أخيه ﴿ قَالُوا إِن يَسْرِقَ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَهُ مِنْ قَبْلُ ﴾ إذ بدل الدفء عن أخيهم الصغير راحوا يثبتون و يؤكدون عليه التهمة بل يقذفون بها أخاهم (يوسف) بالباطل محاولين بذلك تبرئة أنفسهم و إقناع (العزيز) و فتيانه بأنهم براء من هذا الجرم جرم - السرقة - و الذي لا يمكن أن يصدر عنهم ، و إنما يصدر عن أخويهم من أبيهم (يوسف) و أخيه حتى أنهم ترفعوا عن الانتساب إلى (يوسف) و أخيه ﴿ قَالُوا إِن يَسْرِقَ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَهُ مِنْ قَبْلُ ﴾ « حيث لم يقولوا «أخانا» في إشارة إلى أنهم هم الشرفاء و الأتقياء و المتخلفون و الصالحون ... » و هذا إن دل على شيء إنما يدل على الكره و الحقد الشديدين الذين يكتنهما إخوة (يوسف) له و لأخيه ﴿ فَأَسْرَهَا يُوسُفُ فِي نَفْسِهِ وَلَمْ يُبْدِهَا لَهُمْ قَالَ أَنْتُمْ شَرُّ مَكَانًا ۗ ۞ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا ۗ ۞ ﴾

تَصِفُونَ ﴿٧٧﴾ و رغم الغضب الشديد الذي اعترى يوسف - عليه السلام - نتيجة ادعاء و افتراء إخوته عليه بالسرقه إلا أنه تمالك نفسه و كظم غيظه « و أعرض عن زجرهم و عقابهم مع أنها طعن فيهم و كذب عليه » و هذا حتى لا تتكشف مكيدته و خطته في الإبقاء على أخيه عنده إذ لو عاتبهم أو عقبهم لتعرفوا عليه و اكتشفت بذلك خطته و لهذا أسرها في نفسه و لم يبدها

(1) ينظر مصطفى مولود عشوي ، سورة يوسف ، قراءة نفسية.الموقع:

www.almaktabah.net/vb/showthread.php

(2) سورة يوسف ، الآية 77



لهم . إلا أنّ ما رآه من مكر إخوته و حقدهم و ظلمهم له و لأخيه لم يثنه عن القول:  
﴿ قَالَ أَنْتُمْ شَرُّ مَكَّانًا ۖ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ ۖ ﴾

ثم ماذا سرق يوسف - عليه السّلام -؟! .  
إثمه الكذب و البهتان و ربّما - غرضا - كانوا يقصدون سرقة (يوسف) محبة أبيهم  
منهم و انفراده بإيثاره له و تفضيله عليهم .  
و لكن حتّى و لو كان ظنّهم أو اعتقادهم كذلك فإنّه لا يبرّر جرمهم و ظلمهم ضدّ  
أخيهم يوسف و أبيهم يعقوب - عليهما السّلام -؟! .  
ثمّ إنّ يعقوب - عليه السّلام - كان يحبّ أبناءه جميعا، و خير دليل على ذلك هو قوله  
لهم: ﴿ يَبْنِي لَكَ تَدْخُلُوا مِنْ بَابٍ وَاحِدٍ وَادْخُلُوا مِنْ أَبْوَابٍ مُتَفَرِّقَةٍ وَمَا أُغْنِي عَنْكُمْ  
مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ إِنْ أَلْحَمْتُمْ إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ ﴿٧﴾

(1) ﴿

فنداؤه لهم بلفظة (بنيّ) توحى بالمحبة الأبويّة و تحمل في طياتها معاني الرّحمة  
و العطف و الحنان .  
و الغرض من النّداء هو لفت انتباه أبنائه إلى أمر مهمّ سيقوله و يوصيهم به و تمثل  
في نصّحهم عن طريق التّهيّء ﴿لَا تَدْخُلُوا مِنْ بَابٍ وَاحِدٍ﴾ و الأمر ﴿ادْخُلُوا مِنْ  
أَبْوَابٍ مُتَفَرِّقَةٍ﴾ .

فهني يعقوب - عليه السّلام - لأبنائه على الدّخول من باب واحد و طلب منهم  
بأن يدخلوا من أبواب متفرّقة كان خشية العين و الحسد و حرصا عليهم  
من أن يصيبهم مكروه - جماعة أو مجتمعين - لدليل قاطع على محبّته لهم .  
ثم إنّ رعاية الصّغار و العطف عليهم و الميل إليهم طبيعة في البشر، كونهم  
ضعافا يحتاجون إلى حنان آبائهم و عطفهم و رعايتهم حتّى تكتمل شخصيّتهم .  
فإذا كانت الحيوانات بغريزتها - التي خلقها الله عليها - ترعى و تحمي صغارها  
حتّى تكبر و تصبح قادرة على العيش بمفردها و حماية نفسها، فما بالك بالإنسان  
الذي خلقه الله في أحسن صورة و وهبه نعمتي العقل و العاطفة معا؟! .  
و بعد أن أقام يوسف - عليه السّلام - الحجّة على إخوته في الإبقاء على أخيهم  
الصّغير عنده بعد استخراج صواع الملك من وعائه و إثبات جرم السرقة عليه

(1) سورة يوسف ، الآية 67



و اقتناع إخوته بسرقة و إثباتها عليه باثهام شقيقه (يوسف) بهذه الجريمة- أيضا- تذكروا الوعد الذي قطعوه لأبيهم بالمحافظة على أخيه: ﴿قَالَ لَنْ أُرْسِلَهُ مَعَكُمْ

حَتَّى تُوْتُونَ مَوْثِقًا مِّنَ اللَّهِ لَتَأْتِنِي بِهِ إِلَّا أَنْ تُحَاطَ بِكُمْ فَلَمَّا آتَوْهُ مَوْثِقَهُمْ قَالَ  
اللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ ﴿٦٦﴾ (1).

فراحوا يستخدمون التأثير النفسي و العاطفي كأسلوب إقناعي لاستمالة قلب يوسف- عليه السلام- و إشارة شفقتة ﴿قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ إِنَّ لَهُ أَبًا شَيْخًا كَبِيرًا فَخُذْ

أَحَدَنَا مَكَانَهُ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٧٨﴾ (2).

و تمثل هذا التأثير النفسي و العاطفي في استعطافهم ليوسف -عليه السلام- بأن يأخذ أحدهم بدل أخيه الصغير لأن له أبا شيخا كبيرا لا يمكنه تحمل مثل هذه الصدمة و خاصة أنه مازال يعاني ألم الفراق و مرارة الحزن على ضياع يوسف - عليه السلام-.

و حتى يحققوا الاستجابة و الرد الإيجابي عن طلبهم -التمثل في إبقاء أحدهم عوضا عن أخيه الصغير- راحوا يمدحون و ينعنون (العزیز) يوسف -عليه السلام- بالإحسان للتأثير عليه و استمالة قلبه، و للمدح أثره الكبير على النفس في تغيير المواقف و الأحكام أحيانا، إلا أن أسلوبهم هذا باء بالفشل لأن يوسف -عليه السلام- رفض اقتراحهم و رأى فيه ظلما: ﴿قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ أَنْ نَأْخُذَ إِلَّا مَنْ وَجَدْنَا مَتَّعَنَا

عِنْدَهُ إِنَّا إِذَا لَطَلِمُونَ ﴿٧١﴾ (3) فردّ حجتهم بحجة أخرى أكثر إقناعا و هي

وجوب معاقبة المجرم الحقيقي على جريمته إذ لا يجوز شرعا أن يتحمل بريء عقوبة جرم لم يقترفه بدلا عن المذنب أو مرتكب الجريمة بدليل قوله تعالى: ﴿إِلَّا تَزِرُ

وَأَزْرَهُ وَّزَرَ أُخْرَىٰ ﴿٣٨﴾ (4).

(1) سورة يوسف، الآية 66

(2) سورة يوسف الآية 78

(3) سورة يوسف ، الآية 79

(4) سورة النجم: الآية 38

و في هذا الموقف يقول (مصطفى مولود عشوي): « و نلاحظ أنّ حجّة إخوة (يوسف) في استعطافهم للعزیز قائمة أساسا على تجنيد الجانب الوجدانيّ عند (العزیز) لعله يلين و يستجيب لاستعطافهم. و لكنّ ردّ (العزیز) كان منطقيًا و عقلائيًا إذ رفض استعطافهم مبررًا ذلك بإقامة العدل إذ ليس من العدل أن يأخذ شخص ما بجريمة شخص آخر. و كيف يقام العدل إذا أطلق (المجرم) الذي تثبت عليه (السّرقة) و يسجن (البريء)؟!»<sup>(1)</sup>

لقد ألزم يوسف (العزیز) - عليه السّلام- إخوته بحجّة دامغة مقنعة لم تترك لهم مجالًا لمحاولات الاستعطاف و التوسّل. فكانت حجّته أقوى من حجّتهم ، إذ أنّه لو استجاب لطلبهم بأخذ أحدهم بدل أخيهم الصّغير ، لغاب العدل و ساد قانون الغاب ، و أصبح البقاء للأقوى لا للأصلح.

(1) مصطفى مولود عشوي، سورة يوسف ، قراءة نفسية الموقع :

خاتمة

## خاتمة

إنّ الباحث في القرآن الكريم عموماً، و القصص القرآني على وجه الخصوص ليجد متعة و لذة و جاذبيّة في دراسته سواء من ناحية الشّكل أو المضمون، بإعجازه اللّغوي المتمثّل في عظمة اختيّر الألفاظ و انسجامها، و دقّتها في تأدية المعاني، و في عبقرية نسج التراكيب و حسن صياغتها، و بإعجازه المضموني أو العلمي فيما يحمله من معان سامية، و أخلاق عالية ، و أحكام عظيمة ، و مقاصد طيّبة ، تحقّق جميعها للبشرية السّعادة الدنيويّة و الآخرويّة.

و اختصّ القصص القرآني بسرد أخبار الأنبياء و الرّسل الصّالحين، و وصف تسلّط و تجرّ الطّغاة المشركين، و أخبار الأمم الغابرة، بغرض وعظ أمّة محمد - عليه الصّلاة و السّلام - و إرشادها لتستلهم العبر و الدّروس، فتتهدي إلى سواء السّبيل.

و لعلّ سورة يوسف واحدة من هذا القصص الذي يجسّد هذه القيم و الدّروس و العبر انطلاقاً من سرد يوسف - الصّبيّ - رؤياه على والده ، و نصح هذا الأخير له بإخفاء الأمر عن إخوته خوفاً عليه من أديّتهم وصولاً إلى تحقّق هذه الرؤيا ؛ رؤيا يوسف النّبيّ - عليه السّلام - و بين الرؤيا و تحقّقها حياة يوسف و أبيه المملأى بالابتلاءات و المحن و الأحزان و الأشجان و الآلام و الآمال و بالصّبر و التّجلّد، و الدّعاء و التضرّع و تفويض الأمر لله - عزّ و جلّ -

فيوسف - عليه السّلام - يرمى في البئر صبيّاً فترعاه العناية الإلهيّة ، و يستخرج من الجبّ و يباع رقيقاً و يشتريه عزيز مصر لتتحقّق له أسباب العيش الرّغيد و الحياة الهنيّة ، إلى أن يصير شاباً قوياً وسيماً ، فتراوده امرأة العزيز عن نفسه فيمتنع و تتعفّف نفسه الأبيّة ، و يدخل السجن ظلماً و قهراً، فيدعو إلى ربّه بالحكمة و الحجّة القويّة و يؤوّل رؤيا السجينين ، ثم رؤيا الملك ، فيحظى باهتمامه و يقربه منه فيصبح عزيز مصر و أمين خزائنها ، لتتحقّق رؤياه بأن سجد له أبواه و إخوته سجود التّحيّة.

إنّ المتدبّر في سورة يوسف يستشفّ ما تعكسه من قيم أخلاقيّة و اجتماعيّة و سياسيّة و اقتصاديّة و علميّة ، و معالم ثقافيّة و حضاريّة، كالّدعوة إلى الله و الدّعاء و التضرّع و تفويض الأمر لله - سبحانه - و تعالّى - و الصّبر و العفو و السّماحة و الحكمة و التّخطيط الاقتصاديّ و العدل و أدب الحوار و المعاملة.

و يستخلص بالمقابل ما يناقض ذلك من سوء أخلاق و معاملة، كالكذب و الحسد و الكره و المكر و الكيد و مخالفة الوعد، و الغدر...، و ينتصر في الأخير الحقّ على الباطل و الخير على الشرّ، فيتبيّن أنّ عمر الشرّ قصير و لو طال أمده، و أنّ الله - عزّ و جلّ - يظهر الحقّ و ينصره، و يزهد الباطل و يدحضه ولو بعد حين.

و رغم تعدّد و تنوّع الدّراسات و البحوث في القرآن الكريم و قصصه - قديما وحديثا- و لاسيما في سورة يوسف، إلا أنّها لم تغن الباحثين و الدّارسين من مواصلة البحث، بل زادت من فتح شهيتهم لذلك؛ بأن كانت منطلقا لبحوث و دراسات جديدة أخرى، و هكذا دواليك سيبقى القرآن الكريم و قصصه المادّة الخام التي لا تنفذ و المعين الذي لا ينضب، مصداقا لقوله تعالى:

﴿ قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا ﴾ (109) سورة الكهف: الآية 192

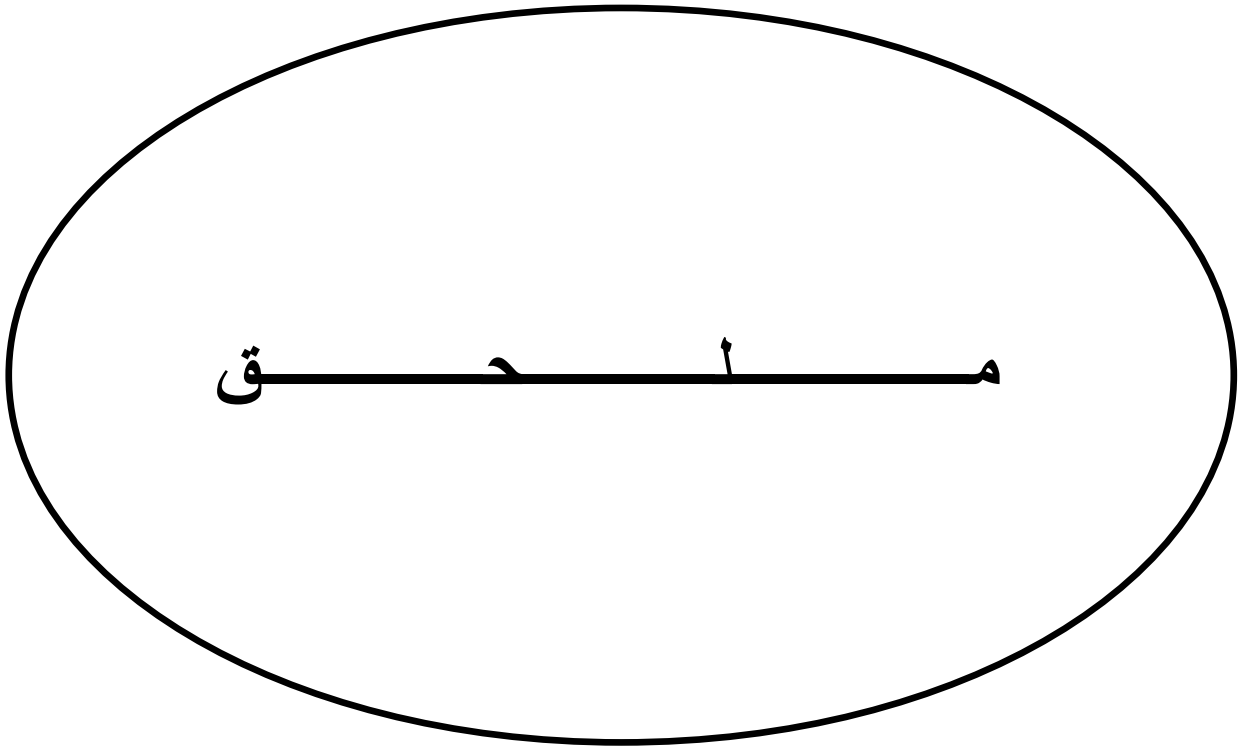
و في هذا دليل على أنّ علوم القرآن بحر زاخر ليس له قرار، و أنّ العقل البشريّ لا يمكن أن يحيط بها جميعا، و أنّ البحث و الاكتشاف فيها مستمرّ و متواصل و لا ينتهي إلى أن يرث الله الأرض و من عليها.

فالقرآن الكريم - إذن- لا تنتهي علومه و لا عجائبه كونه حجّة النبيّ- صلى الله عليه و سلّم- على النّاس، و معجزته الخالدة إلى يوم الدّين، حيث جاء في الأثر: « كتاب الله فيه نبا ما قبلكم، و خبر ما بعدكم، و حكم ما بينكم، هو الفصل ليس بالهزل، من تركه من جبار قصمه الله، و من ابتغى الهدى في غيره أضله الله، و هو حبل الله المتين، و هو الذّكر الحكيم، و هو الصّراط المستقيم، هو الذي لا تزيع به الأهواء و لا تلتبس به الألسنة، و لا يشبع منه العلماء و لا يخلق عن كثرة الردّ، و لا تنقضي عجائبه، هو الذي لم تنته الجنّ إذ سمعته حتّى قالوا: ﴿ إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ ﴾ سورة الجنّ: الآية 1-2 من قال به صدق، و من عمل به أجر، و من حكم به عدل، و من دعا إليه هدى إلى صراط مستقيم»

انطلاقاً من هذا البحث يمكن أن أقدم بعض التوصيات، و أخصّ منها:

- 1- إقامة ندوات و مؤتمرات تهتمّ باستراتيجيات و أساليب الإقناع في القرآن الكريم، و بطرق الحوار و المحاجة فيه للاستفادة منها في ترقية الخطاب اليومي بين الناس و في الدعوة إلى الله و في الردّ على الخصوم.
- 2- اعتماد استراتيجيات و أساليب الإقناع القرآنية في مناهج التدريس و طرق التعليم لتحقيق نتائج إيجابية في عملية تبليغ و توصيل المعلومات و الأفكار و الدروس للطلبة، و الرّفع من مستواهم العلميّ.
- 3- تشجيع البحث في القرآن الكريم باعتباره أساس اللغة العربيّة و قمة بلاغتها و علومها.
- 4- تنظيم ندوات تعالج و تدرس جماليّة البناء القصصي في القصص القرآني على غرار قصة يوسف – عليه السّلام- للرّفع من مستوى القصة الفنيّة العربيّة.

و ليس لي في الأخير إلا أن أحمد الله- سبحانه و تعالى- لأن وّقني لإتمام هذا البحث المتواضع، وأسأله – عزّ و جلّ- أن يكون عملاً موفقاً و نافعا – آمين.



م ا ح ق

سورة يوسف

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿الرَّ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ ﴿١﴾ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢﴾  
 نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِنْ كُنْتَ مِنْ  
 قَبْلِهِ لَمَنِ الْغَافِلِينَ ﴿٣﴾ إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا  
 وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ ﴿٤﴾ قَالَ يَبْنَئِي لَأَقْصُصَ رُءْيَاكَ عَلَيَّ  
 إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا ۗ إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴿٥﴾ وَكَذَلِكَ  
 نَجَّيْنَاكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَعَلَىٰ آلِ  
 يَعْقُوبَ كَمَا أَتَمَّهَا عَلَىٰ أَبَوَيْكَ مِنْ قَبْلُ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٦﴾ \*  
 لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ آيَاتٌ لِلِّسَّالِينَ ﴿٧﴾ إِذْ قَالُوا لِيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَيْنَا  
 أَيْنَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿٨﴾ اقْتُلُوا يُوسُفَ أَوْ اطْرَحُوهُ أَرْضًا  
 يَخْلُ لَكُمْ وَجْهَ أَبِيكُمْ وَتَكُونُوا مِنْ بَعْدِهِ قَوْمًا صَالِحِينَ ﴿٩﴾ قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ لَا  
 تَقْتُلُوا يُوسُفَ وَالْقَوْهَ فِي غَيْبَتِ الْجُبِّ يَلْتَقِطُهُ بَعْضُ السَّيَّارَةِ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ ﴿١٠﴾  
 قَالُوا يَا أَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأْمَنَّا عَلَىٰ يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُ لَنَنْصِحُونَ ﴿١١﴾ أَرْسَلَهُ مَعَنَا غَدًا  
 يَرْتَعُ وَيَلْعَبُ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴿١٢﴾ قَالَ إِنِّي لَيَحْزُنُنِي أَنْ تَذْهَبُوا بِهِ وَأَخَافُ أَنْ  
 يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ وَأَنْتُمْ عَنْهُ غَافِلُونَ ﴿١٣﴾ قَالُوا لَيْنَ أَكَلَهُ الذِّئْبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّا  
 إِذًا لَّخَسِرُونَ ﴿١٤﴾ فَلَمَّا ذَهَبُوا بِهِ وَأَجْمَعُوا أَنْ يَجْعَلُوهُ فِي غَيْبَتِ الْجُبِّ وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ



لَتُبَيِّنَنَّاهُمْ بِأَمْرِهِمْ هَذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٥﴾ وَجَاءَ وَآبَاهُمْ عِشَاءً يَبْكُونَ ﴿١٦﴾  
 قَالُوا يَا أَبَانَا إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِنْدَ مَتَعِنَا فَأَكَلَهُ الذِّئْبُ وَمَا أَنْتَ  
 بِمُؤْمِنٍ لَنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ ﴿١٧﴾ وَجَاءَ وَعَلَى قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ  
 لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ ﴿١٨﴾ وَجَاءَتْ سَيَّارَةٌ  
 فَأَرْسَلُوا وَارِدَهُمْ فَأَدْلَى دَلْوَهُ قَالَ يَبُشِّرُنِي هَذَا غُلَامٌ وَأَسْرُوهُ بِضَعَّةٍ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا  
 يَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾ وَشَرَّوهُ بِثَمَنٍ نَحْسٍ ذَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ وَكَانُوا فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ  
 ﴿٢٠﴾ وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِنْ مِصْرَ لِامْرَأَتِهِ أَكْرِمِي مَثْوَاهُ عَسَىٰ أَنْ يَنْفَعَنَا  
 أَوْ نَتَّخِذَهُ وَوَدَّاعٌ وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ  
 وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰ أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢١﴾ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ  
 ءَاتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ نُجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿٢٢﴾ وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا  
 عَنْ نَفْسِهِ وَعَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ  
 مَثْوَايَ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ ﴿٢٣﴾ وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنْ رَأَىٰ بُرْهَانَ  
 رَبِّهِ كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ ﴿٢٤﴾  
 وَأَسْتَبَقَا الْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُ مِنْ دُبُرٍ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَا الْبَابِ قَالَتْ مَا جَزَاءُ مَنْ  
 أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا إِلَّا أَنْ يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٥﴾ قَالَ هِيَ رَاوَدَّتْنِي عَنْ نَفْسِي  
 وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَا إِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ الْكَاذِبِينَ  
 ﴿٢٦﴾ وَإِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٢٧﴾ فَلَمَّا رَأَىٰ

قَمِيصَهُ قَدْ مِنْ دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُ مِنْ كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ ﴿٢١٨﴾ يُوسُفُ أَعْرَضَ  
عَنْ هَذَا ۖ وَأَسْتَغْفِرِي لِدُنْيَاكَ إِنَّكَ كُنْتَ مِنَ الْخَاطِئِينَ ﴿٢١٩﴾ ۖ وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي  
الْمَدِينَةِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَنْ نَفْسِهِ ۖ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا ۗ إِنَّا لَنَرُلَهَا فِي ضَلَالٍ  
مُبِينٍ ﴿٢٢٠﴾ فَهَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكِنًا ۖ وَآتَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ  
مِنْهُنَّ سِكِّينًا ۖ وَقَالَتِ آخُزْجُ عَلَيْهِنَّ ۖ فَهَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا  
هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ﴿٢٢١﴾ قَالَتْ فَذَلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ ۖ وَلَقَدْ  
رَاودَتْهُ عَنْ نَفْسِهِ ۖ فَاسْتَعْصَمَ ۖ وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَا ءَامُرُهُ لَيَكُونَنَّ وَلِيَكُونًا ۖ مِنَ  
الصَّغِيرِينَ ﴿٢٢٢﴾ قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ ۖ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي  
كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴿٢٢٣﴾ فَاسْتَجَابَ لَهُ رَبُّهُ ۖ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ  
إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٢٢٤﴾ ثُمَّ بَدَأَ لَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا رَأَوُا الْآيَاتِ لَيَسْجُنَّهُ ۖ حَتَّى  
حِينَ ﴿٢٢٥﴾ وَدَخَلَ مَعَهُ السِّجْنَ فَتَيَانٍ ۖ قَالَ أَحَدُهُمَا إِنِّي أَرَانِي أَعْصِرُ خَمْرًا ۖ وَقَالَ  
الْآخَرُ إِنِّي أَرَانِي أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِي خُبْرًا تَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْهُ ۖ نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِ ۖ إِنَّا نَرَاكَ  
مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٢٢٦﴾ قَالَ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِ ۖ إِلَّا نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِ ۖ قَبْلَ أَنْ  
يَأْتِيَكُمَا ۚ ذَلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّي ۖ إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ  
هُم كَافِرُونَ ﴿٢٢٧﴾ وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِي إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ ۖ مَا كَانَ لَنَا أَنْ  
نُشْرِكَ بِاللَّهِ مِنْ شَيْءٍ ۚ ذَلِكُمْ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا  
يَشْكُرُونَ ﴿٢٢٨﴾ يَصْصِحِّي السِّجْنَ ۖ أَرَبَابٌ مُتَّفَرِّقُونَ ۖ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ

﴿٦٦﴾ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءَ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَءَابَاؤُكُمْ مِمَّا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا  
 مِنْ سُلْطَانٍ ۚ إِنَّ الْحُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ۚ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ  
 النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦٧﴾ يَصْحَبِي السِّجْنِ أَمَّا أَحَدُكُمْ فَيسْقَى رَبَّهُ خَمْرًا ۗ وَأَمَّا  
 الْآخَرُ فَيُصَلِّبُ فَتَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْ رَأْسِهِ ۗ قُضِيَ الْأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ ﴿٦٨﴾  
 وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُ نَاجٍ مِّنْهُمَا اذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ فَأَنَسَهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ  
 فَلَبِثَ فِي السِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ ﴿٦٩﴾ وَقَالَ الْمَلِكُ إِنِّي أَرَى سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ  
 يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعٌ سُنبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ ۗ يَأْتِيهَا الْمَلَأُ أَفْتُونًا فِي  
 رُءُوسِي إِنْ كُنْتُمْ لِلرَّءْيَا تَعْبُرُونَ ﴿٧٠﴾ قَالُوا أَضْغَثُ أَحْلَمٍ ۗ وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ الْأَحْلَامِ  
 بِعَالِمِينَ ﴿٧١﴾ وَقَالَ الَّذِي نَجَا مِنْهُمَا وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ أَنَا أُنَبِّئُكُمْ بِتَأْوِيلِهِ ۗ فَأَرْسَلُونَا  
 يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ أَفْتِنَا فِي سَبْعِ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعِ  
 سُنبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ لَّعَلِّي أَرْجِعُ إِلَى النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٢﴾ قَالَ تَزْرَعُونَ  
 سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا فَمَا حَصَدْتُمْ فَذَرُوهُ فِي سُنْبُلِهِ ۗ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تَأْكُلُونَ ﴿٧٣﴾ ثُمَّ يَأْتِي  
 مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تُحْصِنُونَ ﴿٧٤﴾ ثُمَّ يَأْتِي  
 مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ وَفِيهِ يَعْرِضُونَ ﴿٧٥﴾ وَقَالَ الْمَلِكُ أَتُتُونِي بِهِ ۗ فَلَمَّا  
 جَاءَهُ الرَّسُولُ قَالَ أَرْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَسْأَلُهُ مَا بَالُ النِّسْوَةِ الَّتِي قَطَعْنَ أَيْدِيَهُنَّ ۚ إِنَّ رَبِّي  
 بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ ﴿٧٦﴾ قَالَ مَا خَطْبُكُنَّ إِذْ رَاوَدْتُنَّ يُوسُفَ عَنِ نَفْسِهِ ۗ قُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ  
 مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِنْ سُوءٍ ۗ قَالَتِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ الْمَكْنُ حَصْحَصَ الْحَقُّ أَنَا رَاوَدْتُهُ عَنْ

نَفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٥١﴾ ذَٰلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِبِينَ ﴿٥٢﴾ \* وَمَا أُبْرِئُ نَفْسِي ۚ إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي ۚ إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٥٣﴾ وَقَالَ الْمَلِكُ أَتُؤْتُونِي بِهِ ۖ اسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِي ۖ فَلَمَّا كَلَّمَهُ قَالَ إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ ﴿٥٤﴾ قَالَ أَجْعَلْنِي عَلَىٰ خَزَائِنِ الْأَرْضِ ۚ إِنِّي حَفِيظٌ عَلَيْمُ ﴿٥٥﴾ وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ يَتَّبِعُونَ ۚ مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ ۚ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَنْ نَشَاءُ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾ وَلَا جُرْأَلَاءُ خَيْرٌ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴿٥٧﴾ وَجَاءَ إِخْوَةَ يُوسُفَ فَدَخَلُوا عَلَيْهِ فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُ مُنْكَرُونَ ﴿٥٨﴾ وَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَّازِهِمْ قَالَ أَتُؤْتُونِي بِأَخٍ لَّكُمْ مِّنْ أَبِيكُمْ ۚ أَلَا تَرَوْنَ أَنِّي أُوفِي الْكَيْلَ وَأَنَا خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ ﴿٥٩﴾ فَإِن لَّمْ تَأْتُونِي بِهِ ۖ فَلَا كَيْلَ لَكُمْ عِنْدِي وَلَا تَقْرَبُونِ ﴿٦٠﴾ قَالُوا سَنُرَوِّدُ عَنْهُ أَبَاهُ وَإِنَّا لَفَاعِلُونَ ﴿٦١﴾ وَقَالَ لِفَتْيَانِهِ اجْعَلُوا بِضْعَتَهُمْ فِي رِحَالِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَعْرِفُونَهَا إِذَا انْقَلَبُوا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٦٢﴾ فَلَمَّا رَجَعُوا إِلَىٰ أَبِيهِمْ قَالُوا يَا بَنَانَا مُنِعَ مِنَّا الْكَيْلُ فَأَرْسِلْ مَعَنَا آخَانَ نَكْتَلْ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴿٦٣﴾ قَالَ هَلْ ءَامَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَا ءَامَنُتُمْ عَلَىٰ أَخِيهِ مِن قَبْلُ ۚ فَاللَّهُ خَيْرٌ حَافِظًا ۖ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴿٦٤﴾ وَلَمَّا فَتَحُوا مَتْعَهُمْ وَجَدُوا بِضْعَتَهُمْ رُدَّتْ إِلَيْهِمْ قَالُوا يَا بَنَانَا مَا نَبِغِي هَٰذِهِ ۖ بِضْعَتُنَا رُدَّتْ إِلَيْنَا وَنَمِيرُ أَهْلَنَا وَحَفَظُ أَخَانَا وَنَزِدَادُ كَيْلٍ بَعِيرٍ ۚ ذَٰلِكَ كَيْلٌ يَسِيرٌ ﴿٦٥﴾ قَالَ لَنْ أَرْسِلَهُ مَعَكُمْ حَتَّىٰ تُؤْتُونِ مَوْثِقًا مِّنَ اللَّهِ لَتَأْتِنِي بِهِ ۖ إِلَّا أَن سَخِطَ بِكُمْ ۚ فَلَمَّا ءَاتَوْهُ مَوْثِقَهُمْ قَالَ اللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ ﴿٦٦﴾ وَقَالَ يَبْنَئِي لَأَ

تَدْخُلُوا مِنْ بَابٍ وَاحِدٍ وَادْخُلُوا مِنْ أَبْوَابٍ مُتَفَرِّقَةٍ ۗ وَمَا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ ۗ إِنَّ الْحُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ ﴿٦٧﴾ وَلَمَّا دَخَلُوا مِنْ حَيْثُ أَمَرَهُمْ أَبُوهُم مَّا كَانَ يُغْنِي عَنْهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا حَاجَةٌ فِي نَفْسٍ يَعْقُوبَ قَضَاهَا ۗ وَإِنَّهُ لَذُو عِلْمٍ لِمَا عَلَّمْنَاهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦٨﴾ وَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ ءَاوَىٰ إِلَىٰ إِلِيهِ أَخَاهُ ۗ قَالَ إِنِّي أَنَا أَخُوكَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٦٩﴾ فَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَّازِهِمْ جَعَلَ السَّقَايَةَ فِي رَحْلِ أَخِيهِ ثُمَّ أَذِنَ مُؤَدِّنٌ أَيُّهَا الْعَبْرُ إِنَّكُمْ لَسَّرِقُونَ ﴿٧٠﴾ قَالُوا وَأَقْبَلُوا عَلَيْهِمْ مَآذَا تَفْقَدُونَ ﴿٧١﴾ قَالُوا نَفَقْدُ صُوعَ الْمَلِكِ وَلَمَن جَاءَ بِهِ جَمَلٌ بَعِيرٍ وَأَنَا بِهِ زَعِيمٌ ﴿٧٢﴾ قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَّا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِي الْأَرْضِ وَمَا كُنَّا سَرِقِينَ ﴿٧٣﴾ قَالُوا فَمَا جَزَاؤُهُ إِنْ كُنْتُمْ كَذِبِينَ ﴿٧٤﴾ قَالُوا جَزَاؤُهُ مَنْ وَجَدَ فِي رَحْلِهِ فَهُوَ جَزَاؤُهُ ۗ كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ ﴿٧٥﴾ فَبَدَأَ بِأَوْعِيَّتِهِمْ قَبْلَ وِعَاءِ أَخِيهِ ثُمَّ اسْتَخْرَجَهَا مِنْ وِعَاءِ أَخِيهِ ۗ كَذَلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ ۗ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ ۗ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَن نَّشَاءُ ۗ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ ﴿٧٦﴾ ۞ قَالُوا إِنْ يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَهُ مِنْ قَبْلُ فَأَسْرَهَا يُوسُفُ فِي نَفْسِهِ ۗ وَلَمْ يُبْدِهَا لَهُمْ ۗ قَالَ أَنْتُمْ شَرُّ مَكَانًا وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ ﴿٧٧﴾ قَالُوا يَتَأْتِيهَا الْعَزِيزُ إِنَّ لَهُدَّ أَبَا شَيْخًا كَبِيرًا فَخُذْ أَحَدَنَا مَكَانَهُ ۗ إِنَّا نَنْزِكُ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٧٨﴾ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ أَنْ نَأْخُذَ إِلَّا مَنْ وَجَدْنَا مَتَّعْنَا عَنْدَهُ ۗ إِنَّا إِذَا لَطَّلِمُونَ ﴿٧٩﴾ فَلَمَّا اسْتَيْسَسُوا مِنْهُ خَلَصُوا نَجِيًّا ۗ قَالَ

كَبِيرُهُمْ أَلَمْ تَعْلَمُوا أَنَّ أَبَاكُمْ قَدْ أَخَذَ عَلَيْكُمْ مَوْثِقًا مِنَ اللَّهِ وَمِن قَبْلُ مَا فَرَّطْتُمْ  
 فِي يُوسُفَ فَلَنْ أَبْرَحَ الْأَرْضَ حَتَّى يَأْذَنَ لِي أَبِي أَوْ يَحْكُمَ اللَّهُ لِي <sup>ط</sup> وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ ﴿٨٠﴾  
 أَرْجِعُوا إِلَىٰ آبَائِكُمْ فَقُولُوا يَا أَبَانَا إِنَّ ابْنَكَ سَرَقَ وَمَا شَهِدْنَا إِلَّا بِمَا عَلَّمَنَا وَمَا  
 كُنَّا لِلْغَيْبِ حَافِظِينَ ﴿٨١﴾ وَسَأَلَ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا وَالْعِيرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا وَإِنَّا  
 لَصَادِقُونَ ﴿٨٢﴾ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ <sup>ط</sup> عَسَى اللَّهُ أَنْ  
 يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴿٨٣﴾ وَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا سَفَىٰ عَلَىٰ  
 يُوسُفَ وَأَبِیضَتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٨٤﴾ قَالُوا تَاللَّهِ تَفْتُوا تَذَكُرُ  
 يُوسُفَ حَتَّىٰ تَكُونَ حَرَضًا أَوْ تَكُونَ مِنَ الْهَالِكِينَ ﴿٨٥﴾ قَالَ إِنَّمَا أَشْكُوا بَثِّي  
 وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨٦﴾ يَبْنِي أَدْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِنْ  
 يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَأْيِسُوا مِنَ رُوحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَأْيِسُ مِنَ رُوحِ اللَّهِ إِلَّا الْكُفْرُ  
 الْكَافِرُونَ ﴿٨٧﴾ فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَيْهِ قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَّا الضُّرَّ وَجِئْنَا بِبِضْعَةٍ  
 مُزْجَلَةٍ فَأَوْفِ لَنَا الْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا إِنَّ اللَّهَ تَجْزِي الْمُتَصَدِّقِينَ ﴿٨٨﴾ قَالَ هَلْ  
 عَلِمْتُمْ مَا فَعَلْتُمْ بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنْتُمْ جَاهِلُونَ ﴿٨٩﴾ قَالُوا أَإِنَّكَ لَأَنْتَ يُوسُفَ <sup>ط</sup>  
 قَالَ أَنَا يُوسُفَ وَهَذَا أَخِي قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا  
 يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٩٠﴾ قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ ءَاثَرَكَ اللَّهُ عَلَيْنَا وَإِن كُنَّا  
 لَخَطِئِينَ ﴿٩١﴾ قَالَ لَا تَثْرِبَ عَلَيْكُمْ أَيُّومَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ  
 ﴿٩٢﴾ أَدْهَبُوا بِقَمِيصِي هَذَا فَالْقُوهُ عَلَىٰ وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيرًا وَأْتُونِي بِأَهْلِكُمْ

أَجْمَعِينَ ﴿٩٣﴾ وَلَمَّا فَصَلَتِ الْعِيرُ قَالَ أَبُوهُمْ إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلَا أَنْ  
 تَفْنَدُونَ ﴿٩٤﴾ قَالُوا تَاللَّهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلَالِكَ الْقَدِيمِ ﴿٩٥﴾ فَلَمَّا أَنْ جَاءَ الْبَشِيرُ أَلْقَاهُ  
 عَلَى وَجْهِهِ فَارْتَدَّ بَصِيرًا ۗ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٩٦﴾  
 قَالُوا يَا تَابَآنَا أَسْتَغْفِرُ لَنَا ذُنُوبَنَا إِنَّا كُنَّا خَاطِئِينَ ﴿٩٧﴾ قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي ۗ  
 إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿٩٨﴾ فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ ءَاوَىٰ إِلَيْهِ أَبْوَيْهِ وَقَالَ ادْخُلُوا  
 مِصْرَ إِن شَاءَ اللَّهُ ءَامِنِينَ ﴿٩٩﴾ وَرَفَعَ أَبْوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا وَقَالَ يَا أَبَتِ  
 هَذَا تَأْوِيلُ رُءْيَايَ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ  
 السِّجْنِ وَجَاءَ بِكُمْ مِنَ الْبَدْوِ مِنْ بَعْدِ أَنْ نَزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي ۗ إِنَّ رَبِّي  
 لَطِيفٌ لِمَا يَشَاءُ ۗ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴿١٠٠﴾ \* رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي  
 مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ ۗ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنْتَ وَلِيِّ فِى الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ۗ تَوَفَّنِي  
 مُسْلِمًا وَالْحَقِّنِي بِالصَّالِحِينَ ﴿١٠١﴾ ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ ۗ وَمَا كُنْتَ  
 لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوا أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُونَ ﴿١٠٢﴾ وَمَا أَكْثَرَ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ  
 ﴿١٠٣﴾ وَمَا تَسْأَلُهُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ۗ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ ﴿١٠٤﴾ وَكَأَيِّنْ مِنْ ءَايَةٍ فِى  
 السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ ﴿١٠٥﴾ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ  
 بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ ﴿١٠٦﴾ أَفَأَمِنُوا أَنْ تَأْتِيَهُمْ غَشِيَةٌ مِّنْ عَذَابِ اللَّهِ أَتَوَاتِيَهُمُ السَّاعَةُ  
 بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٠٧﴾ قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُوا إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ  
 اتَّبَعَنِي ۗ وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا

نُوحِي إِلَيْهِمْ مِّنْ أَهْلِ الْقُرَىٰ ۗ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ  
الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۗ وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ اتَّقَوْا ۗ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٦﴾ حَتَّىٰ إِذَا  
أَسْتَيْسَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوْا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا جَاءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّيَ مَن نَّشَاءُ ۗ وَلَا يُرَدُّ  
بَأْسُنَا عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ ﴿١٧﴾ لَقَدْ كَانَ فِي قَصصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ ۗ مَا  
كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى  
وَرَحْمَةً لِّلْقَوْمِ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٨﴾

صدق الله العظيم



## في رحاب سورة يوسف

### 1- التعريف بالسورة:

سورة يوسف تأتي في المرتبة الثانية عشر حسب ترتيب المصحف الشريف، وتقع في الجزء الثاني عشر أيضا ، نزلت بعد سورة (هود) وقبل سورة (الحجر)، وهي السورة الثالثة والخمسون في ترتيب نزول السور على قول الجمهور، عدد آياتها إحدى عشر ومائة آية (111)<sup>(1)</sup>، وهي وإن كانت سورة مكّية إلا أنها جاءت مختلفة و متميزة نوعا ما عن باقي السور المكّية بتلك الموسيقى الداخلية التي أعجز جرسها أساطين اللغة و البلاغة من أهل مكة فأذهلتهم و حملتهم على الاستجابة لسحرها<sup>(2)</sup>.

فهي تمثل الحسن و الجمال و العظمة في « ألفاظها و تعابيرها و أدائها و قصصها الممتع اللطيف، تسري مع النفس بسرّيات الدم في العروق، و تجري - برقتها و سلاستها - في القلب جريان الروح في الجسد، فهي و إن كانت من السور المكّية التي تحمل - في الغالب - طابع الإنذار و التهديد إلا أنها اختلفت عنها في هذا الميدان ، فجاءت طرية ندية في أسلوب ممتع لطيف ، سلس رقيق يحمل جو الأنس و الرّحمة و الرأفة و الحنان ». و لهذا قال (خالد بن معن) «سور (يوسف) و (مريم) ممّا يتفكّه بهما أهل الجنة في الجنة»، و قال (عطاء) : «لا يسمع سورة (يوسف) محزون إلا استراح إليها»<sup>(3)</sup>. كيف لا يستريح لها مهموم أو محزون ، بعد قراءته أو سماعه لسورة (يوسف)، و معرفة ما تعرّض له يوسف - عليه السلام- من ابتلاءات و محن و أحزان ، و هو من هو! نبيّ مختار، فواجهها كلّها بالصبر على قدر الله - سبحانه و تعالى- و تفويض الأمر إليه - عزّ و جلّ- فجزاه الله خيرا الجزاء على صبره، و أعزّه بأن صار عزيز مصر.

ومن الطبيعي أن يشعر القارئ بالذهول أمام هذا التعبير الربانيّ و ينجذب لنسقتها و حلاوة نسجها « كيف لا و ناظم كلامها و صانعها هو صانع الحياة نفسها ، وإنك إذ تقرأ هذه السورة أو تستمع إلى من يقرأها لتحسّ بموسيقى عذبة علوية ترافق ما يترأى لك فيها من صور الحياة الإنسانيّة و ما تقرأه من ورائها من أحكام القضاء و سطور القدر»<sup>(4)</sup>، فسورة (يوسف) جمعت و زاوجت بين جماليّة الأسلوب و عظمة المضمون ، جمعت بين تلك الموسيقى الداخليّة الناجمة عن حسن تجاور الألفاظ و العبارات و تناسقها ، و بـ

(1) ينظر أحمد نوفل : سورة يوسف دراسة تحليلية ط2 - ص23

(2) ينظر : محمد علي أبو حمدة : في التذوق الجمالي لسورة يوسف ص 21

(3) الصابوني محمد علي : صفوة التفاسير مج 02 ، ط 4 ص 29

(4) محمد مبارك : دراسة أدبية لنصوص من القرآن ط : 4 ، ص 81

المعاني ، و الغايات السّامية التي اشتملت عليها، لتصل إلينا مؤثرة مقنعة ، بغرض الاقتداء والاعتبار».

وهي أيضا « نموذج للآيات التي تتناول بالعرض المفصل حياة الأنبياء و محيطهم النفسيّ و الاجتماعيّ، و ما لاقوه في سبيل الدّعوة إلى الحقّ من متاعب و أهوال و أحزان... و هذه السّورة نموذج للصّراع بين الحقّ و الباطل ، و بين العقل و الهوى، و بين المصالح المبنية على الأنانية و خدمة المصلحة العامّة للأسرة و المجتمع و الإنسانية و هذه السّورة مثال واقعيّ يبيّن أنّ المظلوم قد يعامل كظالم و البريء قد يصبح متهما و أنّ الشخص مهما علا مقامه و مكانته قد يحكم عليه زورا و بهتاناً و يودع السّجن مع المجرمين»<sup>(1)</sup>، فيصبر لقضاء الله و قدره، و يرضى بحكمه و لا يقنط من رحمته، حتّى يفرّج الله كــــربه، فيذهب عنه الــــهمّ و الحزن، و ينصره على من ظلمه ، و يعلي مقامه.

## 2- أسباب نزولها:

لقد وردت روايات مختلفة في كتب التفسير تتحدّث عن أسباب نزول سورة (يوسف) منها ما أورده (الزمخشري) في كشافه: « أنّ علماء اليهود قالوا لكبراء المشركين: سلوا محمّدا لم انتقل آل يعقوب من الشام إلى مصر؟ و عن قصّة (يوسف)»<sup>(2)</sup> و قيل أنّه طلب من الرّسول - صلى الله عليه و سلّم - أن يقصّها عليهم فنزلت<sup>(3)</sup>.

وقيل إنّ السّورة نزلت تسليّة للنبيّ - صلى الله عليه و سلّم - ، و تخفيفا عليه في ظرف عصب عانى فيه الشدائد إذ توفي سناده : زوجته (خديجة) و عمّه (أبو طالب)، فكان عام الحزن ، و كابد في ذات الوقت تكذيب و أذى قريش له و لأصحابه ، فكانت هذه السّورة إيذانا لمحمّد - صلى الله عليه و سلّم - بالفرج بعد الصّبر على الشدّة امتثالا و اهتداء بدروسها و عبرها<sup>(4)</sup>، فأكثر النّاس ابتلاء هم الأنبياء و الرّسل (عليهم السّلام) لأنهم قدوة و أسوة لأقوامهم و أممهم في الصّبر على المصائب و الهموم و الأحزان. و سورة (يوسف) أيضا تأكيد على صدق نبوءته خاصّة أمام المشركين و اليهود المعاندين و الحاسدين، فالقصّة كانت غيبا لا يعرفه محمّد - صلى الله عليه و سلّم - إلا بعد أن أوحى إليه، قال تعالى: ﴿ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ

(1) مصطفى مولود عشوي، سورة يوسف ، قراءة نفسية، (www.Aluka.net/culture/1045/page/3)

(2) الزمخشري : الكشاف مج 2 ص 300

(3) ينظر : مختصر تفسير ابن كثير - تحقيق : محمد علي الصابوني مج 2 ص 239

(4) ينظر : محمد علي الصابوني " صفة التفسير ج 2 ص 39، وسيد قطب في ظلال القرآن مج 4 ، ج 12، ط 15 ، ص 1949

لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوا أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُونَ ﴿١٢﴾ (1) و قال تعالى أيضا: ﴿ نَحْنُ نَقُصُّ

عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِن كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ

الْغَافِلِينَ ﴿٢﴾

و هاتان الآيتان تثبتان عدم معرفة محمد - صلى الله عليه و سلم - لقصة (يوسف) قبل نزول الوحي ، و التي ورد ذكرها قبل ذلك في التوراة و الإنجيل، و عـــــــلــــمــــه بها بعد نزول الوحي ، دليل قاطع على صدق ما جاء به - صلى الله عليه و سلم - و إفحام لليهود، و حجة عليهم و على المشركين الذين كذبوا و شككوا في نبوءته.

### 3- ملخص القصة:

سيدنا يوسف ابن لسيدنا يعقوب - عليهما السلام -، الأقرب و الأحب إلى قلبه من بين أبنائه بحكم الصبا و الصغر، ليزداد و يتعاضم هذا الحب بعد أن قص عليه رؤياه المتمثلة في سجد أحد عشر كوكبا و الشمس و القمر، عرف بأنه سيكون له شأن عظيم في المستقبل ، فحذره من قص رؤياه على إخوته خشية أن يكيّدوا له ، و وقع ما كان يخشاه يعقوب - عليه السلام - بالفعل من مكر أبنائه و إيذائهم لأخيهم (يوسف)، إذ غيّبوه في غيابة الجبّ بدافع حسدهم له ، و غيرتهم من حبّ أبيهم المفرط له ، و تشاء العناية الإلهية أن تلتقطه قافلة باتجاه مصر أين يباع (لعزیزها) الذي يؤويه في بيته إلى أن يبلغ أشده و قد أعطاه الله من الحكمة و الجمال ما جعل النسوة ذوات الجاه و المال و السلطان يفتتن به ، و يراودنه إلى درجة تقطيع الأيدي بالسكاكين ، فهذه امرأة (العزیز) تراوده عن نفسه فيستعصم و يمتنع و لا يمتثل لرغبتها ، فيزجّ به في السجن رغم ظهور دليــــل بــــراءته و هو تمزيق القميص من الخلف، أين يلتقي برجليــــن فيدعوهما إلى توحيد الله - سبحانه و تعالى- ، و يؤوّل لهما رؤييهما ، و يطلب من الذي نجا منهما أن يذكره عند الملك، و لكن تشاء قدرة الله أن ينسى فيلبث يوسف - عليه السلام- في السجن بضع سنين أخرى، و يأتي الفرج بعد رؤيا الملك التي استعصى تفسيرها على الملأ فتذكر السّاقى (يوسف)، و دلهم عليه فأولها و أبى أن يخرج حتى تظهر براءته و يقتنع بها الجميع، و كان له ذلك باعتراف زوجة العزیز ذاتها بذنبها و عفة (يوسف) و براءته من التهمة الباطلة، فقرّب به الملك و ولاه على خزائن مصر و قوفا عند طلبه.

(1) سورة يوسف الآية 102

(2) سورة يوسف الآية 03

و يشاء الله أن تأتي سنوات الجوع و القحط و لاسيما في البلاد المجاورة التي لم تكن مستعدة لمثل هذا الخطب، لتأتي الوفود إلى مصر طالبة الغوث و المدد ، فيحلّ إخوة يوسف - عليه السّلام- فيمن يحلون ، فيعرفهم دون أن يعرفوا و يشترط عليهم إحضار أخيهم الأصغر و إلا منع عنهم الكيل، فيجتهدون في إحضاره ، و ما إن يفعلوا حتّى يحتجزه (يوسف) بحجّة أنّه سرق ، و على إثر هذه الفاجعة يتعاضم حزن يعقوب - عليه السّلام - على فقد ابنه ، و يفقد بصره من فرط البكاء، ليستردّه عندما يلقي البشير على وجهه قميص يوسف - عليه السّلام-، و يتم اللقاء بمصر، و يجتمع الشمل من جديد و تتحقّق بهذه رؤيا يوسف - عليه السّلام - بأن سجد له أبوه و إخوته الأحد عشر سجود التّحية.

المصادر و المراجع

## -المصادر و المراجع:

- 1- القرآن الكريم برواية حفص عن عاصم.
- 2- ابن الأثير، ضياء الدين، المثل السائر في أدب الكاتب و الشاعر، تحقيق: محمد محي الدين، مكتبة و مطبعة مصطفى البادي، القاهرة، 1939.
- 3- ابن الظافر الشهري، عبد الهادي، استراتيجيات الخطاب، مقاربة لغوية تداولية، دار الكتاب الجديد، بيروت، ط1، 2004.
- 4- ابن العربي، محمد بن عبد الله، أحكام القرآن، تحقيق: علي محمد البجاوي، دار الفكر، بيروت، دت
- 5- ابن جني، أبو الفتح عثمان، الخصائص، تحقيق: محمد علي النجار، الجزء الأول، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ط4، 1990.
- 6- ابن خلدون، عبد الرحمن، المقدمة، دار الفكر العربي، بيروت، ط1، 2003.
- 7- ابن رشد، الوليد، فصل المقال فيما بين الحكمة و الشريعة من الاتصال، تحقيق: محمد عمارة، المؤسسة العربية للدراسات و النشر و التوزيع، القاهرة، ط3، 1986.
- 8- ابن عاشور، محمد الطاهر، تفسير التحرير و التنوير، ج12 و ج13 ، الدار التونسية للنشر، تونس، 1984.
- 9- ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل ، تفسير ابن كثير، الجزء 2 ، دار الفكر، بيروت، 1407هـ/1986م.
- 10- ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل، البداية و النهاية، ط1، مكتبة الصفا، مطابع دار البيان الحديثة، القاهرة، 1423هـ/2003م.
- 11- ابن منظور، جمال الدين، لسان العرب، دار إحياء التراث العربي، و مؤسسة التاريخ العربي، بيروت، ط2، 1993.
- 12- ابن نبي، مالك، الظاهرة القرآنية، ترجمة: عبد الصبور شاهين، دار الفكر، دمشق، ط4، 1987.
- 13- ابن وهب، اسحاق بن ابراهيم، البرهان في وجود البيان، مطبعة الرسالة، بيروت، 1969.
- 14- أبو أصبع، صالح خليل، الاتصال الجماهيري، دار الشروق، عمان، ط1، 1999.

- 15- أبو حمدة، محمد علي، في التذوق الجمالي لسورة يوسف، دراسة نقدية إبداعية، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر.
- 16- أبو عرقوب، إبراهيم، الاتصال الإنساني و دوره في التفاعل الاجتماعي، دار المجدلاوي للنشر و التوزيع، الأردن، ط1، 1993.
- 17- إحدادن، زهير، مدخل لعلوم الإعلام و الاتصال، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، (دت).
- 18- أحمد خلف الله، محمد، الفن القصصي في القرآن الكريم، مكتبة الأنجلومصرية، القاهرة، (دط)، 1965.
- 19- أحمد رشتي، جيهان، الأسس العلمية لنظريات الإعلام، دار الفكر العربي، القاهرة، 1978.
- 20- أحمد زكي، بدوي، معجم مصطلحات الإعلام، دار الكتاب المصري، القاهرة، و دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1985.
- 21- الألمعي، زاهر عواض، مناهج الجدل في القرآن الكريم، مطابع الفرزدق التجارية، الرياض، ط3، 1404هـ.
- 22- البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري، تحقيق: الشيخ عبد العزيز عبد الله بن باز، المكتبة التوفيقية، القاهرة، (دت).
- 23- بدوي، عبد الرحمن، موسوعة الفلسفة، المؤسسة العربية للدراسات و النشر، ط1، 1984.
- 24- بناني، محمد الصغير، النظريات اللسانية و البلاغية والأدبية عند الجاحظ من خلال البيان و التبيين، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ط1، 1994.
- 25- التومي، محمد، الجدل في القرآن، فعالية في بناء العقلية الإسلامية، شركة الشهاب، الجزائر، (دت)
- 26- الجرجاني، عبد القاهر، دلالات الإعجاز، سلسلة الأنيس موفم للنشر، الجزائر، 1991.
- 27- \_\_\_\_\_، مختصر تفسير ابن كثير، دار القرآن، بيروت، ط2، مج2، 1981.
- 28- الجردى، نبيل عارف، مقدمة في علم الاتصال، مكتبة الإمارات، 1985.
- 29- جوهر، صلاح الدين، علم الاتصال، مفاهيم و نظريات، ومجالات، مكتبة عين شمس، القاهرة، 1980.
- 30- حسان تمام، البيان في روائع القرآن، دراسة لغوي أسلوبية للنص القرآني، عالم الكتب، القاهرة، ط2، 2000.

- 31- الحفني، عبد المنعم، المعجم الشامل لمصطلحات الفلسفة، مكتبة مدبولي، مصر، ط3، 2000.
- 32- خرما، نايف، أضواء على الدراسات اللغوية المعاصرة، سلسلة عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 1978.
- 33- الخطيب، عبد الكريم، القصص القرآني في منطوقه و مفهومه، دار الفكر العربي، القاهرة.
- 34- درويش محمد الطاهر، الخطابة في صدر الإسلام، العنصر الديني، عصر البعثة الإسلامية، دار المعارف، القاهرة، ط2، دت.
- 35- دلفير ملفين، وساندرا بروكتيش، نظريات وسائل الإعلام، ترجمة كمال عبد الرؤوف، الدار الدولية للاستثمارات الثقافية، القاهرة، ط5، 2004.
- 36- دليو، فضيل، مقدمة في وسائل الاتصال الجماهيرية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1998.
- 37- دي سوسير، فارديناند، محاضرات في الألسنية العامة، ترجمة يوسف غازي و محمد النصر، المؤسسة الجزائرية.
- 38- رضا، محمد، معجم متن اللغة، (دط)، مج1، منشورات دار الحياة، بيروت، 1908.
- 39- الزركشي، بدر الدين، البرهان في علوم القرآن، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، ط1، 1958.
- 40- الزمخشري، أبو القاسم جار الله محمد بن عمر، الكشاف عن حقائق التنزيل و عيون الأقاويل في وجوه التأويل، دار المعرفة، بيروت، مج2.
- 41- الزمخشري، أبو القاسم جار الله، أساس البلاغة، دار بيروت للطباعة و النشر، بيروت، 1984.
- 42- الزيات، أحمد حسن، دفاع عن البلاغة، عالم الكتب، القاهرة، ط2، 1967.
- 43- سلامة، إبراهيم، بلاغة أرسطو بين العرب و اليونان، دراسة تحليلية نقدية تقارنية، مكتبة الأنجلومصرية، القاهرة، ط2، 1952.
- 44- سيد محمد، محمد، الإعلام و اللغة، عالم الكتب، القاهرة، 1982،
- 45- \_\_\_\_\_، \_\_\_\_\_ الصناعتين: الكتابة و الشعر، تحقيق: علي محمد البجاوي و محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، ط2، دت....
- 46- السيوطي، جلال الدين، الإتقان في علوم القرآن، ط1، دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان، 2003.



- 47- الشايب، أحمد، الأسلوب: دراسة بلاغية تحليلية لأصول الأساليب الأدبية، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ط6، 1966.
- 48- شرف، عبد العزيز، علم الإعلام اللغوي، الشركة المصرية العالمية للنشر، القاهرة، 2000.
- 49- \_\_\_\_\_، أسرار البلاغة، مطبعة وزارة المعارف، القاهرة، ط2، 1979.
- 50- الشعراوي، محمد متولي، تفسير الشعراوي، قطاع الثقافة، مج11، ج11-12،
- 51- شلبي، كرم، معجم المصطلحات الإعلامية، دار الشروق، بيروت، ط1، 1989.
- 52- الصابوني، محمد علي، صفوة التفاسير، قصر الكتاب، شركة الشهاب، الجزائر، ج2. بدون تاريخ.
- 53- تاريخ.
- 54- \_\_\_\_\_، المسؤولية الإعلامية في الإسلام، المؤسسة الوطنية للكتاب، ط2، 1986.
- 55- الصرايرة، محمد نجيب، العلاقات العامة: الأسس والمبادئ، مكتبة الرائد العلمية، الأردن، 2001.
- 56- صليبا، جميل، المعجم الفلسفي، دار الكتاب اللبناني و مكتبة المدرسة، بيروت، 1982.
- 57- الطنوبي، محمد عمر، نظريات الاتصال، مكتبة الإشعاع الفنية، مصر، ط1، 2001..
- 58- ظاظا، حسن، اللسان و الإنسان، مطبعة المصري، دت.
- 59- عبد الباقي، محمد فؤاد، اللؤلؤ و المرجان فيما اتفق عليه الشيخان ( البخاري و مسلم)، دار الحديث، القاهرة، 1424هـ/2003م.
- 60- عبد النور، جبور، المعجم الأدبي، دار العلم للملايين، بيروت، ط1، 1979.
- 61- عبده، محمد، الأعمال الكاملة، تحقيق و تقديم: محمد عمارة، دار الشروق، القاهرة، 1993.
- 62- عتيق، عبد العزيز، علم المعاني، دار النهضة العربية، بيروت، 1984.
- 63- \_\_\_\_\_ علم البيان، دار النهضة للطباعة و النشر، بيروت، 1988.
- 64- العسكري، أبو هلال، الفروق في اللغة، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط4، 1963.
- 65- \_\_\_\_\_، شرف، عبد اعزیز، نماذج الاتصال، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، ط1، 2003.
- 66- عشراتي، سليمان، الخطاب القرآني، مقارنة توصيفية لجمالية السرد الإعجازي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1998.

- 67- العمري، محمد، **في بلاغة الخطاب الإقناعي**، مدخل نظري و تطبيقي في دراسة الخطابة العربية، الخطابة في القرن الأول نموذجاً، دار الثقافة، الدار البيضاء، ط1، 1985.
- 68- عودة، محمود، **أساليب الاتصال و التغيير الاجتماعي**، دار المعرفة الجامعية، 1998.
- 69- العيد عبيد، عاطف عدلي، **مدخل إلى الاتصال و الرأي العام**، دار الفكر العربي، القاهرة، ط3، 1999.
- 70- عيد، رجا، **فلسفة البلاغة بين التقنية و التطور**، منشأة المعارف، الإسكندرية ، ط2، 1988.
- 71- عيسوي، عبد الرحمن، **دراسات في علم النفس الاجتماعي**، دار النهضة العربية، بيروت، 01974.
- 72- فضل الله، محمد حسين، **الحوار في القرآن؛ قواعده، أساليبه؛ معانيه**، ط6، دار الملاك، بيروت، 1421هـ/2001م.
- 73- فياض، محمد جابر، **البلاغة و الفصاحة لغة و اصطلاحاً**، دار المنارة للنشر و التوزيع، جدة، ط1، 1989.
- 74- القرطاجني، حازم، **منهاج البلغاء و سراج الأدباء**، تحقيق: محمد بن الخوجة، دار الكتب الشرقية، تونس، 1966.
- 75- القرطبي، محمد ابن أحمد، **الجامع لأحكام القرآن**، دار إحياء التراث العربي، ط2، 1952.
- 76- القزويني، أبو عبد الله محمد بن يزيد، **سنن بن ماجه**، دار بن حزم، بيروت، ط1، (دت).
- 77- القطان، مناع خليل، **مباحث في علوم القرآن**، مكتبة وهبة، القاهرة، 1988.
- 78- قطب، سيد، **في ظلال القرآن**، دار الشروق، بيروت، ط15، 1408هـ/1988م.
- 79- الكرمانى، محمود بن حمزة، **أسرار التكرار في القرآن** ، المسمى ب البرهان في توجيه متشابه القرآن لما فيه من الحجة و البيان، (ت نحو 505هـ) دراسة و تحقيق: احمد عطا، مراجعة و تعليق: أحمد عبد التواب، عوض، دار الفضيلة،
- 80- مالك، بن أنس بن مالك، **الموطأ**، دار الكتب العلمية، لبنان، ج1 ،
- 81- المبارك، محمد، **دراسة أدبية لنصوص من القرآن الكريم**، دار الفكر ،بيروت، ط4، 1973.
- 82- محمود، عزت، محمد زيد، **قاموس المصطلحات الإعلامية إنجليزي عربي**، دار الشروق للطباعة ، بيروت، 1984.

- 83- المسدي، عبد السلام، اللسانيات و أسسها المعرفية، الدار التونسية للنشر، تونس، و المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986.
- 84- مسلم، أبو الحسين، صحيح مسلم، تحقيق و تخريج: أحمد زهرة، و أحمد عناية، دار الكتاب العربي، بيروت، 1429هـ/2008م.
- 85- مصباح، عامر، الإقناع الاجتماعي، ديوان المطبوعات الاجتماعية، الجزائر،
- 86- مصطفى، معتصم بابكر، من أساليب الإقناع في القرآن الكريم، كتاب الأمة، وزارة الأوقاف و الشؤون الإسلامية، الدوحة، ط1، 2003.
- 87- مكاي، حسن عماد، و سيد، ليلي حسين، الاتصال و نظرياته المعاصرة، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، ط3، 2002.
- 88- ناصف، مصطفى، اللغة و التفسير و التواصل، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، 1995
- 89- النخلاوي، عبد الرحمن، من أساليب التربية الإسلامية؛ التربية بالحوار، دار الفكر المعاصر، بيروت، ط1، 1421هـ/2000م.
- 90- نوفل، أحمد، سورة يوسف؛ دراسة تحليلية، دار الفرقان للنشر، ط2، 1999.
- 91- الوعر، مازن، قضايا أساسية في علم اللسانيات الحديث، دار طلاس، دمشق، ط1، 1993.
- 92- وهبة، مراد، المعجم الفلسفي، (دط)، دار قباء للطباعة و النشر و التوزيع، مصر، 1998.
- 93- يحي عبد المجيد، العلاقات العامة بين النظرية الحديثة و المنهج الإسلامي، مكتبة القرآن، القاهرة، 2001م.
- 94- يوسف، أحمد، سيميائيات التواصل و فعالية الحوار، المفاهيم و الآليات، مكتبة الرشد للطباعة و النشر و التوزيع، سيدي بلعباس، الجزائر، ط1، 2004.
- المجلات و الملتقيات و المحاضرات:**
- 95- أبو الخير، محمد فؤاد، التواصل و الاتصال، المجلة الجزائرية للاتصال، العدد08، ت:1992.
- 96- السامرائي، فاضل صالح، أسرار البيان في التعبير القرآني، و هو عنوان لمحاضرة ألقاها ضمن فعاليات جائزة دبي الدولية للقرآن الكريم، 2002.

- 97- التويجري، عبد العزيز بن عثمان، محاضرة المدير العام للمنظمة الإسلامية للتربية و العلوم و الثقافة، يونسكو، في أعمال الملتقى الدولي حول شروط الحوار المثمر بين الثقافات و الحضارات، منشورات المجلس الأعلى الإسلامي ، الجزائر، 2000.
- 98- بوحوش، رابح، الخطاب الأدبي و ثورته اللغوية على ضوء اللسانيات و علم النص، مجلة اللغة و الأدب، ديسمبر 1997.
- 99- مرتاض، عبد الجليل، اللغة العربية و الاتصال، مجلة المجلس الأعلى للغة العربية، أعمال الموسم الثقافي ، الجزائر، 2000.

### -الرسائل الجامعية:

- 100- ابن الطاهر، بن عيسى، أساليب الإقناع في القرآن الكريم، مع دراسة تطبيقية لسورة الفرقان، رسالة لنيل شهادة الماجستير، كلية الآداب، جامعة الأردن ، 1990.
- 101- برقان، محمد، الاتصال الإقناعي من خلال فن الخطابة، مقارنة نظرية مع دراسة تحليلية لنماذج من خطب الإمام علي بن أبي طالب، رسالة لنيل درجة الماجستير في علوم الإعلام و الإعلام ، كلية الآداب و اللغات، قسم علوم الإعلام و الاتصال، جامعة الجزائر، 2000.
- 102- محمود عثمان، ضمرة، الحوار في القرآن الكريم، أطروحة ماجستير في أصول الدين، بكلية الدراسات العليا ، جامعة النجاح الوطنية، نابلس، فلسطين، 2005.
- 103- صيني، سعيد إسماعيل، شروط القائم بالاتصال عند المسيحيين و المسلمين، أطروحة دكتوراه، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، قسم الإعلام، 1988.
- 104- سعود، مريم، البعد التصويري في القرآن الكريم، سورة يوسف نموذجاً، مذكرة معدة لنيل الماجستير تخصص الأدب قديماً و حديثاً، كلية الآداب و اللغات، جامعة الجزائر، 2006.

### -المواقع الإلكترونية:

- 105- التعريف بشخصيات العلماء و الباحثين الأجانب.

[www.wikipedia.org](http://www.wikipedia.org) الموقع

106- جمال الدين، أحمد، أستاذ بكلية الآداب الإسماعيلية، جامعة قناة السويس، لغة الحوار في سورة يوسف، دراسة أسلوبية (أقوال يوسف و إخوته وامرأة العزيز نموذجاً) .

الموقع: [www.narratology-eg.com/ahmed\\_gamal](http://www.narratology-eg.com/ahmed_gamal)

107- دفة بلقاسم، بنية الخطاب السردى في سورة يوسف، دراسة سيميائية،

الموقع: [www.adablado.net/daffa-htm](http://www.adablado.net/daffa-htm)

108- مرتضى مازن، الإعلام و التبليغ، قراءة في المصطلح و الوسائل، موسوعة أطلس العالم.

الموقع: [www.uofislam.net/uofislam/view.php](http://www.uofislam.net/uofislam/view.php)

109- مسلم مصطفى، النظم القرآني؛ جزالته و تناسقه.

الموقع: [www.vb-alfris-net](http://www.vb-alfris-net)

110- عشوي مصطفى مولود، سورة يوسف، قراءة نفسية، أستاذ في الإدارة و التسويق، جامعة الملك فهد للبترول و المعادن، الظهران، المملكة العربية السعودية.

الموقع: [www.almaktabah.net/vb/showthread.php](http://www.almaktabah.net/vb/showthread.php)

### المصادر و المراجع باللّغة الأجنبية:

- 111- Amado, Gille, et André Guitlet, **dynamique des communications** dans les groupes, Armand colin, Paris, 1993.
- 112- Breton, Philipe, **L'argumentation dans la communication**, casbah édition, 2eme éd, Alger, 1998.
- 113- Gschwind Holtzer, Gisele, **Analyse sociolinguistique de la communication**, Crédif, Hatier, France, 1981.
- 114- **Grand Larousse encyclopédique**, Librairie Larousse.paris.1984.
- 115- Jakobson, Roman, **essais de linguistique générale**, rapports internes et externes du langage, T2, Minuit, Paris, 1973.

- 116- Larousse , **dictionnaire de français**, eurolivre a Manche court, France,2005.
- 117- Lazar, Judith, **Sociologie de le communication de masse**, Armand colin, Paris, 1991.
- 118- Nouveau **dictionnaire analogique**, Référence Larousse, Paris, 1981.
- 119- Sfez, lucien, **dictionnaire critique de la communication**, T1, puf, 1993.
- 120- Lenet, Michel, **l'état annonceure, technique doctrine et morale de la communication sociale**, les édition d'organisation,Paris, 1981.

# فهرس الموضوعات

## فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
مقدمة.....	أ-ز.....
<b>الفصل الأول: علم الاتصال: دراسة في الأسس والمفاهيم</b>	<b>1-46</b>
1. مفهوم الاتصال.....	3
2. الاتصال عند العرب.....	4
3. الألفاظ الدالة على معنى الاتصال أو الإعلام في القرآن الكريم.....	8
4. الفرق بين الاتصال والتواصل.....	12
5. عناصر العملية الاتصالية.....	16
6. أهداف الاتصال ووظائفه.....	26
7. أنواع الاتصال.....	28
8. بعض النماذج المشهورة لعملية الاتصال.....	37
9. الاتصال في اللسانيات الحديثة.....	39
10. تقنية الاتصال عند شانون و ويفر.....	44
<b>الفصل الثاني: الإقناع: استراتيجياته وأساليبه</b>	<b>47-107</b>
1. مفهوم الإقناع.....	48
2. استراتيجيات الإقناع.....	50
1.2 - الاستراتيجية الدينامية التفسرية.....	50
2.2 - الاستراتيجية الثقافية الاجتماعية.....	53
3.2 - استراتيجية إنشاء المعاني.....	56
3. أساليب الإقناع ما بين الخطاب الإنساني والخطاب القرآني.....	60
1.3 - البلاغة ومكانتها في الإقناع.....	61
أ. مفهوم البلاغة.....	62
ب. البلاغة في القرآن.....	65
2.3 - الأسلوب.....	67
أ. مفهوم الأسلوب.....	67
ب. أسلوب التكرار.....	68
ج. أسلوب التوكيد.....	69
د. أسلوب الاستفهام.....	71
هـ. أسلوب القصص.....	75
و. أسلوب التمثيل.....	76
3.3 - الحوار والجدل.....	79



- أ. مفهوم الحوار..... 80
- ب. منطلقات الحوار وموضوعاته وأهدافه..... 82
- ج. مفهوم الجدل..... 86
- د. ألفاظ مرادفة للجدل..... 87
- هـ. الجدل في القرآن الكريم..... 88
- و. الفرق بين الحوار والجدل..... 90
- 4.3- الحجاج..... 92
- 5.3- الاستدلال المنطقي..... 94
- أ. الاستنتاج..... 94
- ب. القياس..... 94
- القياس المضمر..... 95
- قياس الخلف..... 95
- ج. الاستقراء..... 96

### الفصل الثالث: البلاغة وأساليبها الإقناعية في سورة يوسف..... 108-200

1. الحوار في سورة يوسف وفعالته الإقناعية..... 110
2. الأسلوب..... 118
- أ. أسلوب التوكيد..... 118
- أ. 1 التوكيد الذي جاء في بداية السورة..... 118
- أ. 2 توكيد يوسف رؤياه لأبيه..... 120
- أ. 3 توكيد يعقوب ليوسف على كيد إخوته..... 121
- أ. 4 التوكيد الوارد في أقوال إخوة يوسف..... 122
- ❖ التوكيد الذي وقع في حديثهم مع بعضهم البعض..... 122
- ❖ - التوكيد باللام في بداية السورة..... 122
- التوكيد بـ (إنّ و اللّام)..... 122
- توكيدهم لأبيهم..... 123
- التوكيد بـ (إنّ و اللّام)..... 123
- التوكيد بـ (إنّ)..... 125
- التوكيد بـ (ما) التافية وحرف الجرّ الزائد..... 127
- التوكيد بالقسم..... 127
- ❖ توكيدهم ليوسف..... 129
- ب. التكرار في سورة يوسف..... 132
- ج. أسلوب الاستفهام..... 153
- ج. 1 استفهام اخوة يوسف لوالدهم..... 154
- ج. 2 استفهام امرأة العزيز لزوجها..... 156
- ج. 3 استفهام يوسف -عليه السلام- للسّجينين..... 158
- ج. 4 استفهام يوسف لإخوته..... 160

160.....	ج.5 استفهام يعقوب - عليه السلام - لأبنائه.
164.....	ج.6 استفهام كبير إخوة يوسف لإخوته.
165.....	ج.7 استفهام يوسف لإخوته عن جريمتهم.
171.....	د. الإحصار (الإيجاز بالمحذوف)
182.....	هـ. النظم اللغوي والتناسق الفني
183.....	هـ.1 التمهيد للقصة
184.....	هـ.2 الحروف المقطعة
185.....	هـ.3 الفواصل والتعقيبات
191.....	هـ.4 التقابلات
196.....	هـ.5 فواصل الآيات
196.....	هـ.6 حسن استعمال الألفاظ وجمالية التعبير
199.....	هـ.7 جمالية البناء القصصي

### الفصل الرابع: الاستدلال والمحااجة في سورة يوسف 201-253

202.....	1. حجاج إخوة يوسف لأبيهم
214.....	2. الاستدلال والمحااجة في قضية المرادة
233.....	3. حجاج امرأة العزيز لسورة المدينة
238.....	4. الاستدلال في الدعوة إلى الله
242.....	5. المحاجة لإثبات براءة يوسف
248.....	6. حجة يوسف للإبقاء على أخيه

### 254..... خاتمة

### 258..... ملحق

259.....	1- نصّ سورة يوسف
268.....	2- في رحاب سورة يوسف
268.....	أ- التعريف بها
269.....	ب- أسباب نزولها
270.....	ج- ملخص القصة

### 272..... المصادر والمراجع

### 283..... فهرس الموضوعات

## المُلخَص

تتمحور الرسالة الموسومة بأساليب الإقناع في سورة يوسف من أربعة فصول تطرقت في بدايتها إلى تحديد مفهوم الاتصال لغة و اصطلاحاً، من خلال تعريف علماء اللغة و الاتصال و علم الاجتماع ، و علم النفس...، ثم تعرّضت لمفهوم الاتصال عند العلماء و الباحثين العرب قديماً و حديثاً، كمفهومه عند الجاحظ و ابن خلدون و السيوطي و غيرهم .و عرّجت بعد ذلك إلى تحديد بعض الألفاظ التي جاءت في القرآن الكريم لتدلّ على معنى الاتصال كالتبليغ، و التعارف ، و البيان لانتقل - بعد ذلك - إلى توضيح الفرق و الاختلاف الدلالي بين مصطلحي الاتصال و التّواصل و بعد ذلك حاولت التأسيس للدراسة التطبيقية على سورة يوسف من خلال الإمام بمختلف الأساليب الإقناعية و الطرق الحجاجية و الاستدلالات المنطقية الموظفة سواء في النصوص القرآنية أو النصوص الأدبية بصفة عامة. و قدمت بعض التعريفات لعلماء غربيين و عرب. ثم انتقلت إلى عرض استراتيجيات الإقناع الثلاث بالشرح و التحليل و التمثيل و الاستشهاد من القرآن الكريم و بعد هذا الغرض النظري ، باشرت الدراسة التطبيقية التي تعتبر لبّ البلاغة و أساليبها الإقناعية في سورة يوسف و بدأت بدراسة الحوار الذي دار بين شخصيات قصتها، نظراً لأهميته في العملية الإقناعية إذ يحمل في ثناياه مختلف الطرق الحجاجية و الاستدلالات المنطقية و الأساليب البلاغية كالتكرار و التوكيد و الاستفهام و الإضمار . و أمّا في الفصل الرابع قدمت تعريفا موجزا لكلّ من الاستدلال و المحاججة حتى أوضح الفرق بينهما .ثم انتقلت إلى عرض بعض الصور الحجاجية ، و طرق و أساليب الاستدلال التي اشتملت عليها قصة يوسف - عليه السّلام - و هي 1: حجاج إخوة يوسف لأبيهم قصد إقناعه بفكرة اصطحاب يوسف معهم 2- .الاستدلال و المحاججة في قضية مراودة امرأة العزيز ليوسف عن نفسه 3- .حجاج امرأة العزيز لنسوة المدينة، حتى تردّ كيدهنّ 4- .الاستدلال و الحجاج في الدّعوة إلى الله - سبحانه و تعالى - باختيار الظرف و الموقف المناسبين للتبليغ 5- .المحاججة لإثبات براءة يوسف أمام الملك، و شهادة النسوة على حسن خلق يوسف و عقته و اعتراف امرأة العزيز بخطئها ، و صدق يوسف - عليه السّلام 6- . -و أخيراً حجة يوسف - عليه السّلام - للإبقاء على أخيه

## الكلمات المفتاحية:

الاتصال؛ الإقناع؛ الحجاج؛ الحوار؛ الجدل؛ الاستدلال؛ السياق؛ التمثيل؛ الأسلوب؛ التداولية.